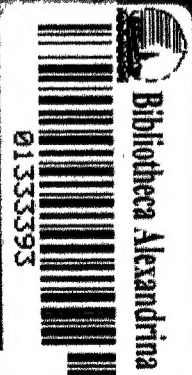
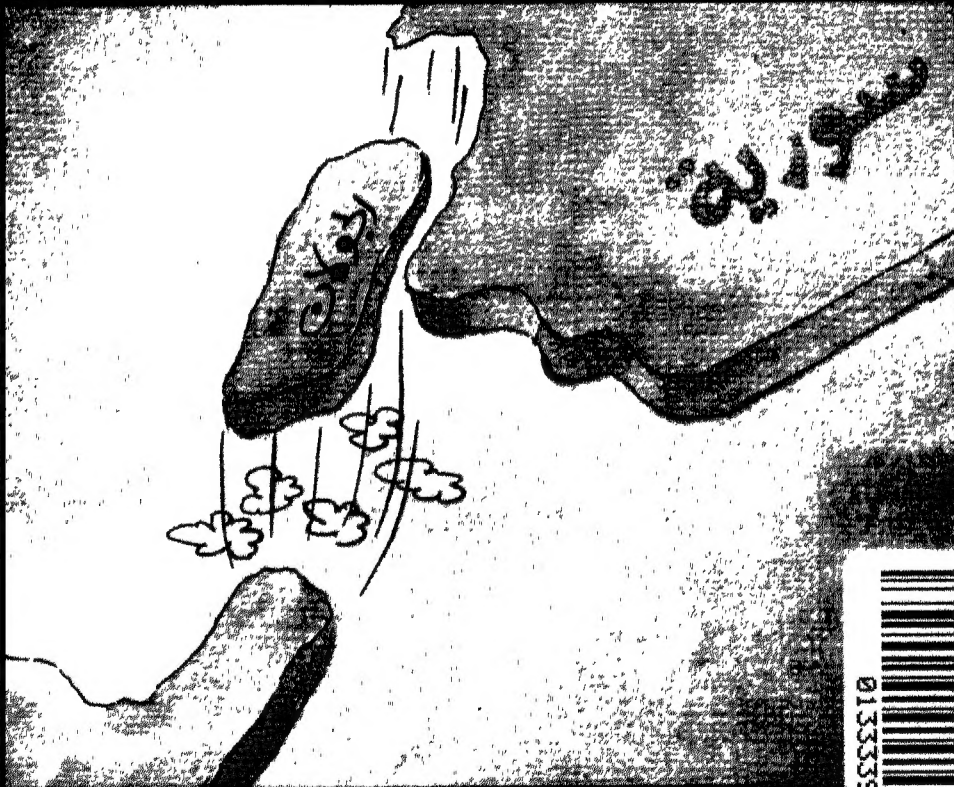


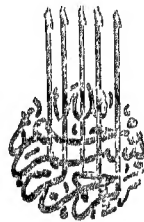
خليل مصطفى

ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب

سقوط الجولان



سقوط
الجملة



الديار

إلى ديار نكلى ... قد خذلها حماؤها .
في يوم كريمة ... غابوا فما ثبتوا .
إلى الجولان الحبيب ...
أسير حزن فاجع ... شهيد غدر في الجريمة ضالع .
إلى حبة القلب منى ...
ربى أنفقت فيها زهرة عمرى ...
ومكثت فيها سنوات طوالا .. أنحرق ليوم الصدام .
إلى ترى رويناه عرقاً ... وأنحمناه أعداداً .
ثم أبعدنا البغاة ... فما أتاحوا لنا أن نرويه بالدم .
إلى الجولان المفجوع ...
أضاعه التهويش الفاجر ... في مسرحية حرب وما كانت كما زعموا .
إلى تلاله ووديانه ... سهوله وهضابه .
إلى مخضر زرع .. ودفاق مائه .. يروى كريم ترابه .
من خلال حنين يذيب قلبي ... وما خففته الزفرات حرى
وشواظ شوق يلفح نفسى ... فيذوى عود كان مخضراً
أكشف الحقائق ... وأبج حلقى بهذه الصرخات .

فسادا .. وهز يلعوى ؟
 ندمي .. جهاد المسخر ... والفتح الشمر ... وعاني الرياح :
 مـكاناً شربل أوفده ديرة الغداة الغرياء ...
 في أديم لآلت يدام له ... تـبـهى ظلم بأمة نهبها الفجعة .
 وتذهب جراح ... يهزم الكـفـية ...
 بـتـوفى آثار الكـفـاء من كرام قاداتنا .
 يتهمل إيمان أبي عبيدة ... وصدق جهاد خالد ... وبطولات شرجيل
 وهزيمة ... ويحيا سيرة صالح الدين وقطن بـيـروس ...
 ويتأسي جهاد عبد القادر الحسيني وعز الدين القسام وحسن الخطاط ...
 فإني رأيت جيلنا ما عاد للخير يرجى .
 وأرى « فرسانه » إلى ذل الاستسلام قد أنسوا ...

خالد

أهداف الكتاب

... ويتواضع يفرضه على ما أنا فيه من شدة ...

أقدم هذا المکتیب .. وأهدف في ذلك أموراً ثلاثة :

١ - أن أثبت لمن أذهلهم ما سمي « انتصاراً ساحقاً » لإسرائيل ... أن ذلك لم يكن انتصاراً في حرب ... فإن الشعب لم يقاتل ... ولو ضل بينه وبين العدو ، لسطر صفحات جديدة من البطولة المعجزة ... ولما كانت الفاجعة التي نجرع اليوم مرارتها ... !!

٢ - أن أثبت أن الذي حدث ما كان غير مؤامرة متقنة ، وجريمة مدبرة ، أعدت قبل سنوات طوال ... عمل العدو وعملاؤه خلالها على تصفية كل ما يمكن أن يقف في وجههم ويحبط ما يدبرون ... حتى كان لهم ما أرادوا ... وكانت النكبة ... !!

٣ - رسم خطوط عريضة لمستقبل من الأيام .. تبادر فيه أمتنا لسلوك الطريق الحق ، بتسارع لا يتوقف إلا يوم النصر ... فتمحو عارها ، وتقضي على كل كيانات التآمر وجيوب التخلف ... وتظهر أرضها من كل غريب طامع ... فتصبح سيدة نفسها ، ومالكة أمرها ، وصانعة مستقبلها ... في حدود رسمها لها ربها ... ويرضاه لها ... فتأل رضاه وتأييده .

فالله أسأل أن أكون وفقت لذلك ... إنه خبير سميع ، وأكرم مجيب .

القسم الأول
قبل تنفيذ الموازنة

الفصل الأول مآلات من قول

«... إن الخطوة التي يجب أن تسبق
الصلح مع إسرائيل هي إقامة ديموقراطيات
اشتراكية ، مثل الحكومات الرجعية في
الدول العربية...» .

من خطاب بن غوريون أمام الكنيست عام ١٩٥١ .. عن كتاب :
« المسلمون والحرب الرابعة » .

- ١ -

توضيحات

١ - ... ولست من الذين يقتصون الكتابة أو الكلام .. ولكن الفاجعة كقيلة بأن تنطق أكثر الناس فهاهة وعباً .. ممن ما زالت عندهم بقية من حس ، أو شيء من تيقظ الضمير والوجدان .

ولقد رأيت بعد الفجيرة التي حلت بنا في حزيران المؤامرة .. أن العيون الحائرة تدور في كل اتجاه ، وأن الناس ينظرون نظر المغشى عليه من الموت ... يريدون أن يعرفوا كيف حدث الذي حدث .. ولماذا حدث ومن المسئول الحقيقي عن الذي حدث .

ولقد كان وقع الفجيرة شديداً على الذين يعرفون ، أكثر من غيرهم وكنت واحداً من هؤلاء . فقررت أن أتكلم .. لعل أوضح جوانب ذات أهمية من تلك الفاجعة الكبرى في تاريخنا الحديث .

ولقد سبق لأمتنا أن أصيبت بكموارث ضخمة هائلة ، استطاعت تجاوزها والتغلب عليها مع مرور السنين وكر الأعوام .. والى الذي يميز هذه الفاجعة عما سبقها .. أنها وقعت رغم إعداد يفوق حدود التصور ، وجهود ليس لأحد أن يحيط علماً بحجمها وضخامتها ... وطاقات عطلت ، وأموال أنفقت في مدى عشرين عاماً ... كل ذلك لمنع وقوع الفجيرة .. ولكنها وقعت . وهنا يكون السبب في أنها كانت شديدة الوطأة أكثر من كل ما عداها .

ولمني حين أحاول الكتابة في موضوع النكبة هذه ، أشير إلى أنه ليس من حق أن أتحدث إلا في حدود معرفتي ، ولذا .. فلن أتكلم إلا عن الجولان .. ذلك الجزء العزيز من أرضنا .. لأنني سبق لي أن عشت فيه ، ومارست مستويات مختلفة من المسئولية خلال خمس سنوات كان آخرها وظيفة

« رئيس قسم الاستطلاع في قيادة الجبهة » ، وهو عمل في غاية الخطورة ، ويتاح لشاغله أن يطلع على كل خفايا حياة القوات فيها ، وأن يطلع على كل الاستعدادات من تحصين وتسليح ونشر للقوات ، ومن خطط وأوامر تضع لكل احتمال حلاً أفضل . . يتيح للقوات مواجهته والخروج منه بنتيجة مشرفة .

٣- ولقد سرحت من الجيش عام ١٩٦٣ مع الأفواج الهائلة من العسكريين ، الذين سرحهم حزب البعث بعد تعريضه على السلطة عقب حركة (٨ آذار عام ١٩٦٣) ... وتركت الجبهة ثم الجيش ، وفي ذهني كثير من الخفايا والأسرار ، لا تقل خطورة عن النكبة ، وتشكل في حد ذاتها جوانب هامة من الأسباب التي مهدت لها ، وجعلت الجيش عاجزاً عن مواجهتها ومنع حلولها .

٣- ولم يكن يدور - يومذاك - بخليدي أن الذي حدث ، يمكن أن يحدث . ونظراً لأنني من العسكريين الذين أدوا واجبهم كأحسن ما يكون الأداء خلال خدمتي في الجيش ... ورغم اطلاعي على كثير من الأمور الخطيرة ... ولكنني رغم ذلك ، كنت حريصاً على إبقاء الأوامر والنصوص ، والوثائق محفوظة في الأماكن المعدة لها .. والذا .. فإن كل ما ورد في هذا الكتاب ، من معلومات وشروح حول الوضع الدفاعي للبولان ، وحول أحداث الحرب فيه ، كان اعتماداً على ما حفظته الذكرة وحدها ... أو ما نقله إلى من أثق بصدقهم وإخلاصهم وحسن اطلاعهم . ولقد كتبت هذا الكتاب وأنا في وضع جعلني محروماً من إمكانية الحصول على ما يفيد في الشرح من وثائق أو خرائط وصور ، سوى ما استطعت شراؤه من المكتبات العامة من بعض أنواع الخرائط القديمة فاتخذتها أساساً لما رسمت من مخططات توضح ما ورد في هذا الكتاب .

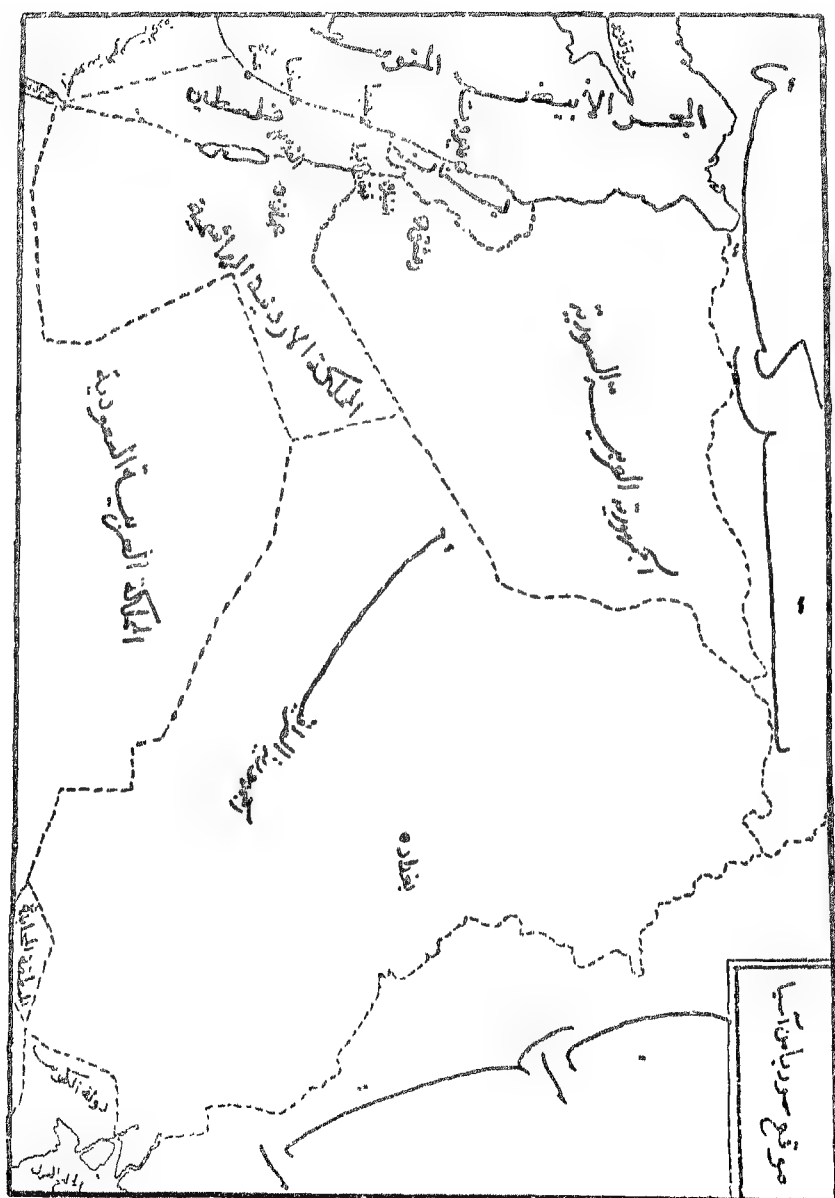
٤- وليس في كل ما جاء في هذا الكتاب ، ما يمكن للمجرمين من أن يدعوا أنه سر أذيعه .. فشكل ما ورد في هذا الكتاب من معلومات عسكرية ، أصبح منذ نيف وعامين ، عند العدو ، محفوظاً مدوناً في وثائق

تصل توافيق مختلفات المادة السريية الذين تابعوا على قيادة جيش سوريا وجولانها وتم بين هذه تلك الوثائق. راسارها خنياً على العدو .. الذي درسها وسهظ ما فها وأفاد .. بها ثم بدأ ينز رما قباعاً على الرأى العام فى كل بلدان العالم اليم، نه فها وزن أو تأثير ضلنا .

محتويات تلك الوثائق .. التي تركت .. له سميته "كاملة" .. ومملوماتها ، بقيت سرأ على شئونا دون سواها .. فأصبح من الواجب اطلاع هذه الشعوب عليها ، لئلا يتمكن المخاصون من تحديد منبهم الخيانة عميداً لوضع مرتكبيها ومنفذها فى مفسر، الأهم .

د .. وسيجند القارىء أنهى أصف ما حدثت بالنسبة ، وأرفض تسميته النكسة ، لأن تلك التسمية لا تقل لوماً عن النكسة نفسها ، فهي تعنى أنها نكسة للقوى الضانة التي أسوت هذه الأمة فى منحدر الدار ... كما تعنى ضمناً وجوب استمرارهم فى القيادة والتوجيه ، وأن على الأمة أن تقبل بذلك ، وهذا ما علينا أن نعلن رفضه ، ونبادر بقوة إلى التخلص منه ، وتقديم القوى الصادقة المخلصه لتأخذ مكانها الطبيعي فى مراكز التوجيه والقيادة للأخذ بأيدي هذه الأمة إلى مكانها اللائق الذي يرضاه الله لها ، ويوفر لها عزة ومكانة ومنعة جانب .

٦ - وأخيراً ... قد يكون ما جاء فى هذا الكتاب ، ناقصاً أو مقصراً .. بسبب ضعف فى الذاكرة ، أو أمر حدث ولم يتح لى الاطلاع عليها ... فأستطيع القارىء عذراً .. وأسأل الله أن يهدى الذين يعرفون ، ليسطروا الجوانب الأخرى من الحقيقة ، حتى تكتمل وتوضع أمام القوى المخلصه التي آن لها أن تتجسج ، لضرب مرتكزات التآمر ، ومواقع الخيانة ... والخروج بهذه الأمة من أغلالها ، وإننى على استعداد لقبول كل نقد أو إضافة أو تصحيح لمعلومات الكتاب .. لنتمكن من تقديم الحقيقة كاملة إلى أصحابها ..



لمحة تاريخية

(أ) لعل أكثر البلدان العربية والإسلامية إصابة بالنكبات ، وتعرضاً للسلايا والمحن خلال التقدين الماضيين ، هي سوريا من بعد فلسطين .

إلا أن الذي يميز محنة سوريا عن غيرها ، ويجعل نكبتها أشد إيلاماً في النفوس ، وأبلغ أثراً في قلوب الخلفين المتطلعين لمستقبل أفضل لهذه الأمة ، هو أن نكبتها لم تسكن بأيدي أعداء خارجيين ، وإنما كانت بأيدي أبنائها ، وبصورة خاصة ، بأيدي جيشها الذي اقتطعت لقمة العيش من قوت أطفالها وقدمت له في مدى عشرين عاماً ثلثي ميزانيتها (١) ، وعطلت أهم وأكثر مشاريعها الإنمائية والإنتاجية حيوية ، من أجل الوصول به إلى درجة من القوة والإعداد ، يستطيع معها وفاء دينه نحوها ، و - على الأقل - صون أرضها ومقدساتها .

ولكن ذلك الجيش ، لم يكن باراً بالعهد ، ولا وفياً للأمانة التي تصدى لها ، فكان دوماً .. السباق لنكبتها ، والعامل الأكبر في تشريد أبنائها ، ومطاردة رجالها ، وتدمير اقتصادها ، وتعطيل طاقاتها .. ثم دوس مقدساتها وإهانة حرمتها .. وأخيراً التخلي عن جزء من أرضها للعدو الطامع الغريب .

... هذا الكلام ليس تجنبياً على الجيش ... فأنا واحد من أمر أبنائه ، ومن أكثر الناس إخلاصاً له ، والله وحده يعلم أنني لم أبخل بدم ، ولم آل جهداً في رفع مستوى الوحدات التي عينت فيها ، والأرض - أرض الجولان وكناكر وقطنا وحص وحلب - ستشهد أمام الله ، كم بذلت من جهد ، وكم سكبت

(١) بلغ مجموع ما أنفق لرفع مستوى الجيش السوري منذ الاستقلال وحتى تاريخ النكبة ، أكثر من ٥ مليارات من الدولارات .

من عرق وكم أذيت بجروح وإصابات ، وتم حرمت نفسي من النوم وحتى من كثير من الأجازات ، لأؤدى واجبي ، بصحة منيجه ، شهيداً با
سبقي قادتي الذين عينت تحت قيادتهم شخصياً ليحفظوا مستقبلنا ... فكان
منهم أن دافعوا عنى في وجهه شخصياً .

والكنا قولة حق ، أقولها مهما أضعفت من الحاقدين أو صفار القول .
وعزائى فى ذلك ، أنها ترضى رب العالمين ، وترجع ضميرى . وتكشف
للصافين فى غيرهم على مستقبل مائة الأمة ، بعض مواطن الخطر الذى
يكن فى بناء واحدة من أخطر مؤسساتها وأشد حساسية وأكثرها شأناً .

(ب) ولقد بلغ - حتى اليوم - عدد الانقلابات الظاهرة التى وقعت
فى سوريا وتغيرت أنظمة أو أشخاص الحكم نتيجة لها عشرة انقلابات كانت
على التوالى :

١ - انقلاب حسنى الزعيم فى ٣٠ آذار ١٩٤٩ .

٢ - انقلاب سامى الحناوى فى ١٤ - ٨ - ١٩٤٩ .

٣ - انقلاب أديب الشيشكل فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٥١ .

٤ - الانقلاب ضد أديب الشيشكل فى ٢٥ شباط ١٩٥٤ . وجاء
بعده وضع ديمقراطى دستورى بدأت فيه مقدمات سيطرة اليسار
على الحكم .

٥ - الانقلاب العسكرى البطيء الصامت الذى توج بإعلان الوحدة
فى ٢٢ - ٢ - ١٩٥٨ .

٦ - انقلاب الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٦١ وكان الانفصال
نتيجة له ، وجاء بعده وضع ديمقراطى دستورى كان لليمين فيه سيطرة
ظاهرة ، بينما بقيت السيطرة الحقيقية فيه للقوى اليسارية .

٧ - انقلاب ٢٨ آذار ١٩٦٢ وقد أبدل حكومة بأخرى . ولكن
سوق القوى اليمانية ازداد بعده قوة و رآ .

٨ - انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ ، وجاء على أثره نظام الحكم (التركيبية)
الذى ضم حزب البعث والحزبى والناصرين .

٩ - انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ . الذى أبدل أشخاصاً وفئات بغيرها
ضمن إطار حزب البعث ، ولم يكن كانت نتيجته ازدياد سيطرة اليسار
المتطرف ، يتخفى وراءه العنصر الطائفي المنعصب .

١٠ - محاولة انقلاب ٨ أيلول عام ١٩٦٦ الفاشلة ، والى كان من
نتائجها إبعاد فئة معينة من حزب البعث هى الفئة الدرزية التى يمثلها سليم
حاطوم وطلال أبو عسلى .

(ج) أما العصيانات والتحركات السرية ، التى لعبت أدواراً لا تقل
خطورة عن الانقلابات الظاهرة ، فهى كثيرة ، كان من أهمها :

١ - عصيان البعثيين فى قطنا ، فى آذار عام ١٩٥٧ وكان من نتيجته
تقسيم المناصب الخطيرة فى الجيش بين البعثيين وخصومهم (مجموعة
النفورى ...) .

٢ - الانقلاب الأبيض فى ١٧ آب ١٩٥٧ . والذى أخرج بموجبه
عدد من الضباط ذوى الرتب الكبيرة أمثال العقدا (عمر قباني ، سهيل
العشى . حسن العابد ، هشام السمان) ، ثم إقالة الزعيم توفيق نظام الدين .
ثم اختتم برفع الشيوعى العقيد عفيف البزرى إلى منصب رئاسة الأركان العامة
بعد ترقبته إلى رتبة اللواء .

٣ - عصيان حمص فى نيسان ١٩٦٢ ، الذى أسفر عن إخراج عبد الكريم
النهلاوى وعدد من زملائه خارج البلاد ثم سرحوا من الجيش ، ثم أعقبه
بعد أيام عصيان حلب بزعماء العقيد جاسم علوان ، وقتل خلاله أربعة ضباط
ثم فشل العصيان وأحيل العصاة إلى المحاكمة .

٤ - عصيان ١٣ - ١ - ١٩٦٣ . الذى قام به عدد من أنصار عبد الكريم
النهلاوى ، ملعوبين بعناصر من أنصار القاهرة .. وكان من نتائج هذا

العصيان .. أن فشل ودخل فادته السجن . وخلال طريق دمشق أمام ريادة
الحريري وشركائه في المؤامرة لينزلهوا بانقلابهم في ٨ آذار ١٩٦٣ .

٥ - محاولة الانقلاب المعروفة بـ (١٨ تموز) ، التي قام بها الناصريون
ففشلت ، وكان من نتائجها استقالة رئيس الدولة - يومذاك - الفريق لؤي
الأتاسي . وتصفية عدد كبير جداً من أنصار القاهرة . وإعدام سبعة وعشرين
شخصاً . كان أشهرهم العقيد هشام شبيب ، والنقيب ممدوح رشيد الذي
ذهب ظالماً دونما ذنب اقترفه . والمساعد بحري كلش وعدد من الفدائيين
الفاشيون .

٦ - سلسلة من العصيانات المحدودة تمت خلال عهد حزب البعث في
سوريا . وأسفرت عن تصفيات كثيرة ، كان أهمها ، طرد اللواء أحمد
سويداني من قيادة الجيش ، ثم هربه من سوريا ملاحقاً . وكان ذلك في
عام ١٩٦٨ .

٧ - وأخيراً . حركة الفريق حافظ الأسد ، التي جرت خلال نيسان
عام ١٩٦٩ . والتي أسفرت عن نتائج خطيرة لم تظهر آثارها الحاسمة بعد .
(د) أما التصفيات المتعاقبة - بالقتل أو الطرد ، أو المحاكمة أو
التشريد - التي تمت خلال هذه المدة الطويلة فقد كانت كثيرة جداً .
أهمها هو :

١ - مقتل العقيد الطيار محمد ناصر . قائد القوى الجوية السورية ،
بتاريخ ٣١ تموز ١٩٥٠ وقد كان من أكبر منافسي الشيشكلي على السلطة .

٢ - إخراج العقيد إبراهيم الحسيني من الجيش ثم من البلاد ، بأوامر
من الزعيم أديب الشيشكلي في عام ١٩٥٢ .

٣ - تصفية أنصار أديب الشيشكلي بعد الانقلاب عليه ، وكان من
أبرزهم الزعيم عمر خان تمر والرئيس شحادة عبد الحق .

٤ - مقتل العقيد عدنان المالكي في ٢٢ نيسان عام ١٩٥٥ ، بتدبير
من الحزب القومي السوري .

٥ - تصفية العسكريين من الذين اتهموا بالصلة أو الانتساب إلى الحزب القومى السورى الاجتماعى فى عام ١٩٥٥ ، وبعد مقتل العقيد عدنان المالكي ومن أبرزهم المقدم غسان جديد (شقيق صلاح جديد) .

٦ - تسريح عدد من الضباط فى (تموز - آب) عام ١٩٥٧ ، بعد اتهامهم - ولم يحاكموا - بالإعداد لانقلاب يعيد الشيشكلي والحسينى إلى الحكم ... وكان من أبرزهم العقلاء (عمر القباني ، جودت الأتاسى ، سهيل العثى ، عمر العابد ، هشام السمان) ، واللواء طالب الداغستاني والزعيم محمود شوكت والزعيم فيصل الأتاسى .

٧ - سلسلة طويلة من التصفيات ، - بالتسريح أو التقاعد ، أو النقل إلى الدوائر المدنية - قامت بها سلطات الوحدة ، وشملت عدداً من الضباط والعسكريين - الشيوعيين ، والقوميين السوريين ، والبعثيين ، والأكراد ، وبلغ مجموعهم ما لا يقل عن ستمائة ضابط وعدد أقل من ضباط الصف والجنود المتطوعين .

٨ - تسريح عدد من الضباط الموالين للقاهرة ، خلال حكم الانفصال ، لم يتجاوز عددهم العشرة أو يزيد قليلاً ، وكان من أبرزهم قائد الجيش الفريق جمال فيصل ، واللواء محمد الجراح ، والعقيد جاسم علوان ، والعميد جميل حكمت الداية ، والعقيد محمد استانبولى الذى كان مديراً للمخابرات العسكرية .

٩ - تسريح ٦٣ ضابطاً خلال عهد الانفصال أيضاً (أوائل عام ١٩٦٢ على وجه التقريب) كان أكثرهم من كبار ضباط حزب البعث ، وكان فيهم صلاح جديد ، وعبد الكريم الجندي ، وحافظ الأسد ، ومحمد عمران .

١٠ - سلسلة طويلة جداً من قرارات التسريح والسجن والمحاكمة والإعدام والقتل سراً ، شملت أكثر من ٨٥ ٪ من ضباط وعناصر الجيش تمت منذ قيام حكم ٨ آذار وحتى اليوم ، وسنتحدث عنها مفصلاً فى السطور القادمة ، نظراً لعلاقتها المباشرة بالذى حدث فى حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

(٥) وقد تعاقب على قيادة الجيش في سوريا عدد من الضباط كان يتم تسلمهم للقيادة ثم تركهم لها بصور شتى ، وفيما يلي أبرز القادة :
- اللواء عبد الله عطفة ، وقد كان قائداً للجيش عقب الاستقلال مباشرة وترك الخدمة بعد أن أحيل إلى التقاعد .

- الزعيم حسنى الزعيم ، وقد عين قائداً للجيش بعد اللواء عبد الله عطفة ، ثم قام بانقلابه في ٣٠ آذار عام ١٩٤٩ ، ومات مقعولا عقب انقلاب سامى الحناوى عليه في ١٤ آب ١٩٤٩ .

- الزعيم سامى الحناوى الذى تسلم قيادة الجيش والبلاد عقب انقلابه على حسنى الزعيم ، ثم ترك القيادة والحكم بعد انقلاب أديب الشيشكلي في ٢٩ تشرين الثانى ١٩٥١ .

- الزعيم أنور بنود ، وقد عين في رئاسة الأركان العامة بعد التطويح بالحناوى واستمر في منصبه حتى تاريخ ٢١ - ٥ - ١٩٥١ حيث رفع الشيشكلي إلى رتبة زعيم وعين بديلا له ، ونفى بنود إلى أنقرة ملحقاً عسكرياً .

- الزعيم أديب الشيشكلي الذى تسلم رئاسة الأركان العامة بتاريخ ٢١ - ٥ - ١٩٥١ وبقى في هذا المنصب حتى النصف الثانى من تموز عام ١٩٥٣ إذ تخلى عن هذا المنصب بعد تسلمه رئاسة الجمهورية ، وعين بدلا منه الزعيم شوكت شقير .

- الزعيم شوكت شقير الذى خلف الشيشكلي في تموز ١٩٥٣ ثم أقيل من منصبه بتاريخ ٨ حزيران ١٩٥٦ وعين خلفاً له اللواء توفيق نظام الدين .

- الزعيم توفيق نظام الدين ، وقد كلف بهذا المنصب من قبل رئاسة الجمهورية ، ثم استقال عام ١٩٥٧ ، عقب الضغوط التى مارسها عليه البعثيون والشيوعيون مدعين بأكرم الحوراني ، لإخراج الضباط الدمشقيين الكبار من الجيش ، ولكنه رفض ذلك دون محاکمتهم وإدانتهم . فلما وجد

ذلك غير ممكن ، استقال ، ولم يرض بتوقيع قرار التسريح .. كان ذلك في ١٧ آب ١٩٥٧ .

— اللواء عفيف البزري ، بعد أن رفع من رتبة عقيد متجاوزاً رتبة الزعيم (سميت العميد فيما بعد) واستمر يحكم الجيش منذ ١٧ آب ١٩٥٧ حتى قامت الوحدة ، حيث رفع لرتبة فريق ، واستمر قائداً للجيش (الأول) حتى ربيع عام ١٩٥٩ إذ أقيـل من منصبه أوقفه ، وفقاً صلباً في وجه محاولات التسلط التي بدأها الضباط المصريون ، وقامت أجهزة الإعلام بإذاعة نبأ استقالته — دون علمه — ثم هرب إلى بغداد وطلب اللجوء السياسي .

— الفريق جمال فيصل ، الذي عينه الرئيس جمال عبد الناصر خلفاً للفريق عفيف البزري واستمر يدير ظواهر أمور الجيش ، وخاصة الاحتفالات ومناسبات تدشين المنشآت العسكرية والمدنية ، حتى وقع الانفصال . في ٢٨ أيلول عام ١٩٦١ ، فأحيل على التقاعد .

— الفريق عبد الكريم زهر الدين ، الذي جرى به إلى قيادة الجيش ليكون واجهة ذات رتبة كبيرة منذ اليوم الأول للانفصال ، ولكنه استطاع أن يتملك أمور الجيش شيئاً فشيئاً ، واستمر في عمله حتى وقعت مؤامرة الثامن من آذار ، عام ١٩٦٣ ، فأدخل السجن وأحيل على المحاكمة ، ثم شمله العفو ، ومنح جميع حقوقه التقاعدية .

— اللواء راشد قطيني أحد منفذي مؤامرة ٨ آذار عام ١٩٦٣ ، وقد تسلم منصب رئاسة الأركان العامة مدة لم تزد عن شهر ، إلى أن استطاع أمين الحافظ التسلل إلى المنصب بعد سلسلة التصفيات العنيفة التي قام بها حزب البعث لـكل شركائه في الثامن من آذار وعلى رأسهم زياد الحريري وراشد قطيني ومحمد الصوفي ورابعهم لؤي الأتاسي .

— الفريق أمين الحافظ الذي تسلم قيادة الجيش بعد القطيني ، ثم بدأ يرحف على السلطة حتى تسلم قيادة البلاد عقب محاولة انقلاب ١٨ تموز عام ١٩٦٣ التي قام بها المصريون بقيادة جاسم علوان ، واستمر قائداً للمجلس .

حتى عام ١٩٦٤ ، حيث عينت قيادة الحزب بديلاً له اللواء صلاح جديد ، ليتفرغ هو لمهام رئاسة الدولة .

– اللواء صلاح جديد ، الذى استمر يدير الجيش دون أن يحاول الظهور . حتى شباط عام ١٩٦٦ ، حين اتخذت القيادة القومية لحزب البعث قراراً بإخراجه من الجيش مع بعض زملائه .

– اللواء أحمد سويدانى . الذى تسلم قيادة الجيش عقب انقلاب ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ ، وتصفية الفريق أمين الحافظ وأنصاره ، واستمر فى منصبه حتى أدى دوره كاملاً فى تسليم الجولان عام ١٩٦٧ ، ثم أقيل من منصبه – ليتفرغ للمهام الحزبية (١) – ثم اوحق وفر من البلاد مطارداً .

– اللواء مصطفى طلاس ، الذى عينته القيادة القطرية لحزب البعث خلفاً للسويدانى عام ١٩٦٨ ، ومازال قائداً للجيش حتى كتابة هذه الصفحات .

(و) الضباط الذين رفعوا استثنائياً لتسلمهم مهام قيادة الجيش :

١ – عفيف البزرى وقد رفع من رتبة عقيد إلى رتبة اللواء ثم الفريق .

٢ – جمال فيصل وقد رفع من رتبة العقيد إلى رتبة الزعيم ثم اللواء ثم الفريق .

٣ – راشد القطيبي . الذى رفع من رتبة العقيد إلى رتبة اللواء .

٤ – أمين الحافظ الذى رفعه حزب البعث من عقيد إلى عميد فواء لفريق فى خلال ثلاث سنوات .

٥ – صلاح جديد . الذى رفعه حزب البعث من رتبة مقدم إلى رتبة اللواء مباشرة .

٦ – أحمد سويدانى الذى رفعته القيادة القطرية لحزب البعث بعد حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، من رتبة المقدم إلى رتبة اللواء .

(١) مكنا نالوا . . .

٧ - مصطفى طلاس ، وقد رفعه حزب البعث من رتبة العقيد إلى رتبة اللواء .

وهذا لا يعنى أن الترفيعات الاعتبارية الاستثنائية اقتصرَت على هؤلاء فقط ، بل شملت كثيرين آخرين ، ولكن هذا ليس مجال الحديث عنهم إنما يكفي للدلالة على سوء حال الجيش والبلاد ، أن يتعاقب على قيادته ثلاثة عشر ضابطاً (١) ، منهم واحد فقط تسلم مهامه بصورة دستورية ، ومنهم ستة (أى النصف تقريباً) نالوا رتبهم ومناصبهم دونما أية أهلية أو استحقاق وإنما نظراً لتغييرات سياسة شهدتها البلاد ، وجرتها إلى النكبة الفاجعة .

(ز) حركة الثامن من آذار ، تمهيد لنكبة حزيران :

وقعت حركة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ . واستطاع قادتها السيطرة على الحكم في سوريا ، مدعين أنهم قاموا بحركتهم لتحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

وبعد مضي ست سنوات من عمر هذه المؤامرة ، ودخولها في عامها السابع ، لم تحقق من شعاراتها شيئاً ، وكانت نتائج أعمالها على الشكل التالى :

فى الوحدة : قامت هذه الحركة بترسيخ أسس الانفصال ، وتعميق جذوره ، ونسف أمل الأمة بأية محاولة وحدوية قادمة ، بل وقامت هذه الحركة بتعميق جذور القطرية الانعزالية إلى حد لم يعرف له مثيل فى تاريخ هذه البلاد على الإطلاق .

فى الحرية : لم يعرف الشعب فى كل تاريخه الطويل ، حتى فى أيام الحكم الصليبي لأجزاء من البلاد ، أو فى أيام الاستعمار الفرنسى ، قعاً للحرية ، وخنقاً لها ، وملاحقة وتشريداً لأنصارها ، كما عرفت منذ قيام هذه الحركة ، ولا غرو ، فإن حركة تهدف إلى السيطرة على الحكم ، يدبرها

(١) منذ الاستقلال وحتى تاريخ سقوط الجولان .

ويقودها سرّاً ، ويربط قاداتها جاسوس مثل إيلي كوهين (١) . لتعمل على شل كل فعاليات البلاد ، ووأد كل أمل بالمقاومة في وجه العدو إذا ما حاول التوسع على حسابها ..

إن مثل هذه الحركة ، ما كان ليتاح لها أن تؤدي دورها في تسليم البلاد للعدو ، مقابل ثمن بخس ، لو أنها حققت شيئاً حقيقياً - مهما كان ضئيلاً - من ممارسة الحرية الفعلية ، بصورة من صورها أو أكثر .

ونحن لا نفترى على هذه الحركة وقاداتها شيئاً من الكذب ، وإنما ندع المجال لقاداتها بأن يتكلموا ويفضحوا حقائق الأمور ...

هذا واحد من قاداتها ... عضو القيادة القطرية لحزب البعث ، ووزير الإعلام في أول حكومة شكلتها حركة الثامن من آذار ، والمرشح أكثر من مرة لرئاسة وزارة حزب البعث ، وسفير سوريا في باريس خلال فترة من عهد حزب البعث .. الدكتور سامي الجندى ، يقول في كتابه (كسرة خبز) ما نصه بالحرف الواحد :

« . . . كنت أُنذِرهم أن سبل الثورة باتت خطيرة على نفسها وعلى الشعب وأنها ما باتت ثورة ، بل انقلاب شرذمة ، أدى بها الغرور والأنانية والتمسك

(١) أثبت كتاب (جاسوس من إسرائيل) الذي نشرته المخابرات الإسرائيلية صلة قمم من قادة هذه الحركة بالجاسوس المذكور ، وتقييمهم منه الإرشادات مشفوعة بالرشاوى من أموال ونساء وخزوة ، وليال حر وهدايا للزوجات والخليلات . . . وكان من أبرز الذين أقي الكتاب المذكور على أسمائهم ، الفريق أمين الحافظ ، والمقدم صلاح ضللي ، والرائد سليم حاطوم . ويجب أن لا يغيب عن بال القارئ أن الكتاب المذكور ، إنما نشر لأهداف خبيثة ، فوجزها فيما يلي :

(أ) أن ذكر بعض الأسماء التي انتفض أمرها ، في ذلك الكتاب ، إنما هو تغطية على الشركاء الآخرين الذين لم يكشفهم التحقيق القاصر ، وتحويل للانظار عنهم ليستمروا في تكملة مهمة كوهين ، والشركاء الذين سقطوا . . .

(ب) لإنذار غنى هؤلاء الشركاء المستقرين ، ليقفوا على « وفائهم » لساداتهم الإسرائيليين ، وتهديد لهم بأن لا شيء يمنع من فضح أسمائهم وأدوارهم إذا خطر لهم أن يكفوا عن الاستمرار في خدمة المخابرات الإسرائيلية .

بالحكم إلى طغيان بوليسى لا هدف له ولا رجاء منه غير الخراب والتخريب ،
والولوغ بالدم والشرف » .

فهل يكون القارىء ، أو المؤرخ ، أو حتى التاريخ نفسه ، بحاجة لأكثر
من هذا الكلام ، يجرى به لسان واحد من صناع نكبة الأمة ... فيفصح
حقيقة أمر هذه الـ « ثورة » ، وحقيقة أمر ذلك الحزب والسلطة التي نشأت
عنه ومارسها ، من أجل « ... الخراب والتخريب والولوغ بالدم
والشرف ؟! » (١)

في الاشتراكية : ورغم كل قرارات التأميم والمصادرة التي أصدرتها
السلطة البعثية في البلاد ، لم تحقق شيئاً واقعاً ملموساً من المفاهيم الاشتراكية .
إن كل ما أصدرته السلطة البعثية من قرارات تأميم ومصادرة ، لم تتجاوز
قيمتها ثلاثمائة مليون ليرة سورية (٢) ، إن الثروة النقدية الحقيقية المتداولة في
البلاد ، تقدر قيمتها بحوالى مليار وثلاثمائة مليون ليرة سورية .

أى أن سلطات حزب البعث أمتت أقل من ربع الثروة الحقيقية في البلاد
وهنا تكمن اللعبة الخطرة التي أداها حزب البعث ، خدمة للمطامع الإسرائيلية .

فلقد دب الرعب في نفوس أصحاب الثروات ، عقب قرارات التأميم
هذه ، التي لم تهدف في حقيقتها إلا لهذا الأمر ، فقام رجال المال بهرب
أموطهم خارج البلاد ، وهنا أفادت المطامع الإسرائيلية فائدتين كبيرتين :

الأولى - وهى الأهم - تعطيل المشاريع الإنمائية ، وقتل روح المبادرة
لدى الفرد السورى الذى يتميز بها عن غيره ، وإيقاف النمو الاقتصادى
في مجالات كبرى ، وخفض الإنتاج ، وبالتالي القضاء على الدخل الاقتصادى
الذى كان قادراً - لو استمر في الارتفاع - على مد الجيش بكل احتياجاته

(١) كتاب : كسرة خبز للدكتور سامى الجمدى . نشر دار البهار - بيروت .

(٢) أى ما قيمته ٧٥ مليون دولار حالياً باعتبار أن سعر الدولار تقريباً يساوى أربع
ليرات سورية .

للوصول إلى مرحلة التفوق « التكنو أوجي » والعدى على القوات الإسرائيلية وهذا - لو تحقق - فإنه يشكل أحد مواضع الإصابة القاتلة في الكيان الإسرائيلي الدخيل .

والثانية هي أن قسماً كبيراً من الثروات التي تم تهريبها ، نقل إلى البنوك في أوروبا ، حيث تملك اليهودية العالمية السيطرة الكاملة على معظم تلك البنوك .. إذن ، استطاعت اليهودية العالمية بواسطة خدامها من الاشتراكيين الزائفين ، أن تدفع بالأموال العربية ، إلى أحضانها ، لتتحكم بها وتستغلها مقابل أجور تافهة تسميها لأصحابها « فوائد » .

كان هذا دور حركة الثامن من آذار ، في تلك المحلات الكبرى من حياة البلاد ، وبذلك دمرت كل إمكانية تتيح للشعب أن يصمد في وجه الغزو العسكري الإسرائيلي المقرر منذ ما قبل قيام مؤامرة آذار . ومن أجل التهديد له ، جرى بمنفذى تلك الحركة ليقوموا بها ، وعلى رأسهم ، العقيد زياد الحريري ، والمقدم أسعد حكيم ، والرائد بهجت الخاير ، والرائد صلاح جديد ، والرائد عبد الكريم الجندي ، والرائد محمود الحاج محمود . والنقيب محمد الحاج محمود ، والنقيب سليم حاطوم ، والنقيب فايز موسى وغيرهم كثيرون ليس هذا مقام حصرهم .

وبقيت رغم كل ذلك التخريب ، نقطة قوة خطيرة على كيانات التآمر وخطرة على مطامع الغزو الإسرائيلي « المقبل » ... هذه القلعة الخطرة ، هي الجيش ... فلا بد من تصفيته وشل فعالياته ، وقد تم ذلك بأبشع صورة للخيانة ، وأقبح جريمة ارتكبت في تاريخ هذه الأمة . وكان ذلك على الشكل التالي :

١ - بعد وقوع انقلاب الثامن من آذار بخمسة أيام فقط ، أى بتاريخ ١٣ آذار عام ١٩٦٣ صدرت نشرة عسكرية أخرجت من الجيش مائة وأربعة ضباط وهم كبار ضباط الجيش ، افتتحت بالفريق عبد الكريم زهر الدين ، واختتمت بالمقدم بسام العسلي .

وبتاريخ ١٦ آذار (أى بعد ثلاثة أيام آخر) صدرت نشرة أخرى ،
أخرجت من الجيش ١٥٠ ضابطاً هم الطاقة الفعالة في الجيش (قادة الكتائب
ورؤساء عمليات الألوية وقادة السرايا) ، وكنت واحداً من الذين شملتهم
هذه النشرة .

٣ - ثم تتابعت النشرات ، تسرح ، وتحيل على التقاعد ، وتنقل إلى
الوظائف المدنية على نحو لم يتح لى الاطلاع على تفاصيله ، حتى بلغ مجموع
الضباط الذين أخرجوا من الجيش ، حتى أيار (مايو) ١٩٦٧ ، لا يقل عن
ألفى ضابط ، مع عدد لا يقل عن ضعفه من ضباط الصف القدامى ، والجنود
الملتطوعين الذين يشكون الملاك الحقيقى الفعال لمختلف الاختصاصات في
الجيش .

٤ - ولزيادة تعميق الجريمة ، والمرد الرماد في العيون - لثلا يقال أنهم
يسرحون الجيش - استبدل بالذين أخرجوا من الجيش (وخاصة الضباط)
أعداداً كبيرة جداً من ضباط الاحتياط (الذين سبق لهم أن أدوا خدمة العلم)
وجميعهم تقريباً من البعثيين ، وأكثريتهم من أبناء طائفة معينة (العلويين)
وبذلك أصبح الجيش مؤسسة بوليسية لقمع الحريات والتنكيل بالشعب ،
لا جيشاً قادراً على صون الحدود ، والدفاع عن أرض الوطن .

٥ - وقد رافق ذلك كله ، عمليات مجرمة ، شملت حل بعض الوحدات
المقاتلة ، وتشكيل وحدات غيرها على أسس طائفية بحتة - تماماً كما فعل
الفرنسيون أيام الاحتلال - وبذلك أصبح الجيش عبئاً كريهاً على عاتق الشعب
بدل أن يكون درعاً وحصناً يصون بلاده ، ويحفظ أمنه وحرياته .

٦ - وقد تميزت تلك المرحلة من تصفية الجيش ، بصورة من العنف
والتنكيل ، كان منها القتل ، والسجن ، والأحكام العتباطية والإعدام ،
والاتهامات جزافاً ، ومصادرة الأموال والممتلكات وتضييق سبل العيش
على الناس (وخاصة العسكريين) ، حتى أصبح المواطن يمسى فلا يصدق
أنه سيصبح بخير ، أو يصدق أنه سيمسى بدون أن يصيبه سوء ،

وقد كان من أبرز العسكريين الذين قتلوا ظلماً ، النقيب معروف الثغلي والنقيب ممدوح رشيد ، والملازم نصوح الجاني ، والعقيد أ . ح كمال مقصورة .

ومن الذين أعدموا ، العقيد هشام شبيب ، والمساعد بحري كلش . ثم امتدت يد الظالمين إلى بعضهم ، فأعدموا سليم حاطوم ، وبدر الدين جمعه .

وغصت السجون بالئات من الضباط والآلاف من باقي العسكريين كان من أبرزهم ، اللواء محمد الجراح ، واللواء راشد قطيني ، والفريق محمد الصوفي ، والفريق عبد الكريم زهر الدين ، واللواء وديع مقعبري ، والعمداء مصطفى الدواليبي ، ونزار غزال ، وأكرم الخطيب ، وموفق عصاصة ، ودرويش الزوني ، وممدوح الحبال ، والعقلاء هيثم المهاني ، ومحيي الدين حجار ، وحيدر الكزبري ، ثم امتدت يد الظلم إلى أهله ، فدخل السجن اللواء محمد عمران ، والفريق أمين الحافظ وكثيرون من أنصارهما وعاد أهل البنى يأكل بعضهم بعضاً .

وصدرت أحكام الإعدام جزافاً ، فشملت الكثيرين ، وكان منهم العقيد جاسم علوان ، والنقيب محمد نبهان ، والمقدم عبد الرحمن السعدي والرائد صديق العطار ، ثم عاد الظلم يأكل أهله ، فصدرت أحكام الإعدام بحق سليم حاطوم ، وبدر الدين جمعه ، ومصطفى الخطيب ، وغيرهم ممن لا أذكر الآن أسماءهم .

واليوم ... ورغم النكبة ، يعيش عسكريو الجيش المسرحون ، إما داخل سوريا ، يتقاضون رواتب الذل (التقاعد) ، كل شهر ، أو يفتشون عن مصادر الرزق الكريم في كل مجال ، وإما خارج سوريا ، وفي كل بقاع المعمورة ، يفتش كل منهم عن مصدر عيش كريم ، والقلوب تحترق ، والشباب يذوى ، وعملاء العدو مازالوا يتربعون كراسي السلطة ، ينفذون الدور المرسوم ، لتسليم جزء آخر من البلاد للعدو في وثبة قادمة .

والأمانة التاريخية .. لا بد أن نشير إلى أن الشعب لم يسكت ، رغم عزله وغلبه

وقلة حيلته فحدثت انتفاضات وحركات عنيفة ، تميزت بصورة من البطولة والنبل الأصيلين في هذا الشعب ، كان من أهمها :

١ - اضطرابات طرطوس خلال عام ١٩٦٤ : وقد جهدت السلطة لحصرها على أضيق نطاق .

٢ - أحداث حماة عام ١٩٦٤ ، وكان من نتائجها عدد من الضحايا ، وأحكام الإعدام لسبعة من الذين اشتركوا فيها . . . وضرب المساجد والبيوت بالدبابات والمدفعية والطيران ، والرمي بالرشاشات جزافاً على الآمنين العزل ، وفيها هدم جامع السلطان (أكبر جوامع مدينة حماة) تهديماً كاملاً .

وقد رافق أحداث حماة ، لإضرابات عامة شملت دمشق وحمص واللاذقية ، قمعت بمنتهى العنف وفتحت المحلات بالقوة ، وصودرت أموال الكثيرين من المواطنين وهوجمت بعض مساجد حمص ، كمسجد خالد بن الوليد . بالدبابات ، لإخراج المعتصمين فيها .

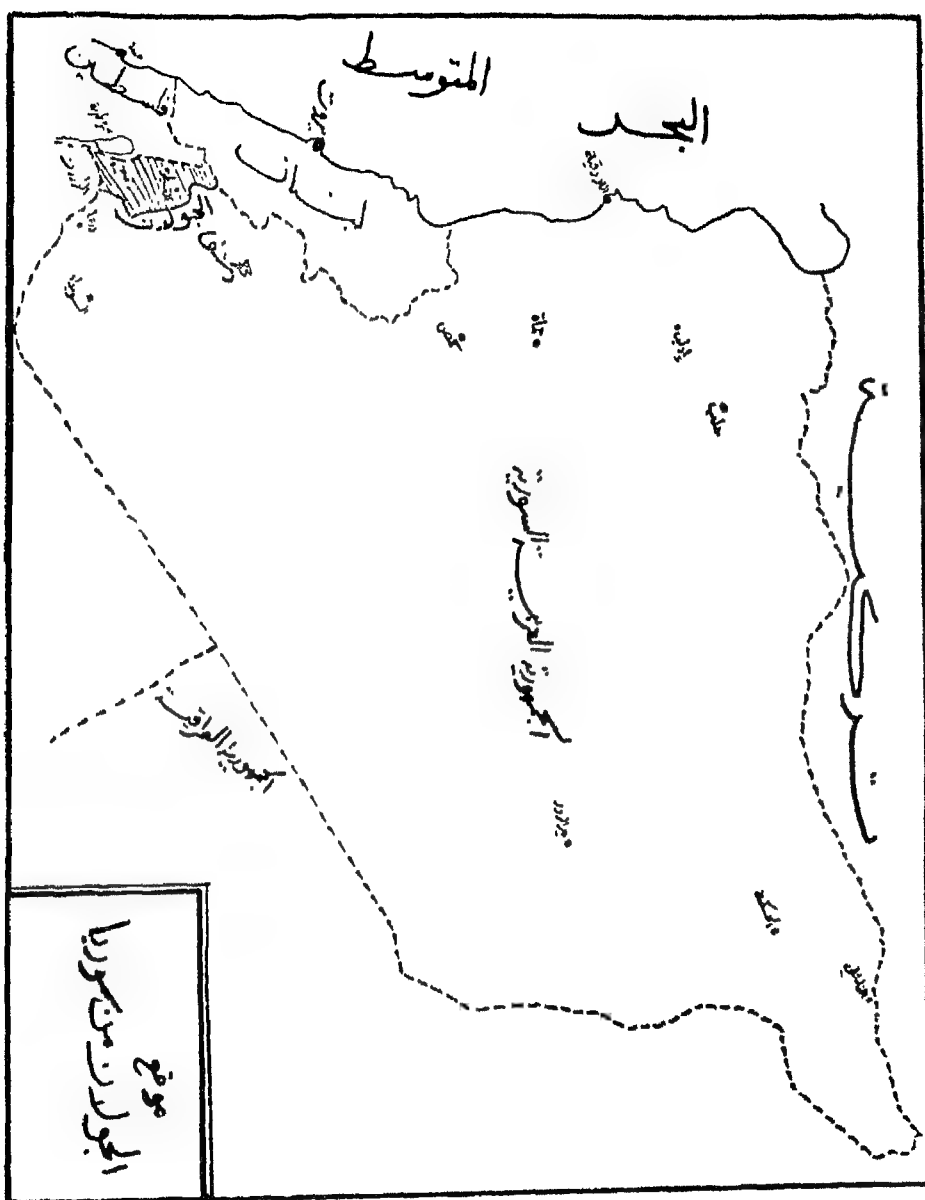
٣ - أحداث دمشق عام ١٩٦٥ ، التي أشعلها قسم من العلماء والتجار ، وتجاوب معها الشعب تجاوباً مطلقاً ، وكادت هذه الأحداث تعصف بالحكم البعثي ، لولا العنف الذي استخدمه الجيش ، فهوجم المسجد الأموي بدمشق بالمصفحات ، وفتحت النيران على المصلين فسقط سبعة من القتلى وعدد كبير من الجرحى . وغصت السجون بما لا يقل عن أربعة آلاف معتقل ، وصدرت خلالها أحكام الإعدام اعتباطاً بحق خمسة عشر شخصاً ، عدا الأحكام الأخرى .

٤ - أحداث حماة مرة أخرى عام ١٩٦٦ ، التي قمعتها الجيش بعنف وتم حصرها في نطاق حماة دون أن تمتد خارجها .

٥ - الإضراب العام الذي وقع في شهر نيسان عام ١٩٦٧ عقب مقال فاجر نشرته السلطة في مجلة جيش الشعب ، يتهم فيه كاتبه على الله والأديان ، ويطالب بوضعها مع قوى الاستغلال والمتخمين في متاحف التاريخ (١) .

(١) مجلة جيش الشعب العدد ٧٩٤ ، تاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦٧ . وكاتب المقال هو المرشح (ضابط احتياطي) إبراهيم خلاص .

وقد لجأت السلطة خلال هذا الإضراب إلى اعتقال كرام العلماء ،
وخيرة أبناء البلاد ، ثم تنصلت من مسؤوليتها عن المقال ، وادعت أن كاتبه
من عملاء المخابرات الأمريكية ، واستمر الإرهاب والقمع الوحشي حتى
جاءت القوات الإسرائيلية تحتل الجولان ، وتهدد بالزحف على دمشق .
عندها فر رجال السلطة بعد أن نقلوا متاعهم وعيالهم إلى قراهم ، واختبأوا
كالأرانب المدعورة في القرى التي ولدوا فيها ، وفتحت السجون ، وخرج
المعتقلون منها ، ليروا البلاد قد أصبحت خراباً . . . ونامت الدنيا ليلة
الأحد ١١ حزيران على أنباء الفجيعة التي أعلنت سقوط الجولان فهزت
ضمير كل صادق ومخلص ، وفتحت في النفس جروحاً هي أبلغ وأكبر من
كل جرح أصابنا بعد سقوط سيناء والقدس .



الفصل الثاني المجالات

« . . . إن الجبهة السورية - الإسرائيلية » خط
ماجينو « السوري المشهور ، الذي كلف البلاد أكثر
من ثلاثمائة مليون دولار ، لتحصينه وتجهيزه بأحدث
المعدات ، والذي اشتهر عنه بأنه لا يؤخذ . . . هذا
الخط سقط بأيدي القوات الإسرائيلية خلال
٤٨ ساعة فقط » . . .

من كتاب « المسلمون والحرب الرابعة ص ١٧١ »

-١- جغرافية الجولان

(أ) الجولان... مقاطعة هامة من الأرض العربية . تابعة للجمهورية العربية السورية ، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي منها . تجاوره من الشمال الغربي أراضي الجمهورية اللبنانية ، ومن الغرب الأراضي المحتلة من فلسطين . ومن الجنوب أراضي المملكة الأردنية الهاشمية .

ويشكل الجولان ، واحدة من ثلاث عشرة محافظة ، وهي التقسيمات الإدارية للجمهورية العربية السورية ، ومركزه (عاصمة المحافظة) : القنيطرة .

(ب) ويقع الجولان في الترتيب الأول بين المحافظات السورية من حيث :

- الأهمية العسكرية .
- خصوبة الأرض وغناها الطبيعي .
- توفر المراعى الغنية طوال فصول السنة .
- وعورة الأرض .
- الغنى بالكنوز الأثرية الدفينة والتي لم يكشف عنها حتى يوم ضياعه .
- تنوع أجوائه ضمن مسافات متقاربة . حتى ليبلغ البعد بين النقيضين (من البارد المثلج إلى الحار الممطر) مالا يزيد عن مسيرة ساعة بالسيارة .
- وفرة الزواحف والحشرات الخطرة وفي مقدمتها الأفاعى والشعابين والعقارب .
- توفر المياه المعدنية وحماماتها .

-- تعدد طوائف وأديان وأجناس سكانه ، فقد احتوى من أهل المذاهب والأديان .

١ - المسلمين السنيين ، والمسلمين الشيعة .

٢ - المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت .

٣ - الدرور .

٤ - العلويين .

ومن الأجناس :

١ - العرب .

٢ - الشراكسة .

٣ - الداغستان .

٤ - الأتراك .

٥ - التركمان .

٦ - الأكراد .

وبأى ترتيبه ثانياً من حيث :

- وفرة الأحراج والتشجير الطبيعي ،

- غزارة الأمطار والثلوج .

- توفر الحيوانات وتنوعها - وخاصة البرية منها - ووفرة الطيور -

المقيمة والوافدة .

- إنتاج الخضار الموسمية وخاصة في فصل الشتاء .

، بأى ثالثاً في الترتيب من حيث :

- كثافة السكان .

توزع السكان على الريف بنسبة تفوق توزعهم على المدن .

- إنتاج المنتجات الحيوانية وخاصة العسل والأسماك .
- ويأتى ترتيبه الأخير من حيث :
- استغلال الموارد والطاقات المتوفرة .
- مساحة أرضه .
- المستوى الثقافى والاجتماعى والحياثى للأكثرية العظمى من سكانه .
- اهتمام الدولة به ، من مختلف نواحي الحياة - عدا ما وقع فى دائرة اهتمامات الجيش .
- (ج) يبلغ طول حدوده مع العدو ثمانين كيلو متراً . . . يمر خلالها خط الهدنة (انظر الخريطة رقم ١) .
- تبلغ مساحته حوالى ١٨٠٠ كم ٢ . ولا يقل عدد سكانه عن ١٠٠ مائة ألف - عدا القوات - أصبحوا اليوم كلهم نازحين مشردين .
- تبلغ كثافة السكان ٧٩ نسمة - كم ٢ .
- (د) من أشهر مدنه :
- القنيطرة وهى مركز المحافظة .
- فيق وهى مركز قضاء الزوية .
- من أشهر قصراه :
- فى القطاع الشمالى : مجدل شمس ، بانياس ، مسعدة ، عين قنية ، حباتا الزيت ، زعورة ، عين فيت .
- فى قطاع واسط : واسط - حفر - قنعة - الدرباشية .
- فى القطاع الأوسط : كفر نفاخ ، العليقة ، الدبورة ، نعران ، جليبينة ، القادرية ، عين السمسم ، السنابر ، الفاخورة ، تل الأعور ، حسينية الشيخ على ، الدوكا ، الخشنية ، القصيبة ، اليهودية .
- فى القطاع الجنوبى : البطمية ، خسفين ، العال ، حيتل ، الياقوصة ، كفر حارب ، الحمة .

— فى قطاع القنيطرة : جببانا الخشب . المنصورة . الصرمان . عين زبوان ، الدلوة ، الموسية ، الجوزة . برقة . بيرعجم . الفحام .

(٥) أهم مصادر المياه فيه :

بالإضافة إلى نهر الأردن ، وبحيرة طبريا ، اللذين يعتبران من أكبر مصادر المياه التى كان سكان المنطقة يستفيدون منها ، هناك مصادر أخرى للمياه (مستغلة أو غير مستغلة) أهمها :

١ — نهر بانياس الذى يشكل ثانى روافد نهر الأردن وينبع من ارتفاع ٣٠٠ م ولا يسير فى الأرض السورية أكثر من ١٠٠٠ متر ويبلغ تصرفه السنوى ١٥٧ مليون م^٣ من المياه العذبة .

٢ — نهر اليرموك الذى يبلغ طوله ٥٧ كيلو متراً يسير منها ٤٧ كيلومتراً داخل الأرض السورية ، معظمها فى الجولان (على حدوده) ، ثم يرفد نهر الأردن جنوبى بحيرة طبريا .

٣ — قناة العفريتية ، وهى مأخوذة من نهر الأردن ، وتروى معظم منطقة البطيحة .

٤ — نهر الزاكية والمسعدية ، ويصبان مباشرة فى بحيرة طبريا .

٥ — بركة (بحيرة) مسعدة ، وهى عبارة عن حفرة كبيرة بركانية تقع على ارتفاع ٩٥٠ متراً ، ويشكل المصدر الأكبر لمياهها ، تساقط الأمطار ، وفى أرضها بعض الينابيع .

٦ — بالإضافة إلى ينابيع وعيون كثيرة ، موزعة فى كل وديانه وقراه ، وتشكل مصادر وفيرة للمياه ، منها ما كان مستغلاً ، ومنها المهمل (وهو الأكثر) ، ومن أهم هذه الينابيع :

— نبع البرجيات وتذهب مياهه مباشرة إلى الأرض المحتلة قرب كفر شامير .

— عين الكبش فى وادى الدبورة ويسيل فى الوادى حتى يلتقى مع ينابيع جليبية وتصب جميعها فى نهر الأردن قرب بستان الخورى .

– نبع الجوخدار وقد كان مستغلا أكثر ما يمكن في تأمين المياه إلى القرى والمعسكرات .

– نبع السنابر ، وكان مستغلا بشكل ممتاز ويروى قرى كثيرة وتزرع على مياهه مساحات جيدة بالأرز ، وذلك في قرى جرابا وسيرة الحرفان والقراعة .

– ينابيع القصبية وهي مستغلة أيضاً بشكل جيد وعلى مياهها يزرع الأرز في منطقة القصبية .

– نبع الدورة (أمام السنابر) . وكانت الفائدة منه محدودة على أحد سفوح وادي حواء .

– ينابيع الحمة . وقد كان أكبر إفادة منها ، في الاستحمام لكونها معدنية . وهي من أجود الحمامات المعدنية في العالم .

(و) أهم الطرق في الجولان :

الطرق المشتركة بين أكثر من قطاع :

١ – الطرق الطولانية (من الشرق إلى الغرب) :

بحيتا – مسعدة ، آتياً من قطنا – بيت تيا – حينة – مزرعة بيت جن (نصف معبد) .

قنيطرة – المنصورة – مسعدة – بانياس . آتياً من دمشق ومستمرّاً إلى مرجعيون (معبد) .

قنيطرة – كفر نفاخ – العليقة – الجمرک السورى – جسر بنات يعقوب ومستمرّاً إلى صفد (معبد) .

قنيطرة – الرفيد – خسفين – العال – فيق – الحمة (معبد) .

٢ – الطرق العرضانية (من الشمال إلى الجنوب) .

مسعدة – واسط – كفر نفاخ (معبد) .

قنعة - حفر - العليقة (ممهد) .

كفر نفاخ - السنديانة - الحشنية (ممهد) .

الدرباشية - جليينة - المرتفع ٢١٧ (ممهد) .

الجمرك السورى - علمين - تل المشنوق - البطيحة مخترقاً لياها وماراً
بالقرى : تل الأعور - حسينية الشيخ على - الدوكا - الكرسى - النقيب
العربية (نصف معبد فيما بين الجمرك وتل الأعور ، ومهد فى باقى أجزائه) .

يضاف إلى ذلك الطريق الموازى لخط أنابيب التابلان ، آتياً من الأراضى
الأردنية ، مخترقاً حوران ، فالجولان ماراً بالجوخدار - البيرة - الرزانية -
رواية - بانياس - الغجر ، ثم يتابع سيره فى لبنان حتى ساحل البحر قرب
الزهرانى جنوب صيدا .

الطرق ضمن القطاعات :

١ - الطرق الطولانية :

فى قطاع واسط :

المنصورة - واسط متفرعاً عن طريق القنيطرة - منصوره - مسعدة -
وهو معبد .

واسط - راية - حفر - الدرباشية (ممهد) .

فى القطاع الأوسط :

كفر نفاخ - عين السمسم - السنابر - أبو فولة - جرابا (معبد) .
الحشنية - القصية - اليهودية (معبد) .

فى القطاع الجنوبي :

سكوفيا - تل - ٦٩ - الكرسى (ممهد) .

في قطاع القنيطرة :

- دمشق - القنيطرة مروراً بالحميدية ومنها يتفرع على النحو السابق إلى :
- بانياس : وجسر بنات يعقوب ، والحمّة (معبد) .
 - أوتوستراد الحميدية - المنصورة (معبد) .
 - أوتوستراد - الحميدية - الصرمان (معبد) .

٢ - الطرق العرضانية :

في القطاع الشمالي :

- بانياس - تل العزيرات - البرجيات (مقابل كفر شامير) (ممهد) .

في القطاع الأوسط :

- الجمرك السوري - السناجر (ممهد) .
- جسر بنات يعقوب - أبو فولة مروراً بنقطة استناد أشرف حمدي (ممهد) .

في القطاع الجنوبي :

- خسفين - جسر الرقاد - تسيل (جزء معبد والآخر ممهد) .
- العال - حيتل - كفر الميا (نصف معبد) .

في قطاع القنيطرة :

- حضر - جباتا الخشب - خان أرينبة - جبا (ممهد) .
- الصرمان - بئر العجم - بريقه - كودنا (ممهد) .

(ز) أهم المناطق الصالحة للزراعة :

١ - سهل المنصورة .

٢ - بانياس .

٣ - الشريط الموازي للحدود من بانياس شمالاً وحتى جسر بنات يعقوب ثم من علمين وحتى مصب نهر الأردن في بحيرة طبريا . ومن أبرز مناطق هذا الشريط : منطقة الدرباشية - منطقة جليبينة - منطقة علمين - منطقة الدكة وحتى مصب النهر .

٤ - منطقة العليقة - كفر نفاخ - القادرية .

٥ - منطقة الدهمية - عين وردة .

٦ - الحشنية .

٧ - سهل المطيحة والسفوح الشرقية المطلة عليه (وهذه أغنى نقطة في الجولان كله) .

٨ - سهول الرفيد وخسفين والجوخدار . والعال وفيق .

(ح) أشهر المحاصيل الزراعية التي كانت تلتجها الجهة (الجولان) :

١ - الفواكه وخاصة التفاح والكرز من منطقة مجدل شمس والقرى التي حولها حتى مسعدة .

٢ - الزيتون واللوز من الوديان المنتشرة في كل الجولان .

٣ - الموز والحمضيات وأكثر المناطق إنتاجاً لها : البطيحة .

٤ - القمح والشعير والذرة .

٥ - الفول السوداني وأكثر المناطق إنتاجاً له منطقة بانياس .

٦ - الخضار وأهم المناطق إنتاجاً لها البطيحة وكانت تزود دمشق بها شتاء .

٧ - الأرز ، وأهم المناطق إنتاجاً له منطقة القصيبة ، والسنابر وسيرة الحرفان .

(ط) أشهر المحاصيل الحيوانية :

- المواشي (وخاصة الأبقار) .

- الأسماك وأهم المناطق إنتاجاً لها هي البطيحة .

— العسل ، وأهم المناطق لإنتاجاً له القنيطرة . ومجدل شمس . ونعران .
وسنابر ، والدرباشية . يضاف إلى ذلك كميات محدودة من الألبان والسمن
والجبن ، أكثرها يستهلك محلياً .

(ى) أكثر الأشجار انتشاراً فى الجهة (الجولان) هى :

- ١ — الأحراش : وتضم فى غالبيتها أشجار السنديان ، والبلوط ،
والسماق ، والزعرور ، ومن أشهر الأحراش فيها حرش مسعدة . وحرش
عين زيوان ، وحرش المومسية — جوية — بريقة — بير عجم . وكذلك
أكثر الوديان التى تخترق الجهة من الشرق إلى الغرب كانت مغطاة بالأحراش .
- ٢ — الأشجار المزروعة غير المثمرة : كان من أهمها الكينا والخور .

(لـ) أهم الأجواء التى تسود تلك المنطقة هى :

- البارد الثلج فى منطقة القنيطرة ومسعدة ومجدل شمس .
البارد الممطر فى واسط — كفر نفاخ ، القادرية — الحشمية .
الحار الرطب غزير الأمطار فى منطقة البطيحة والحمة .
الحار الجاف فى باقى المناطق وخاصة سهول خسفين — العال — حيتل .

(لـ) أهم التلال ذات القيمة العسكرية :

- ١ — فى القطاع الشمالى : تل الفخار ، تل الأحمر (أمام بانياس) ، تل
العزيزات مضافاً إليه تل الأحمر قرب بقعاتا الذى تكمن أهميته فى أنه أقيم
فيه مرصد قائد الجهة للإشراف على قتال القطاع الشمالى .
- ٢ — فى قطاع واسط : تل شيان ، مرتفع الدرباشية .
- ٣ — فى القطاع الأوسط : مرتفع الدبورة ، مرتفعات جليبينة ، المرتفع
٢١٧ ، مرتفع أم العسل ، تل المشنوق ، تل ٦٢ ، تل الأعور .
- ٤ — فى القطاع الجنوبى : تل الفرس وفيه مرصد قائد الجهة للإشراف
على قتال القطاع الجنوبى . تل السقى ، تل — ٦٩ ، مرتفعات سكروبا :

و بير شكوم . مرتفعات كفر حارب و مررعة عز الدين . مرتفعات العقبات
التي تتحكم ببداية الطريق النازل إلى الحمة .

٥ - في قطاع القنيطرة : مرتفع خان أرينة . تل النبي محمد . تل العرام .
تل أبي الندى . وفيه أقيم المرصد الأساسي لقائد الجبهة . تل خنزير وفيه
مرصد قائد الجبهة للإشراف على قتال القطاع الأوسط .

-٢- دور الجولان

... لعلنا لا نجد في تاريخ الشعوب العربية . . . وعلاقتها بالأرض التي نقلها وتنبت لها الخيرات وتضم رفاتها . . . منطقة كانت ذات أثر حاسم وفعال . وجزءاً من الأرض لعب أخطر الأدوار في صنع تاريخها الحديث ، مثل الجولان . . .

وإنني لا أبالغ فيما أقول . . . وسأسوق الأدلة على ذلك .

فالجولان . . . لعب دوراً خطيراً جداً في الأحداث المتعاقبة على سوريا . منذ قيام دولة الاغتصاب . . . وحتى يوم النكبة .

ففي الجولان . . . نبئت الفكرة الأولى لأكثر الانقلابات التي شهدتها سوريا . . . وفيه حبكت الخيوط الأساسية لتلك الانقلابات .

فأكثر الضباط الذين كان لهم دور خطير في الانقلاب الأول وعلى رأسهم الزعيم حسني الزعيم قائد الجيش والعقيد بهيج كلاس ، تفتحت أبصارهم على سوء أوضاع الجيش . . . نظراً لما شاهدوه خلال تمرکز وحداتهم في الجولان . . .

ومن أجل خط أنابيب بترول التابلاين ، التي تمر في الجولان ، ومن أجل توقيع اتفاقية الهدنة بين سوريا وإسرائيل . . . بالشكل الفاضح المححف بحقوق سوريا وعرب فلسطين . . . من أجل هاتين نفذ حسني الزعيم انقلابه الأول منطلقاً من الجولان إلى دمشق . . . ووقع اتفاقية الهدنة ، واتفاق التابلاين . . . بعد أن رفضها المجلس النيابي السوري في شباط عام ١٩٤٩ . . . ثم أزيح بعد أن أدى مهمته . . .

ومن الجولان ، عام ١٩٥٣ ، انطلقت المدافع تعترض سبيل العدو ، وتمنعه من تنفيذ مشروعي تخفيف الحولة وتحويل نهر الأردن ، حتى اضطر العدو إلى طرح القضيتين أمام مجلس الأمن الدولي . . . واستأثر الموضوع باهتمام العالم مدة لا تقل عن سنة . . . واستطاع الجيش السوري أن يوقف أعمال العدو في جزء خاص من تخفيف الحولة . وفي المرحلة الأولى والأهم من مشروع تحويل نهر الأردن ، وأجبرت العدو على لإدخال تعديل كبير جداً على مخططاته لهذا المشروع .

وفي الجولان . . . بدأت التجمعات الأولى ، التي أعدت للإطاحة بحكم أديب الشيشكلي ، رغم أن الشرارة الأولى لذلك الانقلاب ... خرجت من حلب . . . ولكن ثقل الجبهة (الجولان) ، كان إلى جانب الانقلاب . . . فنزل الشيشكلي عن الحكم .

وفي الجولان . . . وعلى أرضه الكريمة ، حدثت الإغارة الإسرائيلية الكبيرة ليلة ١١ - ١٢ - ١٩٥٥ وكان من نتائجها بداية تسلط البعثيين على الحكم والجيش . . . تستراً وراء العقيد عدنان المسالكى . ولعل ذلك كان واحداً من أهم أهدافها ؟

وفي الجولان . وبسبب أرضه وجواره (المنطقة المجردة) ، تابعت الصدامات العنيفة . . بين سوريا وإسرائيل . . تفاوتاً في القوة بين الاشتباك الصغير المحلي . . والاشتباك الشامل الذي يعم الحدود أو جزءاً كبيراً منها . . وكان من أبرز هذه الاشتباكات : معارك التوافيق عام ١٩٥٧ ، وعام ١٩٦٠ .

وفي الجولان . . . وبسبب الصراع على المياه والأسماء . . . استمرت أيضاً الصدامات بين الطرفين ، كان أكبر مظهر لها معركة تل النيرب عام ١٩٦١ .

وعلى أرض الجولان . . . بدأت التجمعات الأولى للضباط اليساريين ، وحبكت خيوط التعاون بينهم ، لإسقاط الأوضاع الديموقراطية ، وفرض ديكتاتورية اليسار . . . وكان ذلك في الأعوام (١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧) .

وشهد الجولان استعدادات للتدخل ضد العدو أكثر من مرة ، كان أبرزها ، الحشد الكبير الذي تم في عام ١٩٥٦ ، خلال العدوان الثلاثي على مصر .

وكان للجولان أيضاً أثر كبير جداً في الضغوط التي مارسها العسكريون لفرض الوحدة بين مصر وسوريا . . . حتى توجت جهودهم بإعلانها عام ١٩٥٨ .

وعلى أرض الجولان . . . ومنذ بداية الوحدة ، سقط الشهداء من أبناء الإقليمين . . . وكانت البادرة الأولى ، مبشرة بتحقيق الارتباط الدموي المتين بين أبناء الوطن الواحد . . . امتزاجاً بالتراب الطاهر . . . على الحدود ضد العدو الدخيل .

وفي الجولان . . . نبتت وترعرعت الأفكار التي اتجهت نحو تقويم أوضاع الوحدة بعد انحرافها وتشويهها بأيدٍ معينة (خفية وبارزة) . . . وكانت تلك اللقاءات . . . هي النواة الأولى في كيان الحركة التي وقعت في أيلول لعام ١٩٦١ وكان من نتيجتها انفصال الإقليمين ، وفصم عرى تلك الوحدة .

وفي الجولان . . . وقعت أحداث في غاية الخطورة ، كان لها الأثر الحاسم الفعال في تحديد خط سير الأحداث ، خلال فترة الانفصال وبعده . . .

وعلى أرض الجولان . . . تمت اللقاءات الخطيرة بين الضباط العراقيين والسوريين ، وفيها تم نسج خيوط التعاون لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم في العراق ، وحكم الانفصاليين في سوريا (١) .

ومن أرض الجولان . . . انطلقت الوحدات ليلة الثامن من آذار ١٩٦٣ ، لتنفذ المؤامرة الكبرى ، تحت ستار من الشعارات الكاذبة المضللة على نحو نوهنا عنه في صفحات مضت .

(١) كان ذلك في ربيع عام ١٩٦٢ ، وبمناسبة زيارة وفد من الضباط العراقيين للجنة السورية ، عقب معركة تل النيرب التي وقعت بين سوريا وإسرائيل ليلة ١٦ - ١٧ - ١٩٦٢ .

وعلى أرض الجولان . . . كان مقرراً أن تقوم المشاريع الضخمة لتحويل مصادر مياه نهر الأردن . . . ليتم حرمان العدو من مشاريعه التوسعية الخطيرة . . . وفي مقدمتها مشروع تحويل نهر الأردن .

وشهدت أرض الجولان . . . صدامات عنيفة ، واعتمادات متكررة ، حقق العدو منها منع العرب تنفيذ مشاريعهم في تحويل منابع المياه ، وكان لذلك أثره وصداه العميقان في ضمير كل مواطن في دنيا العرب .

وعلى أرض الجولان ، تمت تصفية عدد كبير من العسكريين ، قتلاً ونسرحاً وتعذيباً . . . بأيدي جلادى حزب البعث الذى حكم سوريا اليوم ، تمهيداً لإضعاف قوة الجولان ، ثم تسليمه للعدو . كما اتفقا عليه .

وفي أرض الجولان ، دفنت ملايين الليرات (للتحصين) ، وعلى أرضه وذراه وروايه ، وفي وديانه ومنحدراته أقيمت المنشآت المختلفة ، لإيواء الناس والقوات . . . استعداداً لساعة محنة يطلب فيها الصمود . . . ولكن جيش حزب البعث لم يصمد . . . فسلم الجولان للعدو ، غنيمة سهلة ثمينة .

وعلى أرض الجولان . . . تم تنفيذ المسرحية الكبرى في تاريخ المسرح الدولى . . . مسرحية الحرب التى سموها (عدوان هـ حزيران) . . . وكان الختام المقرر لهذه المسرحية . . . تسليم الجولان . . . بالتام والكمال ، كما اتفق عليه وكلاء حزب البعث ، مع وكلاء إسرائيل . . . في باريس .

ذاك كله . . . وأكثر منه بكثير وأخطر . . . كانت أرض الجولان مسرحاً له ، مما ليس هذا مجال ذكره ، وفي الصفحات القادمة ، سنشرح جزءاً خطيراً منه . . . وهو الجزء المتعلق بحرب حزيران عام ١٩٦٧ ، على أمل لقاء آخر ، نشرح للقارىء فيه أسرار وخفايا الجولان . قبل الخامس من حزيران .

* * *

- ٣ -

لمحة تاريخية عسكرية

ويرجع تاريخ اهتمام الجيش بالجلولان ، ودخول هذه المنطقة في حيز الاهتمامات الكبرى للدولة السورية ثم لمجموع الدول العربية . . . إلى أوائل عام ١٩٤٧ ، حيث بدأت عصابات مسلحة بقيادة أكرم الحوراني وأديب الشيشكلي مهاجمة بعض المستوطنات اليهودية قرب الحدود السورية الفلسطينية ، ثم تركز الاهتمام على الجلولان منذ ١٦ أيار ١٩٤٨ حيث دخل الجيش السوري أرض فلسطين المحتلة للاشتراك في الحرب ضد إسرائيل ، وكانت أهم انطلاقات القوات السورية من أرض الجلولان .

واسكن حين تدخلت القوى الاستعمارية وفرضت وقف القتال ، ثم الهدنة ، تحوات القوات السورية إلى اتخاذ الموقف الدفاعي ، حماية لحدود الأرض السورية من أى هجوم يقوم به العدو ، وخاصة لابتلاع الأراضي المجردة ، ذات الأهمية الكبيرة .

ولقد خضعت أعمال القوات وواجباتها الدفاعية وأماكن تركزها ، وأعمال التحصين في الأرض لعوامل ومؤثرات عديدة تعاقبت عليها ، حتى استقرت منذ عام ١٩٥٤ ، على تقسيمات عسكرية قسمت الجبهة (الجلولان) إلى قطاعات أربع هي :

الشمالي : وقيادته في مسعدة .

الأوسط : وقيادته في العليقة .

الجنوبي : وقيادته في المال .

قطاع القنيطرة الذي يضم قيادة الجبهة .

ولكن هذا التقسيم عدل في خلال سنى الوحدة ، وأصبحت القطاعات خمسة وهى :

الشمالى : وقيادته فى مسعدة .

قطاع واسط : وقيادته فى واسط .

الأوسط : وقيادته فى العليقة .

الجنوبى : وقيادته فى العال .

قطاع القنيطرة : ويضم قيادة الجبهة ومركزه الرئيسى القنيطرة .

وكانت الأحداث الكبرى فى تاريخ الجولان التى كان لها صدى ووقع فى العالم ، واهتمام على مستوى الجامعة العربية ، هى على التالى :

١ - توقيع الهدنة الدائمة بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٤٩ .

٢ - مشروع العدو لتجفيف الحولة ، وقد أتمه رغم كل اعتراضات سوريا والدول العربية والدول المؤيدة لها . وكان ذلك منذ عام ١٩٥٢ .

٣ - أعمال العدو للبدء بتحويل نهر الأردن ، وقد تصدى لها الجيش السورى وانتقل النزاع إلى أروقة مجلس الأمن . . . واستطاعت سوريا إجبار العدو على وقف الأعمال فى الجزء الأول من هذا المشروع ، وهو الجزء الواقع فى مواجهة الجولان ، ويشكل اعتداء على قسم من الأراضى المحررة العربية ، وعلى المياه العربية فيما لو نفذ .

٤ - هجوم العدو على الحمة ومحاولة احتلالها ، ورد ذلك الهجوم ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٣ .

٥ - الإغارة الكبرى التى قام بها العدو على منطقة البطيحة وسكوفيا (شمال شرق بحيرة طبريا) بتاريخ ١١ - ١٢ - ١٩٥٥ ، وقد أدان مجلس الأمن العدو لإدانته واضحة عقب ذلك الهجوم .

٦ - مشاكل التوافيق التى أسفرت عن اشتباكات عنيفة مع العدو خلال عامى ١٩٥٧ و ١٩٦٠ .

٧ - معركة تل النيرب عام ١٩٦١ ، وفيها هاجم العدو موقع تل النيرب شرق بحيرة طبريا ، وفشل فيها هجومه وكانت خسائره كبيرة ، وكان نصراً للمدفعية السورية فريداً من نوعه في تاريخ الجيش .

٨ - هجوم الطائرات العدو على الجبهة (منطقة بانياس) ، في ١٣ - ١١ - ١٩٦٤ ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها الطائرات المعادية النابالم ضد القوات السورية . وقد كان موقف طيران حزب البعث في الهجوم في غاية الذلة والخزي .

٩ - هجوم العدو بالطائرات على مواضع ومشاريع تحويل روافد نهر الأردن (منطقة بانياس) وتدميره المنشآت العربية والآليات التابعة لها ، وقد أسفر عن توقف سوريا عن متابعة المشروع رغم دعم الجامعة العربية لها وكان ذلك في أيام ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٥ - ١٩٦٥ .

١٠ - وأخيراً .. المؤامرة التي سميت « حرب الخامس من حزيران » عام ١٩٦٧ . وكانت نتيجتها تسليم الجولان للعدو ، بعد مسرحية قتال ، بلغت غاية السخف والهزال .

- ٤ -

أسباب تكالب العدو على الجولان

ترجع أهمية الجولان ، وأسباب تكالب العدو حتى حصل عليه ، لأسباب هامة نوجزها فيما يلي :

(أ) الأسباب الدينية : فالعدو يعتبر الجولان ، من الأرض التي يزعمون أنهم وعدوا بها على لسان أبيهم إسرائيل ، وآبائه إسحاق وإبراهيم : « في ذلك الوقت قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (١) .

« الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً : كفناكم قعود في هذا الجبل . تحووا وارتحلوا وادخلوا جبل الآموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات . انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم » (٢) .

(ب) الموقع السوقي (٣) :

يتمتع الجولان بموقع جغرافي فريد من نوعه ، فهو يسيطر على أهم مصادر المياه التي تزود فلسطين ويسيطر سيطرة مطلقة على القسم الأعظم من شمال فلسطين وخاصة سهل الحولة والسفوح الشرقية للجليل الأعلى .

(١) سفر التكوين : الإصحاح ١٥ .

(٢) سفر التثنية : الإصحاح الأول .

(٣) الاستراتيجرى .

هذا من ناحية الأرض المحتلة ، أما من الناحية المقابلة ، فإن العدو الذى ملك الجولان ، أصبح مصدر خطر كبير على كل من دمشق ودرعا ، لأن الطريق إليهما قد أصبحت أمامه مكشوفة ليس فيها أية عقبات تعترض تقدمه إليهما - اللهم سوى ما تقيمه القوات فى وضع دفاعى .

(ج) الغنى الطبيعى :

١ - فالجولان يتمتع بوضع طبيعى عجيب ، فى تلك المساحة الضيقة الصغيرة من الأرض ، يجد المرء تنوعاً كبيراً فى الأجواء .

فى الشتاء ، تجد الأجواء الثلجة الباردة فى القنيطرة ومسعدة ومجدل شمس ، إلى جانب الجو الدافئ الممطر فى باقى المناطق . وفى الصيف تجد الجو اللطيف المعتدل حيث كانت الثلوج فى الشتاء ، وبجانبه الحار الرطب فى وادى الأردن والبطيحة ، والحار الجاف فى باقى المنطقة .

والمسافر من القنيطرة إلى الحمة مثلاً - ولا تزيد المسافة عن ستين كيلومتراً - يجد نفسه يمر بتنوع غريب فى الجو والأرض .

فن الأحراش المتباعدة إلى الأحراش الكثيفة إلى الأراضى الجرد ، إلى السهول المنبسطة فالوديان السحيقة ، ومنها ما تزين مجارى المياه قاعه ، ومنها ما تغطى الأشجار جانبيه . هذا التنوع فى طبيعة الأرض ، الذى جمع كل صور الجمال والطبيعة ، كاف لجعله منطقة سياحية هامة ، وهو أحد الأسباب التى جعلت العدو يتلمظ عشرين عاماً حتى حصل عليه بالمؤامرة لا بالحرب .

٢ - والجولان يتمتع بغنى كبير - نسبة لصغر مساحته - بالطيور (الوافدة والمقيمة) ، وبأنواع الحيوان الأخرى ، كالأرنب والغزال وحتى البقر الوحشى .

٣ - ومن أبرز مظاهر غنى الجولان ، هى المياه المعدنية فى الحمة التى تحتوى على نسبة جيدة من اليورانيوم والراديوم وهى بحد ذاتها من أفضل ينابيع المياه المعدنية فى العالم ، وأكبر حمامات معدنية فى الشرق الأوسط كله .

وتصلح لتكون من أفضل مراكز السياحة الشتوية في كل الأرض التي استولت عليها إسرائيل .

هذا بالإضافة إلى مصادر المياه الأخرى التي أشرنا إليها في صفحات سابقة .

٤ - ولا يقل غنى الجولان في تربته عن البقاع الخصبة النادرة في العالم . ولأضرب مثلاً على خصوبة تلك الأرض ، أقول : أن الذرة الصفراء ، حين كان زرعها الفلاحون ، كان يزيد طول ساق الواحدة منها عن أربعة أمتار ، وتحمل من (العرائيس) مقادير عالية جداً ، رغم بدائية طرق الاستنبات .

وإن أنس لا أنس يوماً زرعت فيه حبات من عباد الشمس (دوار الشمس) ، فلقد نما عودها حتى بلغ في الطول ما يفوق ثلاثة أمتار ، وفي غلظ الساق ما لا يقل عن ٦ - ٧ سنتيمترات . وكانت غلة القرص الواحد كيلوجرام من البذر الجاف .

فالخصوبة فائقة الحد ، وقدرة الأرض على الإنبات عجيبة . وكان سكان البطيحة يستغلون الأرض ثلاثة مواسم في العام على الأقل ، دونما تقويتها بسماد يذكّر .

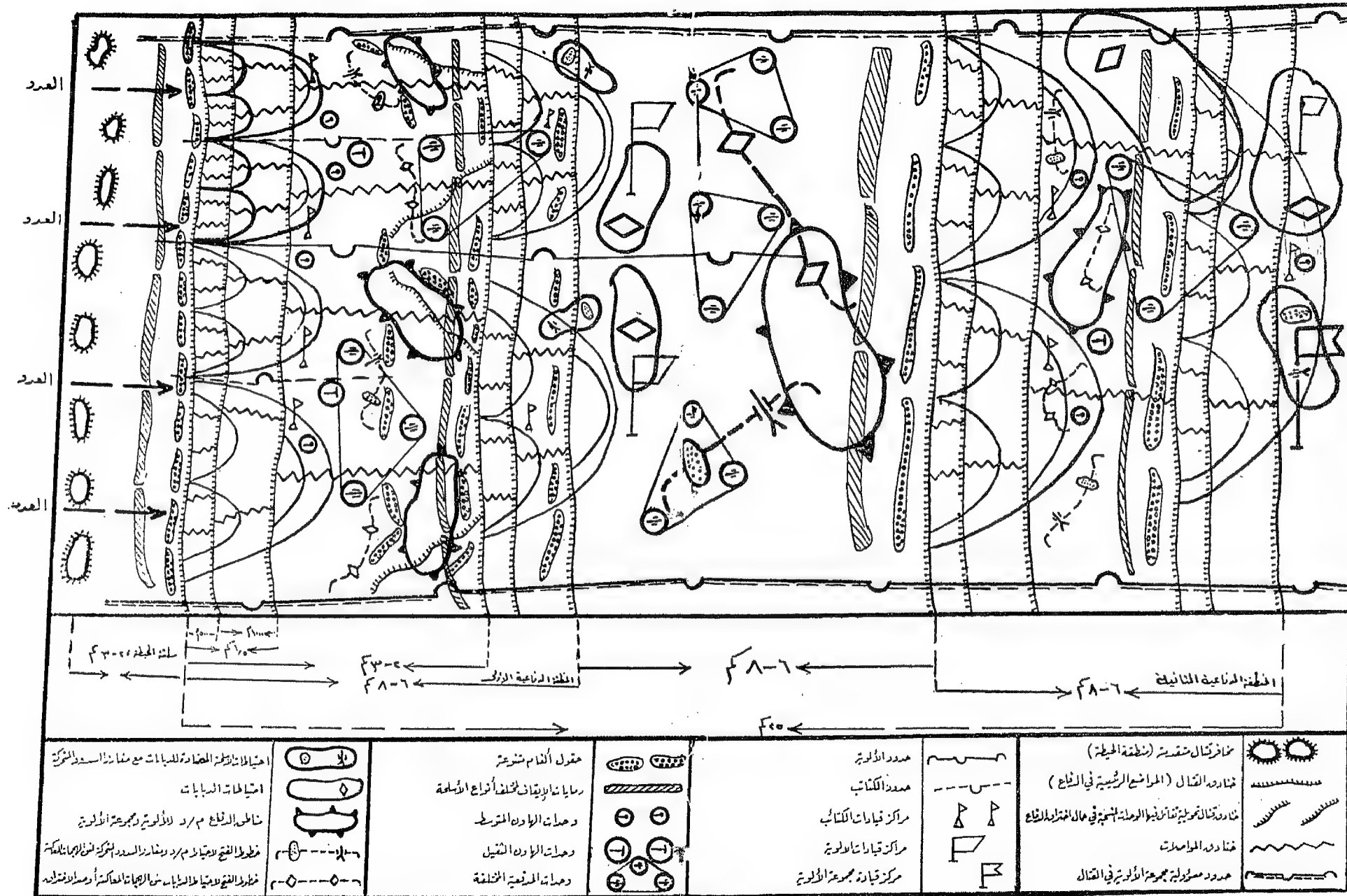
ولقد قال عنها الجنرال كارل فون هورن ، كبير المراقبين الدوليين ، في كتابه (الخدمة العسكرية من أجل السلام) :

(إن كل شبر من تلك الأرض ، يساوي منجماً من الذهب لكثرة ما يغل من الحبوب) .

(د) الغنى الأثري : ولعل من أكبر أسباب اهتمام العدو بالجولان وتكاليه عليه ، هو غناه الأثري ، الأمر الذي يجله كل الناس ، فليس في كل أجزء سوريا منطقة غنية بالآثار المغمورة مثل الجولان .

وكثيراً ما كنا نكتشف منشآت أثرية أو دلائل عليها خلال أعمال الحفر

نموذج (مدرسي) لتنظيم الدفاع حسب الأسلوب الشرقي



التي كنا نقوم بها للتحصين ، وكثيراً ما أخبرنا قادتنا عن تلك الآثار ، وطالبناهم إبلاغ مصلحة الآثار عنها ... ولكن لا حياة لمن تنادى .

ومن أهم الآثار التي شاهدناها ، هي الآثار الرومانية والمسيحية ، وخاصة المقابر الملأى بالثروات والقطع الذهبية . ويتحدث سكان بعض تلك المناطق عن أناس كثيرين ممن اكتشفوا في السابق كنوزاً من هذه ، فحملوها وسافروا إلى تركيا ، كما يتحدثون عن آثار كثيرة مطمورة ، وكانوا يحددون لنا أماكنها بدقة لا تحتاج لأكثر من إجراء الحفريات لكشفها . ولكننا لم نل ذلك الوقت والإمكانات والصلاحيات للقيام بذلك ، ومصلحة الآثار لا تعلم ، أو تعلم ولم تفعل شيئاً ؟ .

ولعل من أهم الآثار البارزة في الجولان ، قلعة النمرود ، تلك القلعة العجيبة ، التي تحتوى على آثار فينيقية ، وإسلامية ، و صليبية معاً ، وتقع قرب بانياس على مرتفع من الأرض لا تصله إلا العقبان ، وتشرف من موقعها على شمالي فلسطين كله ، حتى ساحل البحر الذي يمكن رؤيته خلال أيام الصحو في الصباح ، في منظر يكاد يخلب لب الناظرين إليه ..

الفصل الثالث

قبل سقوطه

« . . إن سورية تسيطر على سلسلة من التلال الصخرية الشديدة الانحدار ، تمتد لمسافة أربعين ميلا ، وتشرف على سهول منكشفة للنيران ، وعلى جوانب التلال خطوط دفاعية مستقلة بعضها فوق بعض ، وكل خط منها تحميه ثلاث طبقات من الألغام ، وأسلاك شائكة واستحكامات منيعة ، وللوصول إلى الطبقة العليا يجب عبور تسعة خطوط « ماجينو مصغرة . . »

مجلة « تايم » أول أيلول ١٩٦٧

عن كتاب : « المسلمون والحرب الرابعة ص ١٧١ »

الإعداد المسبق لمنع سقوط الجولان

... واول أن الجيش (البطل) صمد في وجه العدو ساعة عن كل مليون من الليرات التي أنفقتها في تحصين الجبهة وتقويتها .. لكان قد أدى الأمانة التي تصدى لحملها عشرين عاماً قبل النكبة الأخيرة .. ولكان قد أسهم في تحطيم أسطورة التفوق العسكري للعدو ... ولكان حقق فعلاً أسطورة اختراق الجبهة وتحطم رأس كل غاز على صخورها .

ولكن ما الحيلة مع جيش المراهقين .. ؟ وهل يمكن أن ننتظر الاستيصال من جيش يشعر بقرارة نفسه أنه دخيل على الشعب ومفروض عليه بقوة السلاح .. ويتمتع بامتيازات ترفعه عن باقي أبناء الشعب .

الجبهة محصنة تحصيناً فريداً من نوعه .. كل شبر من أرضها مضروب بالنيران ، وكل ثغرة بين موقعين دفاعيين محمية بالألغام ، والألغام مضروبة بالنيران .. على كل محور يمكن أن يتقدم منه العدو ، حضرت الرمايات الهائلة من مختلف الأسلحة ، وزرعت الأجساد والأسلحة بكثافة تدعو للدهشة .. كل ذلك ... من أجل ساعة خطر كالتى وقعت في حزيران العار ... ولكن جيش (معلمي المدارس) هرب ، ولم يقاتل .

ولكى نتبين خطورة المؤامرة وعمقها وشمولها .. وقبل أن نشرح الذى حدث خلال أيام الحرب (المسرحية) سأحاول أن أرسم للقارى صورة الجهود التى بذلت والإمكانات الهائلة التى وضعت خلال العشرين عاماً التى سبقت النكبة من أجل تحصين الجبهة وجعلها سداً لا يمكن اختراقه .

فالتحصينات والنيران والمدافع زرعت ابتداء من الخطوط الأمامية التى هى تماس مباشر مع العدو . وفي السنوات الأولى من احتلال الجيش للجولان ، كانت التحصينات وطريقة تنظيم المواقع الدفاعية وخطة قتالها ومناوراتها وتعاونها .. ذلك كله كان مبنياً على الأسلوب الغربى الذى ورثه جيشنا عن الجيش الفرنسى بعد الاستقلال . والذى يعتمد على إقامة نقاط استناد محصنة وقوية وقادرة على التعاون فيما بينها بالنيران لسد الثغرات وتحقيق المناورة خلال القتال الدفاعى .

ولكن منذ عام ١٩٥٧ .. ومع تسلط اليسار على الحكم .. دخل عنصر جديد في حياة الجيش ، وهو التسليح الروسى ، الذى تبعه - لزاماً - أسلوب القتال الروسى ، وأخذت القوات تتدرب بالاستعانة بالخبراء الروس على هذا النوع من القتال .

ومن تحصيل الحاصل أن يمتد التغيير إلى طبيعة تمرکز القوات في الجبهة وأساليب التحصين ، ونخطة قتالها .. وقد بدأ ذلك فعلاً ، واعتمدت خطة الدفاع على أساس أن الجبهة (بعمقها الطبيعي) ، تشكل منطقتين دفاعيتين مضافاً إليها منطقة حيطة (١) .

١ - فتنطقة الحيطه هي المنطقة التي تبدأ من خط الهدنة وبعمق ٢ - ٣ كم وتشتمل على مجموعة من المخافر ومواقع الدفاع . واجبها الإنذار والقتال التأخري ، وتحتلها قوات الحرس الوطنى شبه النظامية ، وسيرد تفصيل آخر لهذه المنطقة في الصفحات الآتية .

٢ - وأما المنطقة الدفاعية الأولى فتحتلها وتقاتل فيها ألوية النسق الأول لمجموعة الألوية ، وتشتمل على موضعين دفاعيين ، كل منهما يشتمل على ثلاثة خنادق .

الخنديق الأول وهو خط الدفاع الرئيسى والأهم والأكثر كثافة وتركيزاً بالسلح والرجال والنيران والموانع ، وواجبه صد العدو وكسره هجومه ومنعه من الاختراق ، وتحتله الفصائل الأمامية من السرايا الأمامية من كتائب الدفاع الأمامية .

والخنديق الثانى ويبعد عن الأول ٥٠٠ م وواجبه مساندة الخندق الأول وسد الثغرات وتغطية الأرض فيما بينه وبين الأول ، وإذا اخترق الخندق الأول يتحول الخندق الثانى إلى أول بصورة آلية ، وتحتله الفصائل الخلفية من السرايا الأمامية .

والخنديق الثالث ويبعد ١٠٠٠ م عن الثانى وتحتله السرايا الخلفية من كتائب الموضع الأول ، ومنه تنطلق هذه السرايا لتنفيذ الهجمات المعاكسة في حال حصول الاختراق ، وفيه تدافع لمنع العدو من متابعة التقدم فيما لو سقط الخندقان الأولان .

وبذلك يكون عمق الموضع الأول للواء المشاة ٢ - ٣ كم تحتله كتيبتان مع الأسلحة الملحقه .

(١) انظر المخطط المدرسى النموذجى المرفق .

وأما الموضع الثاني فيبعد عن الموضع الأول ٢ - ٣ كم وتحتله المكتبية الخلفية من اللواء ويشبه في تنظيمه الخطي ، الموضع الأول ، وفيه أو قريباً منه تتمركز قيادة اللواء والوحدات الأخرى المعدة لتنفيذ الهجمات المعاكسة .

وفيما بين الموضعين ، وخلف الموضع الثاني تتمركز وحدات المدفعية وتقع منطقة الدفاع م - د ، والأسلحة المضادة للطائرات .. وخطوط انتشار الدبابات واحتياط أ ل م - د (١) وخطوط الفتح لشن الهجمات المعاكسة. إلخ .

٣ - وتكوين المنطقة الدفاعية الثانية لا يختلف عن الأولى إلا أنها تكون عادة أقل كثافة بالأساحة ، وتبتعد عن المنطقة الأولى ٦ - ٨ كم وعمقها كذلك ، ويحتلها اللواء الخلفي من مجموعة الأولوية مع الوحدات الملحقه ومنها تنطلق الهجمات المعاكسة الكبيرة (تنقذها الأولوية) وبينها تتمركز وحدات المدفعية التابعة لمجموعة الأولوية وتقع كذلك منطقة الدفاع م - د لمجموعة الأولوية وخطوط انتشار الدبابات واحتياط أ ل م - د العائدة لمجموعة الأولوية أيضاً .. وخطوط الفتح لشن الهجمات المعاكسة ... إلخ .

ولشرح تنظيم الدفاع على أرض الجبهة ، سنأخذ مثالا لقطاع الأوسط .

فالقطاع الأوسط اعتبر محور الجهد (٢) في خطة عمليات الجبهة ، وكان يحتله اللواء الخامس عشر ، وقد نظم دفاعه على الأساس التالي :

١ - منطقة الحيطه وتشمل مخافر جليبينة ، الدريجات ، الحصن ، مرتفع ٢١٧ ، علمين ، تل المشنوق ، المرتفع ٦٢ ، (تل الشعير) منطقة البطيحة ، ويضاف إلى هذه المواقع المخافر الصغيرة الأمامية التي سميت بـ (الجيمات) ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ ... والتي كان دورها مراقبة الحدود مباشرة في النهار ، ونصب الكمان على طرق التسلل في الليل .

(١) م - د : الأسلحة المضادة للدبابات .

(٢) محور الجهد : هو الاتجاه الأساسي والأهم ، الذي يتم عليه أكبر تركيز في القوات المساعدة والنيران (في الهجوم والدفاع) بنوّة تحقيق المهمة القتالية للوحدات على أفضل وجه .

٢ - الموضع الدفاعي الأول وهو منطقة : مرتفع نذير وجيار الجحرك
- أشرف حمدي - الدورة - السنابر .

٣ - الموضع الدفاعي الثاني و : منطقة دير سراس - نعران - العليقة .

٤ - منطقة الدفاع م - دلواء : هي منطقة الأبراج .

٥ - خطوط انتشار الدبابات واحتياط الدم - د منطقة نعران .

٦ - مراض المرفعية : نعران - دير سراس - وادي حواء - الفاخورة .

٧ - مريض الهاون - ١٢٠ م : جورة أم العسل ، فرع وادي حواء
غرب السنابر .

ثم لنأخذ مثالا على الموضع الأول هو قطاع الكتبية ١٣ ويشمل نقاط
الاستناد : أشرف حمدي - الدور - السنابر الشمالية . وتحتل كل نقطة من
هذه النقاط سرية مشاة مع أسلحة التعزيز .

... ولشرح التحصين بصورة مفصلة ، نأخذ مثالا على ذلك نقطة
استناد أشرف حمدي ، وهي نقطة قوية وتقع في الموضع الدفاعي الأول ،
وعلى محور جهد القطاع الأوسط الذي هو بدوره محور جهد الجهة .

... هذه النقطة كانت تحتلها القوى الآتية :

سرية + فصيلة مشاة (١) + فصيلة رشاش متوسط (٢) + فصيلة دفاع
م - د (ب ١٠) (٣) فصيلة دفاع م - ط . ١٢٠٧ م (٤) + جماعة

(١) السرية المشاة يقارب عددها المائة وهي ثلاث فصائل والفصيلة ثلاث جماعات .

(٢) فصيلة الرشاش المتوسط هي وحدة ملحقة على السرية من قبل الكتبية (الكتبية ثلاث
برايا والواء ثلاث كتائب) .

(٣) فصيلة الدفاع م - د هي وحدة إضافية ملحقة على السرية من قبل الكتبية .

(٤) فصيلة الدفاع م - ط هي وحدة إضافية ملحقة على السرية من قبل الكتبية والرمز
م - ط يعني المدعمة المضادة للطائرات .

م - د ت ٢١ وصع (١) + جماعة قاذفات اللهب الثقيلة المضادة للآليات (٢)

ولقد كان تمرکز هذه القوات على الشكل التالى :

الخنديق الأول : وقد حفر على حدود النقطة فى اتجاه الغرب والجنوب الغربى (٣) وبعيداً عن الأسلاك الشائكة ١٥ - ٢٥ متراً . واحتلته فصيلتان من فصائل السرية مضافاً إليها الأسلحة م - د وقاذفات اللهب والرشاشات المتوسطة .

الخنديق الثانى : ويبعد عن الأول ٥٠٠ - ٦٠٠ متر واحتلته الفصيلة الثالثة من السرية مضافاً إليها الأسلحة م - ط ١٢,٧ مم ويربط الخندين الأول والثانى خنادق المواصلات التى حفرت بمعدل خندق لكل فصيلة وذلك لمنع تحرك العسكرين خارج الخنادق .

وأقيمت الملاجىء قريباً من خنادق القتال وذلك بمعدل ملجأ لكل جماعة مشاة أو ما يعادلها من التعداد من الأسلحة الأخرى . وقد أقيمت هذه الملاجىء على أيدي الخبراء الروس وبطريقة القطع الأسمنتية مسبقة الصنع . التى تتركب الرافعات أو بواسطة الجنود (حسب ثقل القطع) ثم تهال الأتربة فوق الملجأ بعد إتمام صنعه بسماكة ١ - ١,٥ متراً وتترك للملجأ فتحات للتهوية وبذلك أصبحت قادرة (حسب تقدير الخبراء الروس) على تقديم حماية نسبية ضد الضربات الذرية الصغرى أو القصف بالغازات السامة .

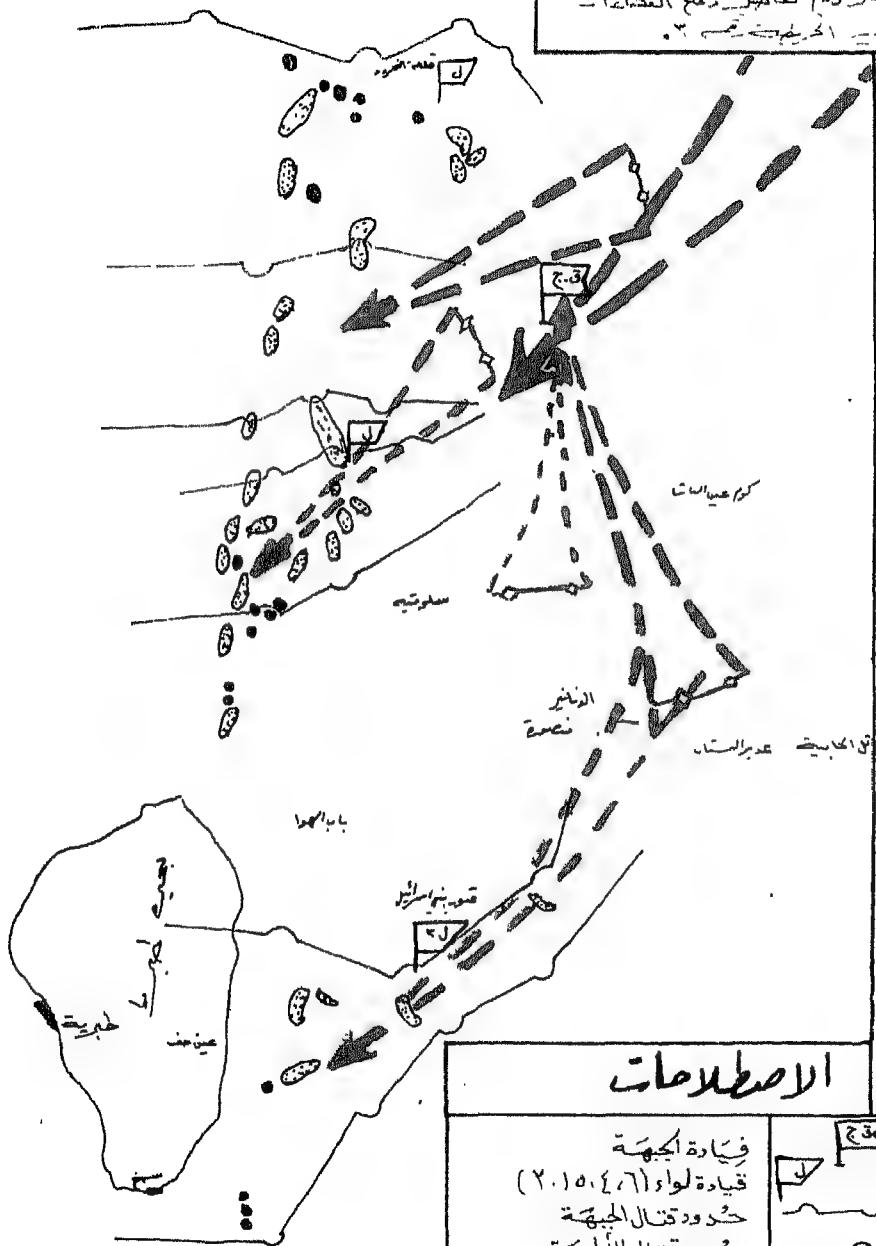
(١) المدفع ت ٢١ سلاح مضاد للدبابات ذو فعالية جيدة يخدمه جنديان ويقذف حسب موداً الاندفاع الذاتى على غرار البازوكا . وأسلحة الوضع هى أنواع من الأسلحة المختلفة ، التى لم تكن تدخل فى ملاك الوحدات لغربتها عن التسليح العام للوحدات ، ولذلك اعتبرت أسلحة ثابتة لخدمة (الوضع الدفاعى) وسميت « أسلحة الوضع » وشملت بعض دبابات البارز وأسلحة م - د مختلفة الأنواع والعيارات ، وبعض الرشاشات الثقيلة والمتوسطة من أنواع وعيارات مختلفة .

(٢) أسلحة فعالة مضادة للدبابات ثقيلة بصقات متتابعة من النابالم المشتعل . ومداهها المجدى ١٥٠ متراً .

(٣) أى فى اتجاه الأرض المحتلة وكذلك فى اتجاه بحيرة طبريا (الطبيعة) وهما الاتجاهان الأكثر تهديداً لهذه النقطة التى نشرج كل شىء عنها كنهودج لتنظيم الدفاع فى الجولان .

خريطة رقم ٢ قوات الدفاع عن الجولان

الفرموج تماسيح رملع القطاعة -
خريطة الجولان رقم ٢



الاصطلاحات

قيادة الجبهة	قصر الحصون
قيادة لواء (٢٠١٥٠٢٦)	قصر بني اسرائيل
حدود قتال الجبهة	عين جند
حدود قتال الألوية	قصر الحصون
خطوط الدفاع	قصر بني اسرائيل
الملاعر	عين جند
الهجمات المباشرة المقررة لتفنيها	قصر الحصون
وصفات على مستوى قيادة الجبهة	قصر بني اسرائيل
وقاية الجيش	عين جند

والأسلاك الشائكة تحيط بالمنطقة من كل جانب وتبعد عن الخندق الأول ١٥ - ٢٥ متراً ، ويعرض ٥ - ٨ أمتار . وبالإضافة إلى ذلك كله : كانت الألغام تحمي النقطة من الجهة الغربية والجنوبية الغربية وتسد الثغرة الواقعة بينها وبين نقطة الدورية ، كما تسد الثغرة بينها وبين نقطة الجمر (أى بين الموقع وجواره) .

هذا ... ولم يكتف القادة المسؤولون ، بتنظيم الدفاع على الأسلوب الخطي (الروسى) ، وإنما أرادوا الجمع بين مميزات هذا الدفاع ومميزات الدفاع السابق (الأسلوب الغربى) وهو الدفاع الدائرى ، فبالإضافة إلى مواضع الرى الأساسية والتبادلية للأسلحة المختلفة جهزت لها مواضع رى تكميلية (١) بحيث أصبحت رمايات أسلحة الموضع نفسه تغطى مواجهته من كل الجهات ، وتتيح له أن يدافع بصورة دائرية . بالإضافة إلى الرمايات الأخرى المحضرة من قبل الأسلحة الأكبر .

وأما نيران الموقع فقد نظمت على أن تغطى مواجهته تغطية كاملة وأن تشكل حاجزاً لا يخترق على بعد ٤٠٠ متر من الخندق الأول ، كما نظمت بشكل يحقق تشابك رمايات جميع الأسلحة فلا تدع ثغرة بين النيران قد يستفيد منها العدو المهاجم . ولقد شملت النيران التى حضرت للدفاع عن نقطة مثل أشرف حمدى (التى نشرح كل شئ عنها كنموذج لكل مواقع دفاع الجهة) ، الأنواع الرئيسية التالية :

١ - نيران الموقع نفسه : أى النيران المنبعثة من الأسلحة المتمركزة فى الموقع والتى تقع تحت إدارة قائد الموقع مباشرة ، ويملك المناورة بها حسب تقلبات المعركة ، ولقد نظمت بحيث تغطى مواجهة الموقع من جهة

(١) موضع الرى التبادلى هو الموضع الذى ينتقل إليه السلاح بعد إجراء الرماية من موضعه الأساسى خوفاً من أن يكتشفه العدو فيدمره . ويؤدى السلاح من موضعه التبادلى المهمة التى يؤدىها من موضعه الأساسى دونما أى تغيير . أما موضع الرى التكميل فهو نوع آخر من الأنواع تجهز لتحتلها الأسلحة فى انجاء آخر (ضمن حدود الموقع الدفاعى نفسه) ولتحقيق مهمات أخرى وذلك بغية استكمال الدفاع من الموقع من كافة الاتجاهات . -

المهجوم الرئيسي المحتمل وأعطيت كذلك إمكانية الانتقال (كلياً أو جزئياً) لسد الطريق بوجه أى تقدم آخر من كافة الجهات .

ولقد روعى فى تنظيمها إمكانية سد الثغرات التى قد تحصل أثناء اختراق العدو للخطى الأول ، ومواكبته خلال زحفه بعد الحرق بحيث لا يتاح له الاحتلال إلا بعد أن يكون قد أنهك ودمر تدميراً كبيراً ، وبهذا تكون الفرصة مواتية لسرية النسق الثانى لتنفيذ الهجوم المعاكس وطرده العدو المهاجم وملاحقته حتى أثناء تراجعه .

والمهم فى الأمر كذلك أن نيران الموقع نفسه هذه قد حسب لها حساب تغطية الثغرات مع الجوار ، فالثغرة الواقعة بين أشرف حمدى ونقطة الجمرى كانت مغطاة كلها بنيران الموقعين المتشابهة ، وكذلك الثغرة الواقعة بين أشرف حمدى ونقطة الدورة .

٢ - نيران وحدات الكتيبة : وتشمل نيران وحدات الهاون ٨٢ مم والأسلحة م - ط وألم - د التابعة للكتيبة أو الملحق بها ، وقد كان تنظيم هذه النيران من واجب قيادة الكتيبة بالتعاون والتشاور مع السريتين الأماميتين وقد روعى فى تنظيم هذه النيران ما يلى :

- إمكانية مساعدة السرايا الأمامية فى تحقيق رى الإيقاف لكسر هجوم العدو وردده على أعقابيه .

- إمكانية سد الثغرات بين السريتين الأماميتين ، وكذلك سد الثغرات مع الوحدات المجاورة (الكتائب المجاورة) .

- إمكانية مواكبة العدو المحترق بالنيران طيلة فترة إتمامه لاحتلال موقع أسمى أو أكثر .

- إمكانية تحقيق رمايات التمهيد من أجل الهجوم المعاكس الذى تقوم

به سرية النسق الثاني للكتيبة أو الاشتراك في رمايات التمهيد التي تنفذ لفتح الطريق أمام الهجوم المعاكس الذي تنفذه كتيبة النسق الثاني من اللواء .

٣ - نيران المدفعية والهاون ١٢٠ مم والأسلحة م - د والدبابات التي هي بتصرف قيادة اللواء : وهذه النيران كانت مهمتها تحقيق الإمكانيات التالية :

- تنفيذ الرمايات البعيدة (وخاصة المدفعية) . وذلك خلال تحضيرات العدو للهجوم ، بقصد تدمير تشكيلاته وإجبارها على الفتح قبل الوقت المناسب من أجل إنزال أكبر الخسائر بها ، أو تدميرها على قاعدة انطلاقها للهجوم .

- الاشتراك في رمايات الإيقاف أمام الخندق الأول ومن ثم مواكبة العدو بالنيران خلال إتمامه لعملية الاختراق .

- سد الثغرات بين الكتائب ومع الألوية المجاورة .

- التمهيد للهجمات المعاكسة .

- رمايات التدمير على المواقع المحتملة نفسها .

- ملاحقة العدو خلال تراجع بعد انهيار الهجوم .

كل هذه النيران كانت محضرة ومجهزة لتنطلق من فوهات الأسلحة المختلفة ، ومثل هذا التنظيم شمل كل موقع وكل مخفر في أرض الجبهة حتى لنكاد نقول بمطلق الثقة ، أنه ما من شبر من أرض الجبهة صالح لتقدم العدو ، إلا وهو مغطى بالنيران والألغام واحتمالات الدفاع ، واحتمالات الهجمات المعاكسة بحيث تكون أرض الجبهة أشبه بجحيم مسعرة ، تنبعث منها النيران وتتساقط عليها الحمم من الجو ، فلا تدع مجالا لعدو مهاجم أن يتقدم شبرا واحداً ، دون أن يغطيه بجثث القتلى ، وحطام الآليات ، ويساعد في ذلك حسن تنظيم الدفاع ، ومتانة الملاجئ ، ودقة تحضير الرمايات (حتى الليلية) ، ووعورة الأرض ، وقلة الطرق المناسبة للمناورة آليات المهاجم ..

ولكى تتضح أبعاد الصورة وتبرز ملامحها ويتبين القارىء فداحة الخطب الذى نزل بالجولان الحصين ... يجب أن نعلم أن هذه النيران كانت محصورة لتنفذ من قبل أنساق متتابعة من القوات ، فمن الحرس الوطنى المدافع فى منطقة الخيطة وعنها ، إلى كتائب النسق الأول من الألوية الأربعة ، إلى كتائب النسق الثانى من هذه الألوية ، إلى ألوية احتياط قيادة الجبهة ، إلى مجموعة الألوية التى احتفظت بها قيادة الجيش (١) ، مضافاً لذلك كله نيران المدفعية من كل عيار ومن كل المستويات ، ونيران الصواريخ ، ونيران الطيران ، أضف إلى ذلك كله الهجمات المعاكسة المقرر القيام بها ابتداء من سرايا النسق الثانى لكتائب النسق الأول المتمركزة على الموضع الدفاعى الأول ، ومروراً باحتياطات الألوية بقيادة الجبهة وانتهاء بالهجمات المعاكسة التى كان مقرراً أن تقوم بها ألوية احتياط الجيش وفى مقدمة تلك الألوية ... اللواء ٧٠ - المدرع .

و هناك أمر آخر فى غاية الخطورة والأهمية .

فالتارق والمحاور فى منطقة الجبهة قليلة جداً ، والأرض غاية فى الوعورة وانعدام صلاحيتها للحركة السريعة للآليات ، وقد سبق أن أفادت القيادة من هذه الخاصية ، فمحضرت التخريبات المختلفة على محاور التقدم المحتملة لقوات العدو ، وقد كان من أبرز هذه التخريبات المحضرة : الملاجم .

ففى النقاط التى تشكل ممرات إجبارية على الطرق ، وضعت الملاجم بحيث لو نسفت سدت الطريق أمام الآليات وتضع العدو ساعات طوالاً تحت رحمة نيراننا . فى انتظار مرير مشحون بالחסائر والضحايا ريثما يقوم بإصلاح الخرب لمعاودة التقدم . وكانت خطة عمليات الجبهة تقضى بأن تكون قيادة هذه الملاجم وصلاحية نسفها بيد قائد الموقع الذى تقع مباشرة تحت سيطرته (حتى ولو كان برتبة عريف) . وكان الذى يحصل فى الأيام السابقة وخلال فترات التوتر ، أن تنتقل قيادتها فعلاً إلى القادة المباشرين

(١) ذلك كله حسب خطة العمليات .

وتجهز تحسباً لكل طارئ ، ثم إذا ما خفت حدة التوتر وعادت الأمور طبيعية هادئة ، تعود قيادة هذه الملاجئ إلى قيادات القطاعات (خوفاً من خطأ قد يقع) ، وتبقى كذلك حتى يقع التوتر مجدداً ، فتعود قيادتها إلى القادة المباشرين .. وهكذا دواليك .

هذه الملاجئ لو نسفت لكان لقوات العدو اليوم شأن آخر ... ولكنها لم تنسف . وفي ذلك تقع نقطة من نقاط الإجابة على السؤال المحير ... (كيف سقط الجولان الحصين ؟) .

ولابد لنا من أن نرسم صورة بسيطة لما احتوته الجبهة حسب خطة العمليات الموضوعية في عام ١٩٦١ والتي استمرت حتى يوم تسريحى من الجيش ، ثم لست أدري إن كان طراً عليها تغيير أم لا .. لتبيان خطورة المؤامرة التي سلمتها للعدو ببلاغ فاجر وقعته يد متآمرة ، وأذاعه صوت شوم من إذاعة حزب البعث .

(أ) فن ناحية وضع القوات على الأرض ، شملت المنطقة خمسة قطاعات كان من واجب قوات الجبهة الدفاع فيها وعنّها (١) .

١ - القطاع الشمالى يحتله اللواء السادس ومحور الجهد فيه طريق : بانياس - مسعدة - قنيطرة ، وقيادته في مسعدة ، وكتائبه الأمامية في النقاط : (زعورة ، تل الفخار ، تل مالك) ، ومدفعيته في زعورة ، عين فيت ، ودباباته في منطقة حرش مسعدة ، بقعاتنا . واحتياط الم - د في القلاع .

٢ - قطاع واسط ومحور الجهد فيه اتجاه الدرباشية ، حفر ، واسط ، قنيطرة . ويحتله اللواء الرابع (يتحرك لهذه الغاية من منطقة السويداء) ، ونقاطه الأساسية حفر ، تل شيبان ، وقيادته ودباباته في منطقة واسط ومدفعيته في منطقة حفر ، راوية .

٣ - القطاع الأوسط يحتله اللواء الخامس عشر وهو محور جهد الجبهة

(١) انظر الخريطة رقم ٢ لتسليط فهم تقسيم القوات وتوزيعها على الأرض .

والجيش ، ومحور الجهد فيه طريق الجمرك - عليقة - القنيطرة ، وكتائبه
الأمامية في الجمرك ، أشرف حمدي ، الدورة ، مرتفع نذير وجيار ،
السنابر : ومدفعيته في نعران ، دير سراس ، جورة أم العسل ، ودباباته في
منطقة نعران ، وقيادته في العليقة .

٤ - القطاع الجنوبي ويحتله اللواء الثاني ومحور جهده هو طريق فيق -
العال - القنيطرة ، وكتائبه الأمامية في سكوفيا ، فيق ، نقطة الجسر وكفر
حارب ، وقيادته في العال ، ومدفعيته ودباباته في ما بين فيق والعال ،
حيتل ، الياقوصة .

٥ - القنيطرة وهي المنطقة الدفاعية الثانية ويدافع عنها لواء احتياط
بالإضافة إلى الوحدات المتراجعة من القطاعات إن تم الاختراق ، وبالإضافة
إلى وحدات مستتلة كثيرة شملت كتائب هاون ، وكتائب مدفعية ،
وكتيبة استطلاع ، وكتيبة هندسة وسرية قاذفات لهب وغيرها من الوحدات
المساعدة الكثيرة ، وقد دخلت في عمليات الجبهة الهجمات المعاكسة التي
تنفذها مجموعة الألوية (١٨ ، ٧٢ ، ٩٠ ، واللواء ٧٠ المدرع) ، وذلك
لصالح الجبهة ولرد الهجوم واستعادة الأرض وإعادة تنظيم الدفاع مجدداً .

ويضاف إلى هذه القطاعات والوحدات التي تحتلها ، منطقة الحيطرة التي
شملت كل المواجهة مع العدو ابتداء من النخيلة وحتى الحمة ، ومن أبرز
المواقع الدفاعية في منطقة الحيطرة :

١ - في الشمالى : تل الأحمر وتل العزيريات ، مخفر البرجيات ،
وتشغلها كتيبة الحرس الوطنى الثانية وقيادتها في بانياس .

٢ - في قطاع واسط : العقدة ، الدرباشية ، وتشغلها عناصر تابعة
لكتيبة الحرس الوطنى الثانية :

٣ - في القطاع الأوسط : تل هلال ، الدردارة ، جليبينة ، الحصن ،
٢١٧ ، علمين ، تل المشنوق ، وتحتل هذه المواقع كتيبة الحرس الوطنى
الثالثة وقيادتها في ٢١٧ ، ثم تل ٦٢ ، وتل أعور ، ومخافر الدكة ،

الحاصل ، المسعدية ، الدوكا ، وتحتلها كتيبة الحرس الوطنى الأولى وقيادتها فى تل الأعور .

٤ - فى القطاع الجنوبى : الكرسي ، مرتفع - ٦٩ ، مزرعة التوافيق ، باب الحديد ، وتحتلها كتيبة الحرس الوطنى الرابعة وقيادتها فى مزرعة عز الدين .

(ب) ومن أنواع التحصينات شملت الجبهة ما يلى :

١ - خنادق القتال وهى فى كل موقع دفاعى سواء أكان فى منطقة الحيطه ، أم على محور رئيسى أم محور ثانوى وسواء أكان فى الموضع الأول أو الثانى أم فى المنطقة الأولى أم الثانية .

٢ - خنادق المواصلات وقد أقيمت بالمعدلات الآتية :

- خندق لكل فصيلة يصل الخندق الأول بالثانى .

- خندق لكل سرية يصل الخندق الثانى بالثالث .

- خندق لكل كتيبة يصل الموضع الأول بالثانى .

- وفى الموضع الدفاعى الثانى أقيمت الخنادق هذه حسب النظام والمعدل نفسه :

٣ - خنادق الدفاع السلبى ضد الطائرات وقد أقيمت أكثر ما يمكن حول المباني والمنشآت فى المعسكرات وفى منطقة القنيطرة .

٤ - الملاجئ وهى بالأمننت المسلح ، وقد أقيمت تحت الأرض لتحمى من نيران المدفعية والطيران . كما طورت منذ عام ١٩٥٨ لتقى نسبياً من الضرب الذرى أو القصف الكيماوى .

٥ - منعات (١) الرمي : وهى أبنية من الأسمنت المسلح معظمها تحت الأرض ولا يرتفع منها عن الأرض إلا المقدار الذى يمكن الأسلحة المتمركزة فيها من تنفيذ الرمايات وهى تمتساز عن مواضع الرمي المكشوفة بأنها تقدم حماية جيدة ضد نيران الطيران والمدفعية وتمكن فى الوقت نفسه الأسلحة وسدنتها من متابعة القتال رغم القصف .

ولقد وجد هذا النوع أكثر ما يمكن فى المناطق الأمامية وفى منطقة الحيطه ، وذلك لأن أوامر الدفاع فى الجبهة لا تبيح الانسحاب بأى شكل ، بل وتنص صراحة على التشبث بالأرض حتى اندحار العدو المهاجم أو الموت .

٦ - مراكز القيادة : وهى أبنية كبيرة وواسعة بنيت بالأسمنت المسلح تحت الأرض وقد بنيت بمعدل مركز قيادة لكل لواء ، ومركز قيادة كبير لقيادة الجبهة وكانت تسمى : « المقرات التعبوية » ولا يتم احتلالها إلا فى حالات احتمال القتال أو أثناء التمارين . وقد بنيت لتقدم حماية كاملة ومطلقة ضد قصف الطيران والمدفعية مهما بلغت كثافته وعنفه ، وحماية كاملة ضد القصف الكيماوى وحماية نسبية ضد الضربات الذرية الخفيفة .

٧ - المراصد : ومنها مراصد الألوية ومراصد المدفعية ومراصد القادة وكلها مجهزة تجهيزاً حسناً ، ومبنية بالأسمنت المسلح ، ومتصلة بخنادق المواصلات ليكون الوصول إليها خفية عن عين الرصد المعادى .

هذا بالإضافة إلى القرى الدفاعية التى أقيمت لتساهم فى دورها بالدفاع عن الجبهة .

(ج) النيران : وقد شملت كل سلاح فى الجبهة وهى :

١ - نيران الأسلحة الفردية أينما وجدت .

٢ - نيران الأسلحة الجماعية لوحدات المشاة (الرشاشات المتوسطة والثقيلة) .

(١) كانت تسمى (البلوكومات) .

٣ - نيران الهاونات بمختلف عياراتها (ابتداء من الهاون ٦٠ مم وحتى الهاون ١٢٠ مم) .

٤ - نيران المدفعية ابتداء من مدفعية الأولوية حتى مدفعية الجيش ، والصواريخ .

٥ - نيران المدفعية المضادة للآليات وكذلك نيران الدبابات سواء منها (الوضع) أم الداخلة في عضوية الأولوية والمستعدة للمناورة وتنفيذ الهجمات المعاكسة أم الملحقة على الجبهة للتعزيز .

٦ - نيران الأسلحة المضادة للطائرات من العيارات المختلفة ابتداء من عيار ٧ ، ١٢ مم وحتى عيار ١٠٠ مم :

٧ - نيران قاذفات اللهب ، الخفيفة منها والثقيلة المضادة للآليات .

(د) الموانع : الموانع التي نخدم عادة في القتال كثيرة جداً ، ومتنوعة بمقدار ما يتنوع شكل القتال وطبيعة الأرض التي تدور عليها ، ولقد استخدمت في منطقة الجولان أنواع محدودة من الحواجز هذه ، ولكنها استخدمت بكثافة كبيرة جداً .

١ - فالأسلاك الشائكة : على اختلاف أنواعها وطرق نصبها ، كانت تحيط كل موقع أو مخفر أو مطلق مكان تتمركز فيه القوات ، ويكاد يكون مستحيلاً أن تجد مكاناً فيه وحدات دون أن تكون قد أحاطت نفسها بنوع واحد أو أكثر من الشبكات الشائكة .

والجدير بالذكر أن هذه الأسلاك قد دخلت في صلب مخططات التحصين وحملت على الخرائط الخاصة بذلك بإحداثياتها وأصبح من غير الممكن لأي قائد أن يأمر بإزالتها أو تعديلها نحو الضعف دون أن يقدم لذلك مبرراً مقبولاً . ثم يأخذ موافقة قيادة الجبهة على هذا التغيير .

٢ - سدادات الطرق : وسواء أكانت من الحديد ، أو الصهوات الشائكة ، فلقد استخدمت هذه الأنواع بكثرة وخاصة انسداد مداخل المواقع

الدفاعية في الليل أو وقت الاشتباك ، وكذلك جهزت لتستخدم وقت الاختراق كعنصر مساعد في تأخير قوات الهجوم .

٣ - الألغام المتحركة : وكانت تزرع في نقاط معينة على الطرق كل يوم مع حاول الظلام ثم تنزع صباح اليوم التالي وتخلو منها الطرق طيلة النهار .

٤ - الملاجم : وهي تخريبات معدة مسبقاً على الممرات الإجبارية ، ولا تعدو كونها أماكن خاصة لوضع المتفجرات تحت الطريق ، ومجهزة لنفسه في اللحظة المناسبة فتشكل تدميراً (يختلف حجمه باختلاف حجم المتفجرات وتوزيعها) ، في نقطة العبور الإجبارية هذه ، مما يجبر العدو على التوقف ريثما يتمكن من إصلاح الطريق لمعاودة التقدم .

وقد شرحنا عنها مفصلاً في موضع سابق من هذا الفصل ونضيف هنا أن سعة كل ملغمة كان في الجبهة - ٢٠٠ - تنكة من متفجرات الـ د . ن . ت . وهذه الكمية قادرة على إحداث حفرة عمقها عشرون متراً ولا يقل قطرها عن ٧٠ متراً ، وهو حجم هائل فيما لو وقع على نقطة مرور إجبارية .

٥ - حقول الألغام : إنني أستطيع أن أؤكد أن على طول المواجهة وابتداء من خط الهدنة حتى الخط : مسعدة - واسط - العليقة - القادرية - القصيبة - العال - حيتل .

في هذا الشريط من أرض الجبهة الذي يتفاوت عمقاً ٤ - ٩ كيلو مترات ، أستطيع أن أؤكد أنه لم تكن هناك قطعة أرض صالحة لتقدم قوات العدو إلا وزرعت بحقول الألغام .

فحقول الألغام غطت جزءاً كبيراً من المناطق القريبة من العدو والصالحة لتقدم آلياته ومشاته . ولقد زرعت في الأراضي الفسيحة وعلى طرق التسلل ، وعلى جوانب محاور التقدم ، وأحاطت بالمواقع الدفاعية كما سدت الثغرات بينها واحتوت الأنواع العديدة من الألغام ، من مضاد للأشخاص إلى مضاد للآليات ، ومن عادي إلى وثاب إلى مفخخ . . . إلخ .

والأكثر من ذلك . . . وهو أن هذه الحقول كلها كانت مضروبة

بالنيران لحمايتها ومنع العدو خلال تقدمه من فتح الثغرات فيها ، ولقد غطت هذه الختمول بجميع أنواع الرمايات التي سبق أن نوهت عنها في الصفحات السابقة . ولذلك فإنها كانت تعتبر - لو صمدت القوات - من أفضل الحواجز في وجه العدو وأكثرها فعالية ضد تقدمه .

٦ - مفارز السدود المتحركة : وهي مجموعات من وحدات الهندسة مزودة بأنواع خاصة من الآليات المصفحة ، تتحرك مع احتياطات الأسلحة المضادة للدبابات ، وتقوم خلال القتال بنشر الألغام بصورة سريعة - هكذا على المكشوف وعلى وجه الأرض - وذلك كجزء من خطة الدفاع ولقد حددت خطوط انتشارها على الأرض (بموجب خطة العمليات) ، وجهازت وزودت بكل احتياجاتها لساعة أداء الواجب ودربت على هذا العمل مرات ومرات ، منفردة أحياناً ، ومشتركة مع باقى وحدات القطاعات أحياناً أخرى . ومما هو جدير بالذكر أن ملاك كل مفرزة من هذه المفارز لعملية واحدة هو - ٤٠٠٠ - أربعة آلاف لغم مضاد للآليات .

٧ - ونستطيع أن نخيف إلى ذلك كله ، قلة الطرق الصالحة للتقدم ، وخاصة في المناطق المتقدمة القريبة من الحدود ، وقد كان ذلك مقصوداً تعمده القيادات المتعاقبة ، بل وحالت دون نجاح بعض المحاولات لشق طرق جديدة لأن ذلك سيضيف أعباء جديدة على عاتق الوحدات .

وتتضح لنا شدة فعالية هذه الموانع حين نعلم أن الله قد وهب تلك المنطقة وعورة غريبة من نوعها فأرضها من أصل بركاني مغطاة على مسافات شاسعة بالصخور والأحجار البازلتية التي تجعل من العسير على الآليات السير فيها خارج الطرق .

(هـ) الهجمات المعاكسة المقررة : الحديث عن هذا الأمر ، يصعب الخوض فيه دون توفر مخططات واضحة تبرز أهميته ، ولكننى سأحاول أن أرسم صورة للهجمات المعاكسة المقررة (في القطاع الأوسط) ، وذلك بسبب أننى لم يتح لى الاطلاع على ذلك في باقى القطاعات ، ثم الهجمات المعاكسة المقررة لتقوم بها وحدات على مستوى قيادة الجهة و أداة الجيش .

ففى القطاع الأوسط : تضمنت خطة العمليات الهجمات المعاكسة الآتية :

١ - هجوم معاكس رئيسى بسرية مشاة فى اتجاه الجمرك - مرتفع ٢١٧ ينطلق من مرتفع نذير وجيار وتقوم به سرية النسق الثانى للكتيبة الرابعة .

٢ - هجوم معاكس ثانوى بسرية مشاة فى اتجاه جليبينة - الدردارة ينطلق من مرتفع نذير وجيار وتقوم به السرية نفسها .

٣ - هجوم معاكس ثانوى باتجاه الدورة - أبو فولة - ينطلق من السناير الشمالية وتقوم به سرية النسق الثانى للكتيبة ١٣ .

٤ - هجوم معاكس رئيسى باتجاه أشرف حمدى ينطلق من السناير الشمالية وتقوم به السرية نفسها (١) .

٥ - هجوم معاكس رئيسى باتجاه الجمرك - ٢١٧ ينطلق من نعران وتقوم به ك ٤٣ + كتيبة الدبابات + سرية م - د اللواء + مفرزة السدود المتحركة للواء .

٦ - هجوم معاكس ثانوى باتجاه السناير - الدورة ينطلق من نعران وتقوم به القوة نفسها أو جزء منها (حسب أوضاع المعركة) .

أما قيادة الجبهة فلقد كان مقررأ أن تقوم بالهجمات المعاكسة الآتية :

١ - هجوم معاكس رئيسى أول باتجاه كفر نفاخ - العليقة - الجمرك ينفذه لواء مشاة معززاً بالدبابات والمدفعية ومفارز السدود المتحركة . وينطلق من السفوح الغربية لحرش عين زيوان .

٢ - هجوم معاكس رئيسى ثانوى باتجاه قنيطرة - منصوره - واسط تقوم به القوة نفسها وينطلق من خان أرينبة .

(١) انظر الخريطة رقم ٢ .

٣ - هجوم معاكس ثانوى باتجاه الرفيد - العال وتقوم به القوة نفسها وينطلق من الرفيد (١) .

و أ. قيادة الجيش فلقد كان مقررأ أن تقوم بالهجمات المعاكسة الآتية :

١ - هجوم معاكس رئيسى باتجاه سعم - القنيطرة تقوم به مجموعة الألوية ٢٩ المؤلفة من اللواء ١٨ ، واللواء ٧٢ ، ولواء احتياطى مع اللواء ٧٠ المدرع بالإضافة إلى وحدات كبيرة من المدفعية والهندسة وباقى الصنوف . ثم تقوم المجموعة هذه بعد تنفيذ الهجوم بملاحقة وحدات العدو حتى يتم تدميرها أو أسرها أو ضمان تراجعها عبر الحدود ، وتعيد احتلال الجبهة وإعادة التنظيم بينما تراجع قوات الجبهة السابقة لتتجمع فى منطقة دمشق وتعيد تنظيمها .

٢ - هجوم معاكس ثانوى باتجاه درعا يؤدى المهمة نفسها وتؤديه القوات التى ذكرت أو جزء منها وذلك حسب ضخامة القوة المهاجمة وحسب أحوال المعركة .

هذا بالإضافة إلى الهجمات المعاكسة المقرر أن تقوم بها وحدات القطاعات الأخرى ، ومن أهمها هجوم معاكس مقرر أن تقوم به وحدات الدبابات من الجولخدار والحشنية معززة بكتيبة مشاة من القطاع الجنوبى ، وذلك باتجاه القنيطرة ، لطرد العدو منها فى حال وصوله إليها ، حتى لا يتمكن من تطويق القطاعين الأوسط والجنوبى . ومن هنا يبرز لدينا أن جميع الاحتمالات القائمة لحدوث الاختراق والتوغل المعادى فى أرضنا ، كانت مغطاة بالهجمات المعاكسة وعلى مختلف المستويات ، بالإضافة إلى ما ذكرنا من التركيز فى النيران والموانع والتحصينات . . . إلخ ، فكيف إذن يمكن لهذه الجبهة أن تسقط وبمثل هذه السهولة ؟؟

(و) المقاومة الشعبية : . . . شملت الجبهة تنظيماً جيداً لعناصر المقاومة

الشعبية ، كان شعبياً بتنظيم القوات النظامية . . حيث قسمت المنطقة إلى أربعة قطاعات للمقاومة الشعبية يضم كل منها عدداً من كتائب المقاومة :

١ - الشمالى وقيادته فى مسعدة .

٢ - الأوسط وقيادته فى العليقة .

٣ - الجنوبى وقيادته فى العال (على ما أذكر) .

٤ - قطاع القنيطرة وقيادته فى القنيطرة كما كان أيضاً فى هذه المدينة القيادة العامة لقوات المقاومة الشعبية فى الجهة . وقد شملت المقاومة الشعبية تسليح كل قادر على القتال حتى أصحاب الأعمار الكبيرة (١) ، وقد وزعت على هذه الوحدات أسلحة مختلفة من البنادق والرشاشات المتوسطة والثقيلة . والأسلحة الخفيفة والمتوسطة المضادة للدبابات بالإضافة إلى كميات كبيرة هائلة من الذخيرة وكميات كبيرة من الأسلاك الشائكة والألغام والمتفجرات وأجهزة الهاتف وأجهزة اللاسلكى والإشارات الضوئية والمناظير والخراطم المختلفة ، كلها لتساعد فى إسهام السكان فى الدفاع وتغطية كل حبة من تراب المنطقة بالنار القاتلة التى كان مفروضاً أن توجه إلى صدور الغزاة المحرمين ... فى ساعة عصيبة كالتى وقعت يوم المسرحية .

(ز) الدفاع ضد أسلحة التدمير الجماعى : أسلحة التدمير الجماعى ، تشمل فى عرف القوات السورية ما يلى :

١ - الأسلحة الذرية بشقيها الأساسيين ، المتفجر ، والمشع .

ويتمثل المتفجر خير تمثيل بالقنابل الذرية ، بمختلف أحجامها وقدراتها التدميرية .

كما يتمثل المشع بالغبار الذرى ، الذى ينتج عقب الانفجارات الذرية ،

(١) وجد رجال من المقاومة الشعبية تجاوزوا الستين من العمر وكانوا يؤدون واجباتهم فى المطرسة والمكائن أحسن من قدم كبير من الشهاب .

أو الممكن رشه بوسائل مختلفة على شكل مساحيق تشر في جو وأرض المارك ، فتتشر الإشعاعات الخطرة والقاتلة على حد سواء .

٢ - الأسلحة الكيميائية : وهي المواد السامة التي جهزت للاستعمال في الحروب ، لتتشر الغازات القاتلة أو المشوهة أو المخدرة . . . والتي يمكن بها تلويث مناطق الأهداف ، بوسائل مختلفة ، (قنابل المدفعية ، قنابل الطيران الرش بالطائرات . . . إلخ) . والتي تتفاوت مدة تأثيرها وبقائها في الجو أو على الأرض ، من بضع دقائق إلى بضعة أيام .

٣ - الأسلحة الجرثومية : وهي أنواع من الأسلحة التي تنشر بواسطتها الأوبئة والأمراض المختلفة ، في مناطق الأهداف ، وهي عبارة عن الحشرات المشحونة بالجراثيم ، أو الجراثيم نفسها - لمرض ما - ويمكن إيصالها إلى الأهداف بالوسائل المختلفة (المدفعية - الطيران - المربون (العلاء) . إلخ) . ولقد سبق للقيادة العامة أن اتخذت وسائل متعددة ، لحماية القوات من هذه الأسلحة ، والتخفيف من أضرارها إلى أدنى حد ممكن ، للحفاظ على أفضل مستوى قتالي لها ، في حالة نشوب الصراع .

١ - ففيما يخص الأسلحة الذرية المتفجرة (القنابل) ، كانت هناك الملاجيء التي أقيمت - بإشراف الخبراء السوفييت ، والتي بنيت لتتقدم - حسب تقديرات الخبراء - حماية ضد الانفجارات النووية الصغيرة (التعبوية) وذلك على الشكل التالي :

- بالنسبة للمناطق التي تقع ضمن قطر دائرة مركز الانفجار (١) ،

(١) هذه التقديرات بنيت على أساس أن العدو قد يستخدم قنابل ذرية من العيار ذي القوة التدميرية التي تعادل القوة التدميرية لكلمة - ٢٠ - ألف طن من المادة المتفجرة (ت . ن . ت) وهي نائلة للقبلة التي أقيمت على مدينة هيروشيما في نهاية الحرب العالمية الثانية . وأما بالنسبة للقنابل ذات المفعول الأكبر ، فلقد قدر الخبراء أن العدو لن يستعملها ضد الجبهة السورية لسببين : أولاً - حسب تقديرهم - أن العدو لن يملك هذه القنابل قبل سنوات طويلة (هذا كان في عام ١٩٥٨) . وثانياً - أن استخدام مثل هذه القنابل على منطقة الجولان يشكل خطراً حقيقياً على قوات العدو وأراضيه بسبب اتساع الدائرة التدميرية لهذه القنابل ودائرتها الإشعاعية لشمول أرضه .

والتي يبلغ نصف قطرها ٥٠٠ متر ، فالحماية تكون نسبية ، ضد الأثر الحرارى والتدميرى للانفجار .

— بالنسبة للمناطق التي تبعد عن مركز الانفجار أكثر من المسافة المذكورة (٥٠٠ متر) ، فالحماية كاملة ، ضد الأثر التدميرى ، وتزداد نسبة الحماية ضد الأثر الحرارى تصاعداً كلما بعد الملجأ عن مركز الانفجار .

وأما بالنسبة للإشعاعات الذرية ، سواء أكانت ناتجة من الانفجار ، أو من الغبار الذرى أو أى مصدر آخر ، فلقد وزعت القيادة على جميع العسكريين — بدون استثناء — الأردية الواقية (على شكل المشمعات الواقية ضد المطر) ، وهى تقدم حماية جيدة ضد الإشعاعات (ألفا ، بيتا) ، وضعيفة جداً ضد إشعاعات (غاما) ، ولأنها تساهم مساهمة فعالة فى الحفاظ على مستوى الوحدات مرتفعاً .

وكذلك جهزت مراكز التطهير (الثابتة ، والمتنقلة) ، والتي سيأتى بحثها قريباً .

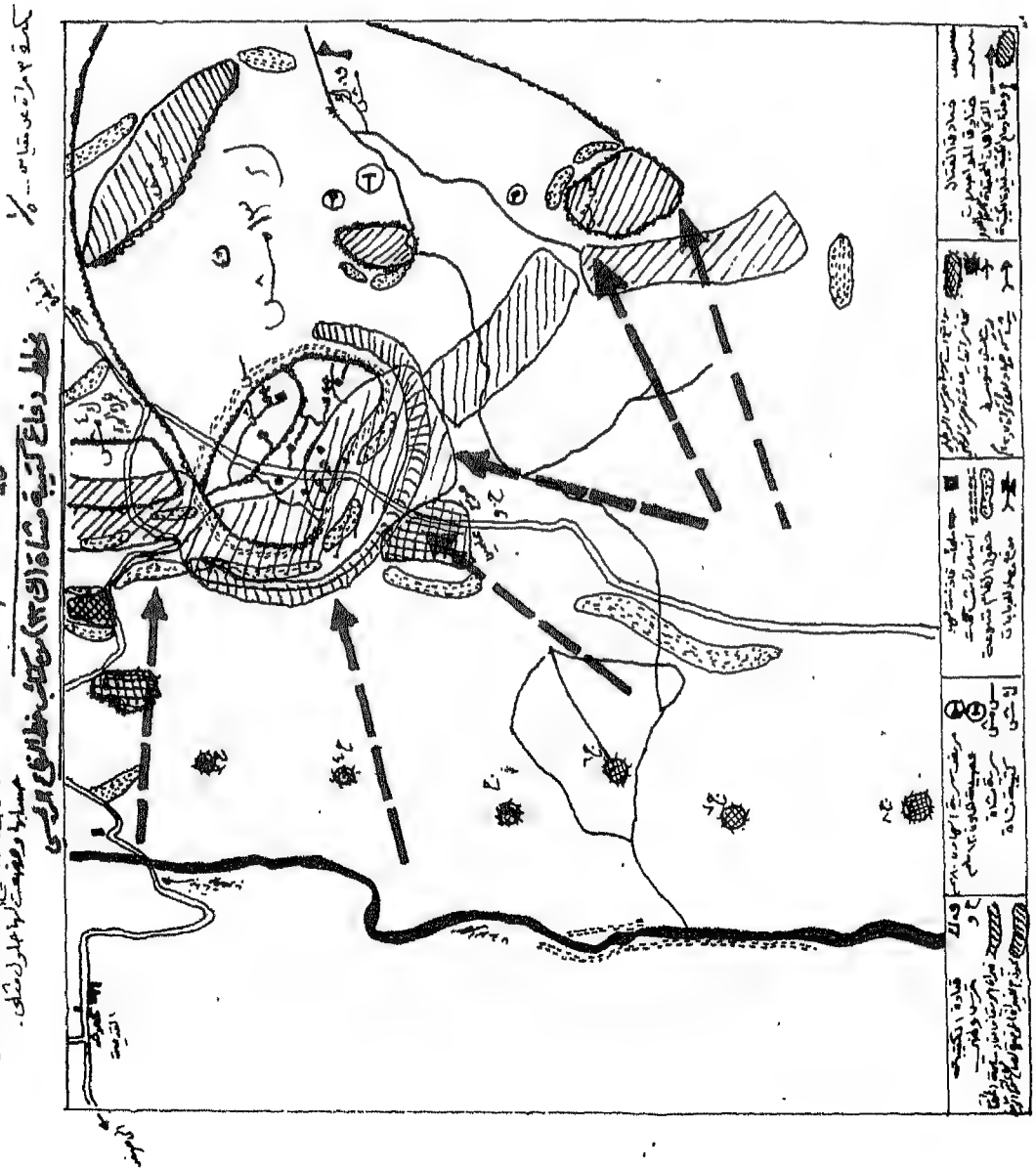
٢ — وأما بالنسبة للأسلحة الكيميائية ، فلقد كانت هناك إجراءات واقية وهى :

— على المستوى الفردى : وزعت الكمادات الواقية ، وهى تقدم حماية كاملة ضد جميع أنواع القصف الكيماوى للوجه وجهاز التنفس ، والجهاز الهضمى للإنسان .

وأما حماية باقى الجسم ، فتساهم فيها الملابس العادية ، وكذلك الأردية الواقية التي نكلمنا عنها قبل قليل .

— وأما على المستوى الجماعى للوحدات ، فلقد كان مقررأ تزويد الملاجىء بمضخات خاصة تقوم بضخ الهواء الملوث المستقر فيها ، وإبدال الهواء الممتلئ به ، للإبقاء على حياة الأفراد وسلامتهم طيلة فترة لجوئهم إلى الملاجىء ، ولكن هذه المضخات لم تصل إلا إلى مستوى القيادات الكبيرة فقط (قيادات الألوية وقيادة الجهة) ووضعت فى المقرات القتالية لتعمل عند الحاجة إليها .

هذا من جانب . وأما من الجانب الآخر ، فلقد كانت هناك إجراءات
القيادة المتطوعة ، وهذه الإجراءات خاصة فنية ، تقوم بها الوحدات الكيميائية



أما وصولها إلى الملاجئ المنتشرة في كل مكان ، والمخصصة للوحدات كلها ، فإن هذا لم يتم أبداً ، وبقيت الملاجئ محرومة منها .

هذا من جانب . وأما من الجانب الآخر ، فلقد كانت هناك إجراءات الوقاية والتطهير ، وهى إجراءات خاصة فنية ، تقوم بها الوحدات الكيميائية (صائل الكيمياء فى الأوعية ، والسرية الكيميائية فى قيادة الجبهة) الخاصة بؤوات الجبهة ، أو المعينة لديها - مؤقتاً - من قبل القيادة العامة .

هذه الإجراءات . سبق لها أن درست وأجريت لها تجارب وتمارين مختلفة ، وجهزت مقرات التطهير الثابتة فى القنيطرة وهيت وحدات التطهير المتنقلة فى القطاعات ودخل كل هذا فى صلب خطة عمليات الجبهة . تحسباً لساعة حاسمة ، يقوم العدو فيها بالضرب على القوات . بسلاح كيميائى . أو بآخر .

٣- وأما الأسلحة الجرثومية ، فلقد كان البحث حولها ضعيفاً . ولم يحسب لها أى حساب ، ولم تجاوز إجراءات الوقاية منها . مستوى الأعمال الوقائية الصحية العادية ، فى طول الجبهة وعرضها .

(ج) الاتصالات : فى الجبهة . وكما فى أى دفاع ثابت . اعتمد نظام الاتصالات السلكية ، ومددت على الأرض (أو على الأعمدة) ، خطوط الهاتف الميدانية منذ قيام الوضع الدفاعى ، ولم تفكر قيادة ما . طيلة ثلاثة عشر عاماً ، بإدخال التعديل أو التغيير على نظام الاتصالات هذا .

ولم يكن مع بداية عام ١٩٦٠ ، قررت القيادة العامة إجراء تعديلات هامة على وسائل الاتصال ، فقامت بتمديد خط جديد ، يصل بين القنيطرة ودمشق ، وبين القنيطرة وكل من مسعدة ، والعلقة ، والبطيحة ، والعال .

وقد مدد هذا الخط تحت إشراف خبراء أجانب . وعلى عمق ٥٠ سنتيمتراً ، وسمى « الخط الرباعى » .

أما استعمال اللاسلكى فقد كان ممنوعاً إلا فى حالات خاصة سنفصلها عما قريب .

١ - الاتصال السلكى : أقيم نظام الاتصال هذا معتمداً على الخطوط والمقاسم .

أولاً : الخطوط : كان فى الجهة نوعان من الخطوط :

أولها : الخطوط المرفوعة على أعمدة ، وقد كانت بنسبة قليلة فى منطقة الجهة ، نظراً لصعوبة تغطية كل احتياج القوات بها بسبب صعوبة تمديدتها فى الأماكن المتقدمة نحو العدو ، وإكلفتها العالية واستهلاكها وقتاً كبيراً فى إقامتها ، وكذلك بسبب عدم إمكانية نقلها من مكان لآخر .

والكثيرة مع ذلك تمتاز عن الأسلاك الميدانية الأرضية بعدم التعرض للتشويش أو السرقة من قبل العدو إلا بنسبة ضئيلة جداً وعدم التعرض للتلف السريع بسبب الأمطار والعوامل الأخرى .

وثانيهما : الخطوط الميدانية ، وهى تمتد على الأرض - هكذا على المكشوف - ، وهذه أسلاك تصلح لقتال متحرك ومن الخطأ استعمالها للدفاع ثابت كل تلك السنين .

من مميزات هذه الخطوط : سرعة تمديدتها ، وإمكانية رفعها ونقلها من مكان لآخر بمنتهى السهولة .

ومن سيئاتها : تعرضها للتلف بفعل عوامل مختلفة (سيارات ، المواشى ، الاحتكاك بالصخور ، العوامل الجوية . .) ، وتعرضها للسرقة من قبل العدو .

ومن المشاكل التى كانت تعانيها القوات ، ما يلى :

- احتراق قسم من الأسلاك خلال حرق الأعشاب أو أى حريق آخر يشب فى المزارع أو الأعشاب .

- تقطيع الأسلاك ، إما خلال الحرائق ، أو حركة الآليات المختلفة ، أو بيد عابث أو مخرب ، أو بيد سارق من أهل المنطقة ، يقطع منها احتياجه ويترك الوحدات خلفه محرومة من الاتصال ريثما يتم إعادة وصلها .

- التأكل بفعل المطر والرياح ثم الشمس ، مما يسبب أعطالاً خفية

فى الأسلاك ، يصعب تحديد أماكنها بسهولة . مما يضطر الوحدات إلى تسير دوريات من الاختصاصيين لفحص الخطوط قطعة فآخرى ، حتى تتمكن من كشف العطل وإصلاحه .

— التداخل بين الخطوط ، بسبب شتطاً فى وصلها بعد إصلاحها أو بسبب تأكل العازل وانكشاف السلك النائم فى أجزاء متقاربة من الخطوط العائدة لأكثر من وحدة ، وهذا كان يسبب كثيراً من المشاكل والتشويش تضطر الوحدات لإزاءها إلى فحص الخطوط ، وفصلها ثم إصلاحها .

ولقد كان الحل الوحيد للتخفيف من هذه المساوىء . هو تسير الدوريات المستمرة — إن على مستوى الكتائب أو الأعلى — ، للتفتيش على الخطوط ، وإصلاح ما فسد منها ، ولذلك كنا نرى يومياً ، الجند بروحون ويغدون على طول الخطوط ، ممسكين بها يتفحصونها ويجربونها بين مسافة وأخرى ، وكل منهم يحمل عدة الإصلاح بيمنه ، وبندقية على كتفه أو بيسراه .

ثانياً : المقاسم :

المقاسم هى مراكز تحويل المخابرات (سنترال) ، وقد أقيمت كلها — تقريباً — على الأسلوب الميدانى القابل للحركة وحسب المعدلات الآتية :

— فى قيادة كل كتيبة مقسم أو اثنان ، لتأمين الاتصالات بين قيادة الكتيبة ووحداتها من جهة ، وبين قيادة الكتيبة وقيادة اللواء من جهة ثانية ، وبين قيادة الكتيبة والوحدات المجاورة من جهة ثالثة .

— فى قيادة كل لواء عدد من المقاسم — مجمعة أو موزعة — لتأمين الاتصالات مع الجهات الثلاث (الوحدات — القيادة الأعلى — الجوار) .

— فى قيادة الجهة مجموعة كبيرة من المقاسم لتأمين هذه الاتصالات مع الجهات المختلفة .

وإضافة لذلك ، فلقد وجدت كثير من المواقع الدفاعية والمخافر ، التى

هى دون مستوى المكتتية ، (سرية أو فصيلة منعزلة ؛ أو جماعة متقدمة) ... ، اقتضى وضعها القتالى وجود مقسم لديها ، ولذا فقد تم تأمين هذه المقاسم بنسبة كافية .

ولقد كانت خدمة هذه المقاسم تقع على عاتق وحدات الإشارة الداخلة فى صلب تشكيل الوحدات (فصيلة إشارة المكتتية ، سرية إشارة اللواء... إلخ) وأما حين يوجد مقسم ما ، لدى وحدة صغيرة فرعية « سرية أو فصيلة مشاة . . » . فكانت خدمة هذه المقاسم تؤمن من قبل عناصر تعيينها لهذه الغاية وحدات الإشارة التابعة للقيادات الأعلى ، أو يعين عليها أفراد من الوحدة الصغيرة نفسها بعد إلحاقهم بدورة محلية مدتها لا تتجاوز الأسبوع ، ليتم تعليمهم على هذه المقاسم ، ثم . . . يقومون بخدمتها .

وأما أماكن إقامة هذه المقاسم ، فغالباً ما تكون فى الملاجىء الحصينة ، قريباً من القادة — ما أمكن — وأحياناً ، اضطرت الوحدات لتأمين إقامة المقاسم فى الخيام ، أو البيوت العائدة للقرى النموذجية ، أو البيوت المستأجرة من المدنيين .

٢ - الاتصال اللاسلكى :

هذا النوع من الاتصال محرم فى منطقة الجولان طيلة فترة حياة الجيش فيها . ولم يسمح به إلا فى حالات نادرة جداً . وقد حددتها الأوامر الدائمة ، وكانت تصدر أوامر خاصة تسمح باستعمال الأجهزة اللاسلكية فى فترة خاصة وضمن شروط وأحوال تفصلها الأوامر .

هذه الحالات التى كان يسمح بها استخدام الاتصال اللاسلكى ، هى :

(أ) حالات القتال ، وبعد فقدان الاتصال السلكى ، وفقدان إمكانية إعادته خلال فترة لا تؤثر تأثيراً سيئاً فى سير القتال .

(ب) حالات التدريب سواء أكان تدريب العناصر الفنية أو تدريب الضباط ، أو تدريب القوات ، وكانت لذلك تصدر أوامر تفصيلية دقيقة ،

تحدد الوقت وأنواع الأجهزة الممكن استخدامها ، والرموز الواجب استعمالها خلال التخاطب لاسلكياً .

(ج) حالات صيانة الأجهزة وإصلاحها ، وذلك أيضاً ضمن شروط وأوقات ورموز محددة مفصلاً بالأوامر .

(د) حالات خاصة ، وضمن فترات معينة ، لتجريب الأجهزة ، والتأكد من صلاحها للعمل وقت الحاجة ، وذلك أيضاً ضمن منهاج خاص بذلك ، يحدد أنواع الأجهزة ، والرموز ، وفترات الاستخدام وغيرها من الأمور التي تفرض سرية استخدام الأجهزة .

٣ - وسائل أخرى في تأمين الاتصال :

إضافة إلى الاتصال بوسيلتيه الرئيسيتين . كانت هناك وسائل أخرى تبادلية ، تم استخدامها في حالات مختلفة ، وضمن برامج خاصة لبعضها ، وأهم هذه الوسائل :

(أ) الاتصال الشخصي : بين القادة لتبليغ أوامر أو الإبلاغ عن أمور ذات أهمية خاصة .

(ب) المراسلون : الذين يكلفون بنقل أمر ما ، - شفهيّاً أو كتابياً - لقائد ما ، من سلطة أعلى أو من سلطة أدنى ، وسواء أكانوا راجلين - أم راكبين .

(د) شهب الإشارة : وهي وسائل ضوئية نارية ، ذات رموز خاصة معروفة للقوات ، وموزعة على الوحدات حسب ملاك معين ، مع أوامر خاصة باستخدامها تحدد أوقات الاستخدام ، وحالاته ، وأنواع الشهب الخاصة بكل حالة منها .

(ط) الاستطلاع (١) :

اعتمدت في منطقة الجبهة أعمال الاستطلاع ، بصورة محدودة .
وبوسائل بدائية إذا قيست بطرق ووسائل الاستطلاع الحديثة المستخدمة في
جيوش العالم اليوم .

ولسنا بصدد التعرض للبحث في تفصيلات عن طرق الاستطلاع ،
ووسائله ، وإنما يهتأ عرض موجز لما اعتمد واستخدم وطبق في الجبهة ،
خلال فترة حياة القوات فيها وما أعد للاستخدام في حالات الاشتباك .

١ - الرصد : كان من أكثر طرق الاستطلاع استعمالاً وشيوعاً في
الجبهة . ويعتمد على إقامة مراصد يخدمها أفراد يراقبون العدو ليل نهار ،
وينقلون مشاهداتهم إلى القيادات المسئولة فتقوم هي باستنتاج ما يهتأ من
هذه المعلومات وسنتكلم عنه مفصلاً جداً في كتابنا القادم إن شاء الله .

٢ - رصد الضباط : كان يتم في حالات خاصة من أجل التأكد من
مشاهدات ذات طابع خاص ، ويؤديه غالباً ، القائد المسئول ، يرافقه
ضباط الاستطلاع ، وضباط من ذوى الاختصاص الذى تقع في دائرته
المشاهدات التى تستدعى مثل هذا الاستطلاع .

٣ - الاستماع اللاسلكى : ويتم بواسطة أجهزة خاصة يعمل عليها
اختصاصيون ، للتفتيش عن شبكات العدو والاستماع إلى مخاطباتها ، ونقلها
إلى المراجع المتخصصة في شعبة المخبرات ، وقد أقيمت ثلاثة مراكز ،
في كل قطاع واحد منها ، يضم مجموعة من أجهزة الاتصالات ذات الحساسية
العالية ، ويقوم على خدمتها عدد من ضباط الصف المدربين تدريباً عالياً
ويتقنون استعمال الأجهزة كما يتقنون اللغة العبرية ، وترفع التقارير يومياً
إلى القيادة العامة عن نشاط شبكات العدو وتبادل البرقيات فيما بينها .

(١) الاستطلاع : تعبير استخدم في الجيش السورى ، ليدل على جميع الأعمال التى تقوم
بها القوات في الميدان ، من أجل الحصول على المعلومات الكافية عن أوضاع العدو وقواته ونشاطاته
ونواياه . . . إلخ .

ولقد ساهمت هذه الأجهزة إلى حد كبير في الحصول على معلومات عن العدو ، وكان من أبرز ما حققته من فائدة ، ما التقطته من برقيات متبادلة بين وحدات العدو في الاشتباكات ٣ - ١٢ - ١٩٥٨ (١) ، والتوافيق ١٩٦٠ ، وتل النيرب ١٦ - ٣ - ١٩٦٢ .

ولا يخفى أن كثيراً من البرقيات التي كانت تتبادلها أجهزة العدو - خصوصاً أوقات الهدوء - كانت للتضليل والتشويش أو بغاية تجريب الأجهزة ، أو تدريب وحداته وعناصره . وقد كان بإمكان سدة الأجهزة في مراكز الاتصالات - إلى حد كبير - أن يحددوا نوعية البرقيات وأهميتها وما إذا كانت حقيقة أو للتضليل .

٤ - الاستطلاع بالدوريات : وقد مارس الجيش هذا النوع من العمل على نطاق محدود جداً ، وذلك تمشياً مع سياسة الدولة ، التي سادت كل تلك السنوات ، والتي انعدمت فيها لدى المسؤولين - عسكريين وسياسيين - فكرة الهجوم ... بل وحتى فكرة الدفاع المتحرك الفعال .

ومن أبرز أعمال الاستطلاع بالدوريات ، التي نفذت :

(أ) سلسلة طويلة من أعمال الدوريات ، نفذها فوج المغاوير عام ١٩٥٦ لإبان العدوان الثلاثي على مصر ، وبعده بفترة وجيزة ، وقد استغرق تنفيذها ما يقارب شهر ونصف الشهر . وذلك من أجل التعرف على أهداف حددت لهذا الفوج داخل الأرض المحتلة ، وتمهيداً لمقاتلتها - حين تصدر الأوامر

(١) في ليل ٤ - ٥ / ١٢ - ١٩٥٨ تمكنت هذه الأجهزة من التقاط اتصال لاسلكي واضح مكشوف قامت به أجهزة العدو تبين بعد تدقيقها أن العدو أرسل في تلك الليلة وحدة إغارة بقوة فصيلة مشاة معززة لضرب مخفر الدريجات والعودة وذلك للانتقام الفوري والثأر لحماضه في اشتباك ٣ - ١٢ - ١٩٥٨ . وقد تمكنت قواتنا في الدريجات وجليبية من إحباط هذه المحاولة قبل وصولها إلى هدفها ، وجرت محاولة لتطويق القوة الغيرة ، ولكن قائدها كشف الأمر فانهل بقيادته ، فأمرته هذه بالانسحاب دون تأدية المهمة . وقد فتحت نيران الكائن عليها وأجبرتها على الجري في طريق الدودة مخلقة وراءها جهاز اللاسلكي وبعض مخازن الذخيرة .

بذلك - ويمكن الأمر اقتصر على أعمال الاستطلاع ، وعاد الفوج بعد مدة وجيزة إلى معسكراته ، بعد انتهاء حالة التوتر .

(ب) سلسلة طويلة جداً ، ومستمرة من أعمال الدوريات الخاصة ، التي مارسها الفدائيون من أبناء فلسطين ، والتي كانت تنفذ بدقة ، وتحت إشراف شعبة المخابرات في القيادة العامة ، والفروع التابعة لها في الجبهة .

(ج) أعمال استطلاعية محدودة جداً ، وخاصة ، وبدون علم القيادات ، أو إذن منها ، نفذها عدد ضئيل من الضباط ، بغية الحصول على معلومات أوفى وأدق ، عن بعض أعمال العدو في الطرف المقابل لقواتنا ، وكان من أبرز ما تم من هذا النوع ، هو دخول بعض الضباط إلى الأرض التي تضم المرحلة الأولى من مشروع تحويل نهر الأردن ، بغية استكمال دراسة هذا المشروع بصورة دقيقة .

٥ - الاستطلاع الجوي : وكثيراً ما كان يكلف سلاح الطيران بطلعات استطلاعية فوق الأرض المحتلة ، ومن هذه الطلعات ما كان لصالح قوات الجبهة بصورة مباشرة ، ومن أبرز الحالات التي نفذت فيها مثل هذه الطلعات - لصالح الجبهة - هي الاستطلاعات الجوية التي نفذت عقب معركة التوافيق (عام ١٩٦٠) ، وعقب معركة تل النيرب (عام ١٩٦١) ، وذلك من أجل الكشف عن طبيعة التحركات الضخمة التي مارسها العدو خلال هاتين الفترتين ، وغيرهما كثير .

٦ - التصوير الأرضي : استعمل هذا النوع من الاستطلاع في حدود ضيقة ، وحين كان الأمر يقضى بمراقبة دقيقة ومستمرة لتغيرات الأرض في الطرف المقابل لقواتنا ، وذلك بغية مقارنة سلسلة من الصور لمنطقة واحدة من الأرض ، فتظهر عندها جلياً أية تغيرات قد طرأت ، وبدراستها مع مصادر المعلومات الأخرى ، يمكن الخروج بمعلومات صحيحة ما أمكن عن طبيعة الأعمال التي يقوم بها العدو في المنطقة المقصودة بمثل هذه الدراسة .

وكذلك استخدم التصوير الأرضي لتقديم صور إيضاحية للقيادة عن أنواع من الزوارق وجدت في بحيرة طبريا ، وعن بعض الأعمال الإنشائية التي استأثرت باهتمام القيادة ، مثل الأعمال التي نفذت بين جسر بنات يعقوب وجسر بستان الخورى ، وكذلك قناة التحويل (المرحلة الأولى من تحويل نهر الأردن) ، وكذلك حفريات العدو جنوب تل المطلة على حدود الأرض المجردة (سيرد تفصيل واف لهذه الأمور في كتابنا القادم) .

٧- التصوير الجوي : ولم يستخدم هذا النوع من الأعمال الاستطلاعية إلا لصالح القيادة العامة ، وأحياناً قليلة جداً نفذ لصالح قوات الجبهة ، وقد نفذ منها ما هو ليلي وما هو نهاري ، ومن أهم الطلعات التصويرية التي نفذها الطيران لصالح الجبهة ، كانت :

— طلعات ليلية للتصوير ، فوق منطقة صفد — الجاعونة — الخالصة . وذلك في شباط عام ١٩٦٠ ، عقب معركة التوافيق .

— طلعات نهائية للتصوير . فوق منطقة كفر شامير ، للتأكد من صحة الخبر الذي أدلى به أحد أعضاء لجنة الرقابة الدولية ، عن وجود عدد كبير من الدبابات في تلك المنطقة وكان ذلك في عام ١٩٦٢ .

هذه الأنواع من طرق الاستطلاع ، نفذت قبل الحرب ، واعتمدت مع طرق أخرى أهم وأكثر ، في خطة الاستطلاع ، وهي عبارة عن أمور عسكرية معقدة ليس لنا أن نفصل فيها لأنها من الأمور التي تهتم العسكريين أكثر مما تهتم القارئ الآخر .

وأخيراً : لقد كانت الصفحات السابقة موجزاً لما بذل من جهود ووقت وأموال ، وتصويراً سريعاً لضخامة الإمكانيات — البشرية والمادية الأخرى — التي أحشدت في منطقة الجولان ، تحسباً لساعة خطر ، تكاليف جاءت يوم حزيران العار .

ولعل الذي شرحناه ، ليس إلا جزءاً من جهد أكبر ، استهلك الكثير جداً من الوقت ، والجهد والمال ، استعداداً لمثل هذه الساعة .

هذا الجهد ، هو خطة عمليات الجبهة . ولقد استعرضت في صفحات سابقة ، بصورة موجزة جداً ، وواضحة ، لمحات مما ورد في خطة العمليات هذه لأن من غير الممكن كشف ذلك كله للقارئ ، والحرية بعد ذلك للعقل المتبصر ، لينطلق من المستوى الذى تمكنا من شرحه ، فيتصور ضخامة الجهد الذى بذل حتى أصبحت الجبهة - ومن ورائها الجيش - ، جاهزة لتأدية وانجبا ، وسداد الدين الذى عليها ، فتحمى البلاد من عدو غاز طماع ، وترد عار الذكبة إلى جباه الذين سعوا إليه وساهموا فى صنعه ، وتحطم أسطورة الجيش الإسرائيلى المتغطرس .

ولكى نسهم أكثر فى تسهيل مهمة المخلصين الذين يريدون الوقوف على الأبعاد الحقيقية للجريمة . . . سأضع لهم على الطريق بعض الصوى ، عليها تعينهم فى الوصول إلى فسحة التصور الحقيقى ، لفداحة الخيانة التى ارتكبت بحق هذه الأمة .

فخطة عمليات الجبهة ، هذه التى نتحدث عنها ، لم تكن مجموعة من الأوامر والمخططات ، ضمها مجلد أو أكثر . . .

إن هذه الوثائق . . . هى فعلا جهد ضخم جبار ، استغرق إعدادده وقتاً طويلاً . . . واستهلك الكثير من الجهد والمال . . . حتى أصبحت هذه الوثائق جاهزة .

ولكن الأضخم والأكبر بكثير . . . هو :

(أ) ما يعتبر من مقدمات لتحقيق هذه الخطة من : تدريب للضباط بمختلف اختصاصاتهم - استقدام الخبراء الأجانب - استطلاعات الأرض حتى غطت كل شبر لدراسة إمكاناته وفاعليته - الدراسة النظرية للفرضيات القتالية المتعددة ، والخروج بالأكثر احتمالاً للوقوع ، والتخطيط لقتال ناجح يتناسب معها - الجهود الجبارة المبذولة من قبل كافة الأجهزة (السياسية والعسكرية) للحصول على أدق المعلومات عن العدو ، ثم التعرف على نواياه ، والتحسب لكل نية من هذه النوايا . . . الخ .

(ب) ما يعتبر نتائج طبيعية لهذه الخطة من : - إجراء التعديلات في أوضاع التمرکز (تقوية أو تخفيفاً ، إضافة أو إلغاء) ، - تدريب القوات على فرضيات الخطة والحلول التابعة لها ليكون القتال (عند وقوعه) أمراً مألوفاً لدى القوات - وما يلحق بذلك من تفصيلات تخص الرجال والتسليح والعتاد ، ووسائل حفظ الوثائق و . . . إلخ .

هذه الجهود التي قد لا يتمكن عقل ما ، من حصرها جميعاً في دائرة تصويره ، والتي حاولت أن ألقى عليها الأضواء من زوايا متعددة . . . في ما مضى من صفحات . . . قد تكون قصرت في مهمة التوضيح هذه . . . فلفل المخططات المتواضعة المرافقة ، تسهم في رسم الصورة الحقيقية الواضحة . . . فتبرز بعد ذلك لكل محلّص ، الأبعاد الواضحة والعمق الحقيقي للغيانة التي أقدم عليها أهل السلطة المستواون في حزب البعث في سوريا . . . إذ أقدموا على إلغاء ذلك كله . وتعطيله عن تحقيق فعاليته التي جهز لها خلال عشرين عاماً . . . وقدموا الجبهة الحصينة ، هدية سهلة لينة لقوات العدو . . . دونما أي جهد بذلته سوني ما اقتضته ضرورة التمثيل وغير ما لاقت من الضراوة بسبب المقاومات الفردية التي مارسها بعض القادة (غير البعثيين) وبعض أفراد الشعب حين تجاهلوا أوامر قيادة البعث التي طالبتهم بالانسحاب ، ثم عززت مطالبها تلك ، ببيانها الفاجر الذي أذاعته معلنة سقوط القنيطرة ، قبل سقوطها بسبع عشرة ساعة على الأقل .

ولكن . . . كيف حدث ذلك ؟ ؟

. . .

القسم الثاني
المؤامرة يوم السقيفة

الفصل الأول الوصف الكالح

« . . . إنه لا بد على الأقل من اتخاذ حد أدنى من الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ضربة تأديبية لإسرائيل تردها إلى صوابها . . . »

إن مثل هذه الإجراءات ستجعل إسرائيل تركع ذليلة مدحورة ، وتعيش جواً من الرعب والخوف يمنعها من أن تفكر ثانية في العدوان . . .

إن الوقت قد حان لخوض معركة تحرير فلسطين ، وإن القوات السورية المسلحة أصبحت جاهزة ومستعدة ليس فقط لرد العدوان الإسرائيلي ، وإنما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيوني من الوطن العربي . . .

إننا أخذنا بعين الاعتبار تدخل الأسطول الأمريكي السادس . . .

إن معرفتي لإمكانياتنا تجعلني أؤكد أن أية عملية يقوم بها العدو هي مغامرة فاشلة . وهناك إجماع في الجيش السوري الذي طال استعدادده ويده على الزناد ، على المطالبة بالتعجيل في المعركة ، ونحن الآن في انتظار إشارة من القيادة السياسية . . . »

من تصريح رسمي للواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري نشرته جريدة « الثورة » شبه الرسمية في عددها الصادر في ٢٠ أيار سنة ١٩٦٧ .

- ١ -

سير الحوادث

إن الذى حصل . . يكاد يكون كالخيال . . فالذين يتصورون أن قتالا ناجحاً قد نفذ ، وأن معركة نموذجية قد أدبرت . . . فالحقائق التالية ستخيب ظنونهم . . . وتريهم أن مجال دراساتهم التاريخية العسكرية ، ليس هنا . . . فلم يدر قتال صحيح على أى مستوى كان .

ولكن الذى حصل . . . هو مجال جيد للدارسى تاريخ المؤامرات والباحثين عن أسباب انهزام الأمم وانهارها ، وبشكل معيناً قد لا ينضب ، لكاتبى قصص التجسس ، والمولعين بالكشف عن خفايا أعمال الخيانة الكبرى فى تاريخ الشعوب .

وما لنا وللتعليق الطويل — ها هى الأحداث كما حصلت :

(أ) منذ الساعات الأولى لبدء إسرائيل القتال . . . أخذت القوات السورية وضع الترقب دونما تحريك لساكن على الجبهة . . بل اكتفت بالبلاغات (كاذبها أو صادقها . . . الله يعلم) ودامت الحال هكذا فطيلة يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ .

(ب) ومنذ صباح ٦ حزيران قامت المدفعية السورية بقصف مركز منهك ، استمر أيام ٦ ، ٧ ، ٨ حزيران ، وأنزلت خلال هذا القصف آلاف الأطنان من القذائف من كل عيار وكل نوع . . . حتى بدا للناظرين أن شريط المستعمرات المقابل للجبهة السورية قد غطيت أرضه بالقنابل . . . لىكل ذراع قنبلة ، وقد شوهدت الحرائق تتصاعد مدة خمسة أيام .

(ج) تم حشد ألوية الاحتياط للقيام بالهجوم من قطاع — بانياس — البطيحة — وذلك على الشكل التالى :

١ - اللواء ١٢٣ احتياط ، أعطى أوامر الهجوم ، وحددت له منطقة تجمع في منطقة عين الحمراء ، وعينت له قاعدة الانطلاق ، على الخط : (جليبينة - الدريجات الجمر - أشرف حمدي) وبذلك بلغ عرض جبهة هجوم هذا اللواء ٥ - ٦ كيلومترات .

٢ - اللواء ٨٠ احتياط ، تم حشده في منطقة تجمع في (وادي حواء قرب الفاخورة - السناير) ، وحددت له قاعدة الانطلاق على الخط : (علمين - تل المشنوق - مخافر الخفيات حتى الدكة - تل الأعور) وبذلك بلغ عرض جبهة هجوم اللواء (٩ - ١٠ كم) . أى أن هذا اللواء كلف الهجوم على جبهة واسعة . وبذلك يكون قد حدد في أوامر الهجوم هذه أن قطاع الخرق الرئيسي هو قطاع (جليبينة - أشرف حمدي) ، ويقابله في الأرض المحتلة قطاع بستان الخوري - طوبا . وأن محور الهجوم الرئيسي هو محور : قنيطرة ، عليقة . جسر بنات يعقوب - روشينا - صفد .

٣ - هذان اللواءان يشكلان النسق الأول لمجموعة ألوية ، يفترض فيها أن تضم لواء ثالثاً من المشاة مع لواء مدرع ، ولواء مدفعية وكتيبة هندسة ، وكتيبة إشارة وأكثر من كتيبة مدفعية م - ط وكتيبة مدفعية م - د مع باقي الوحدات المساعدة كسرايا الكيمياء وسرايا الشرطة العسكرية ، وكتائب النقل والشئون الإدارية ... إلخ .

هذه الوحدات والقطعات الأخرى ، لم يعرف حتى الآن إن كانت قد حشدت ضمن نطاق مجموعة الألوية - المفترضة هذه - أم لا ... وأن كل ما استطعنا الوقوف عليه ، هو حشد لواء المشاة الاحتياط المذكورين في المناطق التي ذكرت وأعطيت واجب اليوم ، احتلال مدينة صفد (١) .

(١) واجب اليوم : تمبير قتال مستخدم في الجيش الدوري ، ويقصد به الواجب القتالي الذي يعطى لوحدة ما ، لتنفيذه خلال يوم قتال واحد ، ويبلغ طوأل اليوم القتالي عشر ساعات قتال . وللايضاح مثلاً ، يكون واجب اليوم لمجموعة ألوية في الهجوم ، احتلال المنطقة الدفاعية الهائية في دفاع العدو ، والتي يبلغ فيها العمق ما بين خط الدفاع الرئيسي ، ونهاية هذه المنطقة ، سواى ٢٥ كيلو متراً .

(د) قامت وحدات الهندسة ليل ٥ - ٦ حزيران بتركيب الجسور العسكرية فوق نهر الأردن وعلى المخاضات بالذات ، وكان عملاً - من الناحية الفنية البحتة - ممتازاً ، وقد كانت أبرز المخاضات التي ركبت الجسور عليها : (مخاضة قصر عطرة - مخاضة الغوراني - مخاضة السمردل - مخاضة الدكة - مخاضة الشائلة ... إلخ) .

(هـ) تم احتلال كتائب الهجوم لقاعدة الانطلاق ، في الساعة السادسة (١) من صباح الثلاثاء ٦ حزيران ، مما أدى إلى أن يقوم الطيران المعادي بالقصف المنهك على هذه القوات - وهي في العراء - مدة أربع عشرة ساعة . فكان من نتائج ذلك القصف فشل الهجوم على صفد قبل بدئه ، وتحولت مهمة هذه القوات إلى الدفاع ، بعد إلغاء خطة الهجوم الكاذبة .

(و) صباح الثلاثاء ٦ حزيران ، نفذت مجموعة - تركيبة (تشمل سرتي حرس وطني وسرية دبابات ، لك « فصيلة » التصوير للتليفزيون ، هجوماً تمثيلاً ، انطلق من (هضبة المغاوير - تل العزيرات) ، واستهدف مستعمرة شرياشوف ، وحين وصلت هذه المجموعة - التركيبية - إلى الهدف السخيف ، وجدته قاعاً صنفصفاً ، وقد أخلت من السكان ، وأحرق تماماً بسبب القصف المدفعي الهائل - مع باقي المستعمرات .

(ز) بغية « تسهيل مهمة ألوية (الهجوم) » أعطيت الأوامر للقوات المتمركزة سابقاً في المواقع التي شملتها قاعدة الانطلاق ، بالانسحاب على الشكل التالي :

١ - القوات الموجودة في منطقة السناير ، والقادرية ، أمرت بالانسحاب (عرضانياً) (٢) إلى واسط .

(١) المفروض أن يتم احتلال قاعدة الانطلاق ليلاً ، وتعمل أوامر الهجوم النهائية عليها ، وقبل انبثاق أول ضوء ، تبدأ نيران القهيد ، ثم ينفذ الهجوم مع أول نسوه ، وذلك تفادياً للقصف المعادي ، الذي يشكل خطراً كبيراً على قوات الهجوم ، وهي في مرحلة احتلال قواعد انطلاقها .

(٢) عرضانياً : هو الخط الموازي لجهة المواجهة مع العدو .

٢ - القوات المتمركزة في جليبيته وتل ٦٢ ، والبطيحة قوات حرس وطني () ، أمرت بالانسحاب - طويلاً - (١) لتتجمع في نقاط تجمع خلفية بعيداً عن مجال تحرك الألوية المهاجمة .

هذان التحركان ، اللذان نفذاً أصلاً لتسهيل حركة ومهمة القوات المكلفة « تنفيذ الهجوم » شكلاً أكبر عقبة في وجه هذه القوات ، فاختلفت الحابل بالنابل ، وعجت الطرق بالآليات والقوات والأسلحة المقطورة ، فكان ذلك كله هدفاً (لقطه) ، للطيران الإسرائيلي ، فأخذ يتسلى بضرب هذه القوات ، بالرشاشات ، والقنابل وصواريخ النابالم ، ... وكانت كارثة حطمت « الهجوم » ، أفرغت المواقع الدفاعية من حماها .. وتركت الأرض عراء أمام العدو ... تغطيها الجثث وهياكل الآليات ، وحطام الأسلحة ، بدلاً من أن تغطيها النيران ، لتدفع عنها شره ، وترده خائباً يجر الخزي والانكسار .

(ح) عملت المدفعية المضادة للطائرات - بياراتها المختلفة - عملاً رائعاً ، ونموذجياً ، وساهمت إلى حد كبير في إسقاط أو إعطاب عدد من طائرات العدو ، والتخفيف من وطأتها على القوات الصديقة .

(ط) الطيران السوري - لم يظهر في سماء المعركة أبداً . وكل ما قام به هو طلعات متفرقة نفذتها مجموعات تتألف كل منها من أربع إلى ست طائرات اتجهت نحو فلسطين المحتلة يوم ٥ حزيران ، وأذاعت إذاعة دمشق ، أنها قامت بضرب أهداف في داخل الأرض المحتلة .

وبعد هذا ، ... وطيلة أيام الحرب المسرحية ، اختفى اسم الطيران ، ولم يظهر إلا بعد انتهاء الحرب .

(ي) الانسحاب - أو الهروب - الكبير :

(١) طويلاً : هو الخط العمودي على خط التراجع جهة مع العدو .

منذ مساء الخميس ٨ حزيران ، بدأت الشائعات تسرى سريان النار في
الهشيم ، عن أوامر صدرت بالانسحاب .

وبدلاً من أن يملك القادة أمرهم ، ويضبطوا أعصابهم ، ويبقوا في أماكنهم
ينفذون واجبهم - الذي على أمل أن يؤدوه احتمال الشعب لإساءاتهم التي
لا تحصى - ، بدأ قسم من الضباط - وحتى القادة - ، الانسحاب ، والسكى
تشجيع الجريمة ، ساهموا بنشر تلك الشائعات عن أوامر صدرت من القيادة
العامة ، تنص على الانسحاب - كيفياً - .

ويال هول ذاك الذي حدث ...

١ - فقائد الجيش ... (اللواء) أحمد سويداني ... انهزم عن طريق
(نوى) إلى دمشق تاركاً وحدات الجبهة ووحدات احتياط الجيش دون
قيادة . واقعة في حيرة من أمرها ، وقادتها لا يدرون ماذا يفعلون .

٢ - وقائد الجبهة .. العقيد أ . ح أحمد المير (١) .. غادر الجبهة فاراً على

(١) في هذه المناسبة ، يقودنا الراحب إلى استطراد بسيط نستوقف القارئ خلاله برهة
لنذكره بأدوار هامه سبى أن جرت في تاريخ الجيش والبلاد ... لتلقى ضوءاً ساطعاً يكشف جوانب
خطيرة من البلوى الذي رلت هذه الأمة .

دلو عدنا إلى عام ١٩٦٣ - أي قبل النكبة والعمار الأكبر بأربع سنوات تقريباً - ، وعلى
وجه التقريب . . في شهر تشرين الأول من العام نفسه ، صرح العقيد أحمد المير (وكان يومذاك
برتبة مقدم) ، لإحدى الصحف اليسارية قائلاً : « لقد استأثقت سلاسل الدبابات للنزول إلى دمشق ،
لمسحق المؤامرات » وجاء هذا التصريح ، بعد ما لا يزيد عن أربعة أشهر على حادث ١٨ تموز
الذي نفذته الناصريون زعامة جاسم علوان ، وهاجوا يومها الأركان العامة ودار الإذاعة وبعض
المعسكرات الهامة ، ثم فشلت المحاولة هذه ، وأعقبها موجة من أعمال الإعدام والإرهاب ،
والإعتقالات . . . وكان اللواء السبعين المدرع ، دور كبير جداً في إحباط تلك المحاولة ، حيث
رلت الدبابات - فعلاً - بسلاسلها ، لتنشر الرعب والإرهاب بحجة قمع المؤامرات . وحين صرح
العقيد المذكور بذلك التصريح ، كان قائداً لذلك اللواء ، الذي حوله الحزب الحاكم في سورية ،
من وحدة ضاربة ضد أعداء البلاد ، إلى وحدة ضاربة ضد الشعب كله .

وعقب حرب حزيران العار ، عين العقيد هذا عضواً في القيادة للقومية لحرب البعث ،
ككافأة له على دوره في (. . خدمة الحزب والثورة) .

في عام ١٩٦٥ ، وعقب موجة من قرارات التأميم ، أصدرتها السلطة في سوريا ، وشملت =

ظهر حمار لأنه لم يجروا على الفرار بواسطة آلية عسكرية ، فالطيران المعادي كان يقضى على كل آلية يراها مهما صغر شأنها .. ولكن الحمار عجز عن متابعة رحلة الهروب فتخلى عنه أحمد المير وأكمل الرحلة إلى دمشق على قدميه فلم يصلها إلا وقد تورمت قدماه وخارت قواه ، وألقى بنفسه بين يدي أول صاحب مروءة لينقذه من حاله التي هو عليها .. وكان في حالة الزرابة يثير الضحك حقاً .

٣ - اتصل عدد من الضباط بقائد الجبهة قبل فراره فرفض التصرف ، وقال لهم بالحرف الواحد : « أنا لست قائد جبهة ، اتصلوا بوزير الدفاع » فأقيم الاتصال مع وزير الدفاع ، بواسطة الأجهزة اللاسلكية ، وجرت الاتصالات بين (قمر ١ وقمر ٢) (١) فأجاب وزير الدفاع : « أنه قد أخذ علماً بالوضع ، وأنه قد اتخذ الإجراءات اللازمة . » ؟

٤ - لجأ بعض الضباط من وحدات اللواء (٨٠) احتياط إلى قيادة موقع القنيطرة بعد فقدانهم الاتصال بقائد اللواء وأى مسئول في قيادة اللواء . . . فوجدوا المقدم (وجيه بدر) مائتاً في القنيطرة يترقب الأخبار ، ولما حاولوا أن يفهموا منه صورة حقيقية عن الوضع ، تبين أنه لا يفقه شيئاً ، وحاول الجميع الاتصال بقيادة الجبهة ، فوجدوها خلواً من أى مسئول . . عندها

عددًا من المؤسسات الصناعية والتجارية ، قام (اللواء) أحمد سويداني - وكان يومذاك رئيساً لشعبة المخابرات ، ورتبة .قدم - ، قام بتدبير ، مؤامرة جر إليها الشعب كله وفي مقدمته طبقة التجار وقسم من علماء المسلمين ، وحدثت يومها مجزرة الجامع الأموي في دمشق ، وأعقبها موجة رهبة من الاعتقالات وأحكام الإعدام ، وقام السويدي نفسه ، بالإشراف على أعمال التعذيب والإضطهاد وإهانة علماء وفصلاء المجتمع . . . في ظل رئاسة وتشجيع الفريق أمين الحافظ ورئيس الدولة يومذاك .

هذان موقفان بارزان ، لقائدين ، هما أكبر قائدين مباشرين يجب أن يسألا ، عن الذي حدث في الجبهة (الجولان) خلال حرب حزيران من عام ١٩٦٧ - وقفاهما ضد الشعب الأعزل المغلوب على أمره . . . أردنا أن نذكر بهما . . ليكونا نموذجين واضحين لمواقف كل رجال السلطة البعثيين وأتباعهم . . . ضد الشعب كله . . . ولإجراء المقارنة بينها وبين مواقف الأشخاص أنفسهم ، ضد عدد البلاد الأخطر والأكبر ، وفي هذا ما يغني عن كثير من البيان . (١) نموذجان للرموز التي يتم بها انتخاب عبر الأجهزة اللاسلكية ، وهما رمزان إلى وزير الدفاع ، وقيادة الجبهة . وهذه الرموز اصطلاحية يتم تغييرها بين آونة وأخرى . . .

دب الفزع في قلوب عدد كبير منهم ، واتخذوا وجههم نحو دمشق ، طالبين النجاة بأرواحهم ، تاركين جنودهم كتلاً لحمية تتدافع على الطرقات ، يدوس القوي منها على الضعيف ، ... وأنين الجرحى والمشوهين ، يملأ سهول القنيطرة ، وترجع أصداؤه سفوح التلال المتباعدة المتناثرة هنا وهناك ، لا يشوه هذا الأصداؤه ، إلا أزيز الطائرات المعادية .. وأصوات المسكبرات المنبعثة من طائرات الهليكوبتر .. ينادى بواسطتها الإسرائيليون جنودنا الفارين .. أن ألقوا سلاحكم ، تنجوا بأرواحكم .. فيستجيب الفارون للنداء ويتخلصون من هذا السلاح ، الذي أصبح اليوم مبعث تهديد لهم بالموت .. بدل أن يكون مستقراً للطمأنينة . ومبعثاً للثقة بالنفس ، وعاملاً مشجعاً على الوقوف برجولة في وجه العدو الغازي .

٥ - عند فقدان كل الاتصالات ، وانفراط عقد السيطرة القيادية الذي كان ينظم الوحدات كلها ، أخذ كل من القادة الصغار يتصرف حسب هواه . أو حسب بداهته .

فالكثيرون هربوا ... نعم هربوا .. وأعطوا الأوامر لجنودهم بالهرب .. والقلائل جداً ، - وهم من غير البعثيين - ، صمدوا .. وقاتلوا .. وظهرت بطولات فردية ، سنتكلم عنها بعد قليل ..

المهم ... أن الهرب من القتال ، وتولية الدبر للعدو . قد بدأ منذ مساء الخميس ٨ حزيران .. وبدأ يستشرى ويتسع ويمتد . حتى بلغ ذروة تفاقمه يوم السبت ، ١٠ حزيران . بعد إذاعة البيان القاجر ، الذي أعلن سقوط القنيطرة ، ... ولم يك جند العدو قد رأوها بأعينهم بعد - بله أن تكون أقدامهم وطئت أرضها .

ومنذ صباح الجمعة ، وحتى صباح الأحد - ١١ - حزيران ، شهدت أرض الجولان ، وما حولها من أراض وطرقات مؤدية إلى دمشق أو إلى الأراضي اللبنانية . أو إلى منطقة حوران ، أو إلى منطقة أربد .. شهدت

هذه المناطق ، منظرآ ، لو أتيج لعدسة تصوير أو ريشة رسام أن تحيط به كله مرة واحدة ، لكانت لقطة من أندر ما عرف في تاريخ التصوير أو الرسم ، ولبقيت صورة حية ناطقة شاهدة على ما أصاب هذه الأمة من عار وخزى ... ولكانت أقوى حجة أمام محكمة التاريخ ، تقودها إلى إدانة الحزب بالجريمة الكبرى ، التي لم يعرف لها تاريخ المنطقة مثيلا في العمق والدقة والإحكام ... والفجور .

هذه الصورة المحزنة .. التي أقل ما يمكن أن يقال عنها ، أنها تقطع نياط القلوب ، وتجرح كل كريم من هذه الأمة بجرح ينز دماً وألماً وحسرة ... كيف يمكن للوصف أن يحيط بها ، حتى يعطى للقارىء وللأجيال المقبلة .. فمكرة وأضحكة عن الذى حدث ... وعن درجة الانهيار التي بلغتها هذه الأمة .. في أسوأ طور من أطوار تخلفها وانحطاطها ؟

إننا لو حاولنا أن نتصور الطرق المعبدة (المفروشة بالأسفلت) ، لرأيناها تغص بالحفر التي أحدثتها قنابل الطائرات المعادية .. وقد نقشت أمامها أو خلفها وعلى جوانبها ، بقع صغيرة من البياض الموصغ أحدثتها رشات الرشاشات المنبثقة من طائرات العدو ... خلال انقضاضاتها المتتالية المتكاثرة ، على الأرثال والآليات الفرادى . .

إن تلك الطرق ... قد أصبحت تشبه عقداً مشوهاً طويلاً متلوياً ، تثابت حباته بغير نظام ، وهى آليات محروقة ، أو حفر مسودة بتأثير النابالم أو عربات انقلب خلال محاولتها الفرار من الطائرات المنقضضة .. والجثث المحترقة قد تناثرت هنا وهناك .. والأسلحة تلمع فى أشعة الشمس بعد أن أفلتت من أيدي حملتها وهم يهربون ، أو بعد مقتلهم أو جرحهم ... والإطارات قد تناثرت ، وترى هنا وهناك ، بقعاً من الزيت .. مشعلا أو مدخنأ .. وأكواماً من الحديد .. هى كل ما تبقى من العربات بعد احتراقها .. وأبراجاً حديدية مزقتها القنابل ، هى الدبابات والآليات المصفحة ، بعد أن هجرها سدنها للهروب ، أو لتفادى الإصابات بنيران الطائرات ..

هذه المناظر .. كنت تراها على الطرق المعبدة .. أو الممهدة .. أما الأراضي الأخرى خارج الطرقات .. فى السهول والمنحنيات .. والأماكن التى ظن سالكوها أنها تغنى عنهم شيئاً من غضب الطائرات المغيرة .. فلقد كانت الصورة فيها أوسع وأكثر شمولاً وأبلغ تعبيراً عن المأساة الفاجعة .

فلقد غصت الأرض بأسراب الجراد البشرى الزاحف (عسكريين ومدنيين) ... يتحركون جميعاً كل إلى مأمته لا يلبون على شىء .. الضعيف يسقط وما من قوى يحمله أو يعينه على معاودة النهوض ... وستشهد الأرض أمام باريها .. عن هول ما قاسى الكثيرون من الناس (وخاصة المدنيين) ، من جوع ، وعطش ، حتى اضطروا الكثيرون - وخاصة الجنود - إلى الاقتنيات بالقمح (أنحصرها وجافها) ، أو السطو على ما يصادفون من مزروعات ... تفادياً للموت فى تلك المحنمة .

والدواب ... حملت ما خف من المتاع ، وفوق كل كومة من ذاك المتاع .. كنت ترى ، طفلاً أو أكثر ، أو امرأة أو شيخاً ... وأفراد العائلة الآخرون ، يمشون متهاككين خلف الدواب .. والعيون قد تسمرت نحو هدف واحد ، هو الوصول إلى دمشق أو إربد ، أو إحدى القرى اللبنانية - أو درعا - ..

إن الهول الذى صادفه « المنسحبون » الفارون ، من كثرة الروى الفاجعة . وأصوات الأئين والاستغاثة والتنادى وعويل الشكالى والفاقدات أهلهم أو بكاء الأطفال الذين شردوا .. وهاموا فى الأرض لا أب يحنو ، ولا أم تضم إلى صدرها ابناً ذا أو ذاك .. والموج البشرى يتتابع .. وأرتال الجراد الزاحف تتلوى مع كل انحناء أرض ، أو نحو أى مصدر للطعام أو الماء .. لشعب منه ثم تغذ السير .. حتى تصل إلى حيث تعتقد أنها نجت من الخطر .

إن هذا الهول الذى صادفه المنسحبون « الفارون » ، قد أنساهم هول القصف الذى أنزلته على رؤوسهم طائرات العدو حين كانوا فى مواقعهم .. وودوا لو يعودون إليها .. يحتمون بها ويردون عن الأرض أعداءها ولكن :

قد فات الأوان .. ولم يبق أمامهم إلا الانسحاب بين أمواج الفارين ..
« حط رأسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس (١) » .

نعم ... هكذا كان الانسحاب الذى نصبر على تسميته بالهروب
الكبير - . أما الانسحاب المنظم ، « تحرفاً للقتال .. أو تحيزاً إلى فئة » ..
وكما تعلمناه وعلمناه للكثيرين من جنودنا وضباط الصف .. الانسحاب ..
الذى نفهمه وتعلمناه على أنه حالة من حالات القتال .. لها أسسها وأساليبها
وطرق حمايتها بالنيران والمناورة ...

الانسحاب الذى نعلمه قتالاً منظماً مدروساً متتابعاً ، يتم بضراوة وعنف
يعرض لقوات العدو المتقدمة ، ويحاول تأخيرها أو صدّها عن متابعة التقدم .
وينزل بها الخسائر كلما سنحت الفرصة بذلك .. الانسحاب الذى نعلمه ...
أسلوباً من أساليب المناورة والخداع .. بغاية استعادة القوى وإعادة تجميعها
والقذف بها مجدداً في وجه العدو المهاجم ..

الانسحاب الذى سبق أن مارسته جيوش محترمة ، ونفذه قادة هم
عباقرة الحرب ... أمثال خالد بن الوليد في تاريخنا القديم ... وأمثال رومل
في تاريخ العالم الحديث

الانسحاب المشرف الشجاع .. الذى تمارسه القوات وهى في حالة
معنوية ممتازة لا تقل عنها وهى مهاجمة أو مدافعة على خطوط الدفاع ...

هذا الانسحاب .. لم تعرفه القوات السورية يوم عار حزيران ..
ولم تشهده الأرض السورية يوم مسرحية العار .. بل كان الهروب الكبير ..
والهزيمة الذليلة .. والفرار الجبان .. الذى دونه فرار الأرناب .. كنت ترى
نخلاله موجات متلاحقة من الجنود والسكان .. تميل يمنة ويسرة .. من جوع

(١) مثل عامى معروف في دمشق يستعمل للتعبير عن الحالات التى تم فيها البلوى . فيستسلم
فأمره لما هو يوافق نفسه بأنه ليس الوحيد الذى نزلت المصيبة به .

ونصب ورعب .. حتى ليخيل إليك أن هؤلاء الناس ما هم إلا سكارى ..
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ..

٦ - ولقد كان القادة أول الفارين .. وأول من تبعهم وحدات الدبابات
(وخاصة اللواء السبعين . بقيادة العقيد عزت جديدي) والكثائب التي
يقودها كل من المقدم رثيف علوانى والنقيب رفعت أسد (١) ... التي
ركبت ساحة القتال وعادت إلى دمشق (لتحمي الثورة) .. والضباط
الحزبيون على اختلاف رتبهم .. (الذين تركوا قواتهم وفروا .. إلى القيادة
لحضور اجتماع حزبي هام) ! ثم .. انفرطت المسبحة على الشكل الذي
بيناه .

(ك) ثم .. صدر البلاغ الفاجر . من إذاعة حزب البعث في دمشق ..
(يوم السبت ١٠ حزيران ، الساعة التاسعة والنصف صباحاً) يعلن سقوط
القيطرة بيد قوات العدو . ويحمل توقيع وزير الدفاع - اللواء حافظ الأسد -
ويحمل الرقم ٦٦ ... وكان هذا البيان ، هو طلقة الخلاص (٢) ... سددها
يد مجرم إلى رأس كل مقاومة استمرت في وجه العدو رغم كل تلك المخازي ..
فأنهزت القوى . واستسلمت المقاومات الفردية المعزولة ، أو استشهد
رجالنا ... وعلم الجميع أن لا أمل في متابعة القتال .. لأن القيادة البعثية قد
أنهت كل شيء .. وسلمت للعدو الإسرائيلي .. مفاتيح أحصن وأمنع قطعة

(١) المقدم رثيف علوانى ، هو من أبرز الضباط البعثيين الذين ساهموا (بأيديهم) في
أعمال القتل - التي سموها إعداماً - عقب محاولة انقلاب ١٨ تموز التي قام بها الباصريون في
عام ١٩٦٣ ، وأحبطها اللواء السبعون بالاشتراك مع وحدات المغاوير بقيادة النقيب سليم
ساحوم وسليمان العلى .

والنقيب رفعت الأسد هو - غالباً - شقيق (الفريق) حافظ الأسد ، وقد كلف هذا الضابط
منذ تخرجه من الكلية الحربية - وحتى اليوم - حماية مطاري (المنزة والقصير) العسكريين
الذين هما مركز شقيقه (الفريق) حافظ الأسد .

(٢) طلقة الخلاص ، أو طلقة الرحمة ، هي رصاصة واحدة ، يطلقها آمر مفرزة الإعدام
على رأس المحكوم عليه بالإعدام ردياً بالرصاص .. وذلك بعد تنفيذ الحكم به .. وغايتها التجميل
بوفاته لتخفيف عن آلامه وعذابه .

من أرض العرب ... بل وتكاد تكون من أكثرها غنى ووفرة بالكنوز الدفينة .. من آثار ومعادن .. وخصب تراب .. ووفرة مياه .

(ل) وقد يكون من المفيد أن نثبت في خلال سرد الوقائع هذا ، تصريحاً لضابط لبناني ، شهد المعركة يوم ٩ حزيران ، ورأى بأمر عينه كيف اخترقت القوات الإسرائيلية تحصينات ومواقع القطاع الشمالي (قطاع بانياس) ففيه أضواء هامة على أبعاد النكبة .

ولكن تجدر الإشارة إلى أن في هذه الرواية بعض الأخطاء ، سنبينها بعد سرد الرواية كاملة ، ونبين وجوه الصحة في الوقائع ، مع ما يلزم من تعليق يأتي في حينه .

يقول الضابط اللبناني :

« بدأت أسراب الطائرات الإسرائيلية - وكان كل سرب مؤلفاً من أربع طائرات - تتدافع ، سرباً أثر سرب ، لضرب التحصينات السورية في (تل القاضي) .

ومنطقة (تل القاضي) ، هي الجزء الوحيد في التحصينات السورية ، التي لم تبني فيه المواقع الدفاعية بالأسمنت المسلح ، لأن هذه المنطقة محصنة بشكل طبيعي ، وتعتبر الصخور التي تحميها من أقصى وأقوى المواقع الجبلية في سورية .

ولم ندرك في البداية سر اختيار الإسرائيليين لهذه المنطقة بالذات ، التي كانت الفكرة السائدة عنها أنها أصعب نقطة في التحصينات السورية .

واستمر ضرب الطيران الإسرائيلي للمنطقة بالقنابل والصواريخ حوالى الساعة . وعندما خف نشاط الطيران بدأ ضرب المدفعية .

ومع أن تحضير أرض المعركة من قبل المدفعية (١) يستغرق عادة بين

(١) تحضيرات المدفعية للهجوم (روايات التمهيد) .

الأربع والست دقائق ، نظراً للمصروف الباهظ بالدخيرة ، الذى يحتاجه ضرب المدفعية ، إلا أن الإسرائيليين استمروا فى الضرب حوالى ١٥ دقيقة انتهت بتوجيه كمية من قنابل الدخان الكثيف ، دليلاً على بدء المعركة الفعلية على الأرض .

وفى الساعة العاشرة ، تحرك لواء مدرع من جرافات البلدوزر الضخمة— وهى آلات مدرعة ولها جنزير ، و برج لحماية السدنة فيها — وأخذت توجه جرافاتها المسنونة إلى السكتل الصخرية التى تحمى تحصينات موقع (تل القاضى) والتى كانت التقديرات العسكرية تؤكد استحالة اختراقها من قبل أسلحة الدروع .

ووقع ما لم يكن بالحسبان ، واستطاعت مدرعات البلدوزر اختراق الصخور ، وبعد ذلك أخلت الطريق للدبابات الإسرائيلية التى أخذت تنسلق الطريق فى محاولة لتطويق التحصينات السورية وضربها من الخلف . وكانت كل دبابة مزودة بسيارتين مصفحتين ، إحداهما للدخيرة والثانية للوقود .

وكان فى برج المراقبة المشترك على الحدود السورية — اللبنانية ضابط سوري ، كان المفروض أن يتصل بمقر قيادة الجيش السورى على الجبهة ليحيطها علماً بأخبار محاولة اختراق الجبهة بمدرعات البلدوزر وتعين زوايا تحرك الدبابات الإسرائيلية بواسطة المنظار المكبر ، لتتمكن المدفعية السورية من توجيه ضربات قاتلة إليها . .

ولكن سرعان ما تبين أن الضابط السورى لم يكن يعرف لا استعمال المنظار المكبر ولا تعيين زوايا تحرك الدبابات وإبلاغها إلى سلاح المدفعية .

لقد كان الضابط السورى وطنياً مندفعاً ، ومن أشد المتحمسين للنظام القائم ، ولكنه كان معلم مدرسة ، لم تمض عليه أكثر من ستة أشهر فى الجيش وبالتالي لم تكن لديه أية مبادهة عسكرية ، أو معرفة فى فنون القتال ...

ومع ذلك ، فلم يكن لذلك أية أهمية ، لأن المعركة فى الأساس لم تكن معقدة على مقدرة ضابط برج المراقبة بقدر ما كانت متوقفة على مقدرة

القيادة السورية على الجبهة ، للقيام بهجوم مضاد يقوم به اللواء المدرع الذى لم يصب - وهو فى تحصيناته - بالقذف الجوى . . . وذلك فى الوقت الذى تكون فيه المدرعات الإسرائيلية قد وصلت إلى رأس (تل القاضى) أى فى اللحظة التى تعتبر منتهى الإرهاق بالنسبة للمهاجم . .

فى تلك الدقائق الحاسمة ، أخذت الدبابات السورية تخرج من تحصيناتها .. ولكن المفاجأة التى أذهلتنا أن هذه الدبابات بدلا من القيام بهجوم معاكس مضمون النتائج ، اتجهت نحو القنيطرة . .

لماذا ؟ . . ما هى الحكمة ؟ . .

إلى الآن ، لم أستطع أن أعرف ، وبالتالى أن أفهم ، ولا سيما أن القنيطرة سقطت بعد ذلك بدون قتال ، وإعلان مسبق بالإذاعة . . .

وقد وقع أثناء انسحاب اللواء المدرع السورى حادث طارئ ، كشف عن مدى الخسائر التى كان يمكن إلحاقها بالمدرعات الإسرائيلية لو قامت الدبابات السورية بالـ

لقد تعطلت إحدى الدبابات
هذه الدبابة فى أواخر الرتل
إلا أن يحارب ، فأدار مدفعه
دقائق معدودة ، أن يدمر سه

واستنجد العدو بالطائرا
جوى ، ولولا ذلك لاستطاع
أن تصاب وتحترق (١) .

(١) مجلة الموادث ، العدد ٢٤
والحرب الرابعة) .

تصويب وشرح :

(أ) إن أول ما يجب لفت النظر إليه وتصويبه ، هو أن (التل) الذى يتحدث عنه الضابط اللبناني ، ليس (تل القاضى) ، لأن هذا التل هو بيد السلطات الإسرائيلية ، ويقع ضمن الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٩ ، ويشرف على مستعمرة دان ، وعليه نفسه تقوم إحدى المستعمرات ، ومن سفحه الجنوبي الغربى ، تنبع مجموعة ينابيع تشكل نهر « اللداني » وهو أكبر الروافد الرئيسية التى تشكل فى مجموعها نهر الأردن و يبلغ تصريفه السنوى من المياه ٢٥٨ مليون م^٣ . (انظر موقعه على الخريطة رقم ١) وهو مبين بدائرة حمراء تحيط بها دائرة خضراء .

ولكن التل المقصود حقيقة فى رواية الضابط اللبناني ، هو ما يلي :

أولاً : هضبة المغاور (انظر موقعها عند رأس السهم الأخضر الذى يشير إليها ، وذلك على الخريطة رقم ١) . وهى هضبة ذات جرف صخري وعمر جداً ، ولم يكن فى تقدير أية قيادة احتمال اختراقها من قبل الآليات المعادية . ورغم ذلك ، فقد زرع فيها حقل ألغام استراتيجى مختلط (مضاد للأشخاص ومضاد للآليات ، وبعض ألغامه مفخخة) .

وثانياً : تل العزيرات . هو من أمنع وأحصن المواقع الدفاعية السورية طبيعة وإعداداً ، ولكن القيادة البعثية أخلته من قواته لتشارك مع وحدات أخرى فى الهجوم (التلالية) على شرياشوف (١) .

(ب) يقول الضابط اللبناني أن الطائرات الإسرائيلية كانت تغير على المواقع السورية فى تشكيلات مؤلفة من أسراب يضم كل سرب أربع طائرات . والصواب أن تشكيلات الأربع طائرات تسمى « رفاً » وليس سرباً ، ويضم السرب عدداً من « الرفوف » يتراوح بين (٣ - ٥) .

(١) انظر فصل : (نقاش الإثبات) .

(ج) ليس غريباً أن تلجأ القوات الإسرائيلية إلى القيام بأعمال وحركات غير مألوقة في القتال الكلاسيكي ، ومن أبرز الأعمال « غير المألوفة » في قتال القوات الإسرائيلية ضدنا ، رحلتها صباح ٥ حزيران لضرب الطيران المصري ، فقد تميزت هذه الرحلة بأمر عديده أهمها :

أولاً : انطلاق الطائرات من على الأوتوسترادات وليس من على مهابط المطارات .

ثانياً : قطع الرحلة كلها (تقريباً) على ارتفاع منخفض ، وعلى سطح البحر ، تفادياً لخطر كشف أمرها من قبل أجهزة الرادار .

ثالثاً : تجاوز الطائرات الإسرائيلية حدود مصر بما لا يقل عن مائة كيلومتر ، نحو الغرب ، ثم انكفأوا لهاجم الطائرات الجاثمة على أرض المطارات مثل مجموعات الأوز السمين .

وقد اعترف بهذا الرئيس جمال عبد الناصر نفسه في خطابه التاريخي يوم الجمعة ٩ حزيران ، فقال :

« كنا نتوقع مجيء الطائرات من الشرق ، فجاءتنا من الغرب » .

والعدو يهدف في عمله الذي قام فيه بقصف هضبة المغاور (الحالية من القوات) إلى أمور هامة جداً :

أولاً : إيهام المراقبين السوريين بجهله وخطأ معلوماته عن قواتنا ومواقع حين يرى الرصاد والقادة ، أن القصف مركز على أرض نخلو من القوات والتحصينات .

ثانياً : إحداث المفاجأة—وهو يعتمد كثيراً على مبدأ المفاجأة في عملياته .

ثالثاً : إيقاع القادة السوريين في حيرة مما يرون ، والحيرة هذه كفيلة مع مرافق العملية من قصف ونيران شديدة مركزة — ، بشل تفكير القادة فترة من الزمن ، تجعلهم حيارى عاجزين عن اتخاذ قرار معين حاسم ، ويفيد هو من هذه الحيرة فيعمل بحرية على تحقيق خطته .

رابعاً : تفادى خطر الصدام مع الأسلحة المضادة للآليات ، فيما لو هاجم في اتجاه مواقع مشغولة بالقوات ، وخاصة أن المواقع الأمامية — مثل تل العزرييات — مزودة بأسلحة فعالة ، من بينها بعض دبابات البانزر ، وهي ذات مدفع يتمتع بفاعلية هائلة ضد الدبابات .

ولكن ... ما حيلة هذه الأمة المنكوبة بقيادة من أمثال — الضباط السوري القابع في برج المراقبة المشترك — ، جهلة وعديمي الخبرة ، إن لم نقل إن من بينهم نخونة من أمثال أحمد المير وسويداني وباقي السلسلة من الحزبيين ؟!

(د) سبق للقوات الإسرائيلية أن استخدمت الجرافات (البالدوزر) في عملياتها ضد قواتنا ، وكان من أبرز الوقائع التي قدم فيها العدو مثل هذه الجرافات « معركة تل النيرب عام ١٩٦٢ » ، ولكن ما حيلتنا مع جيش غر ، سرح حزب البعث جميع قادته وضباطه القدامى المخلصين ، أصحاب التجارب والخبرات ، والمعرفة الدقيقة بأساليب قتال العدو ، تمهيداً ليوم هزيمة متفق عليها ... ؟ !

(هـ) لم يكن في المنطقة المقصودة من شرح الضابط اللبناني ، لواء مدرع ، لأن طبيعة الأرض لا تتسع لقتال لواء مدرع — مع القوات الأخرى ولكن لعل الدبابات المعنية ، والتي قامت بالانسحاب في لحظة الحاجة إليها هي إحدى كتائب الدبابات التي ألحقها قيادة حزب البعث على القطاع الشمالي أو هي كتيبته الأصلية .. ؟ وفي أية حالة .. ينكشف لنا هنا موقف من أخطر مواقف الخيانة التي ارتكبها القادة البعثيون ، إذ انهزموا مع دباباتهم — من وجه القوات الغازية ، متحركين باتجاه دمشق ، بغية « حماية الثورة » كما أعلن أحد قادتها ، المقدم « رثيف علواني » .

وفي هذا ... يمكن تفسير التساؤل الذي يطلقه الضابط اللبناني الذي يشرح المعركة ... فالدبابات والأسلحة الفعالة في جيوش الدول الثورية هي لحماية « المكاسب الاشتراكية » ومسيرة الثورات في صراع الطبقات « وليست للاستخدام في وجه قوات الغزو الإسرائيلية ، أو لحماية حدود البلاد و ترابها الكريم من أن تدنسه أقدام الغزاة .

وهذا ليس من عندياتنا ... وإنما هو سياسة الاتحاد السوفياتي الذي يزود الدول الثورية بهذه الأسلحة ، وسياسة هذه الدول نفسها .

لنقرأ معاً ، ونتمعن :

« . . . ونحن وانقون من صدق التأكيدات السوفيتية الرسمية لحكومة إسرائيل التي تقول بأنه ليس في علاقات الاتحاد السوفيتي مع مصر ، أو غيرها من الدول العربية الأخرى في مسألة بيع السلاح وتقديم القروض المالية والتعاون العقائدي ما يؤدي إسرائيل في المرحلة النهائية . . . » (١) .

« . . . نحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقة العربية ، لكن حركات التحرر اليسارية في العالم العربي ، نحتاج إلى السلاح لتكافح الرجعية العربية ، وتقضي عليها وعلى من يساعدها من قوى الاستعمار » .

« وأن القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان العربي على إسرائيل (٢) » .

(م) ورواية أخرى ، أتت على وصف موجز لسقوط الجولان ، نشرتها صحيفة النهار ، في عدد خاص بالحرب اسمه (النكسة) ، لا بد لنا من ذكرها في هذا الكتاب ، وإعطائها ما تستحق من شرح أو تعليق أو تصحيح (٣) .

(١) صحيفة الهامشمار الناطقة بلسان حزب « ماپاي » ، ٧ تشرين الأول ١٩٦٤ . (كتاب المساهون والحرب الرابعة) .

(٢) من محاضرة ألقاها المستشار الأول للسفارة الدوفيتية في تل أبيب على طلبة الجامعة العبرية نشرتها صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية ، ٤ شباط ١٩٦٥ .
(عن كتاب : المساهون والحرب الرابعة - ص ١٠٥) .

(٣) الرواية هذه ، هي - كما قالت النهار - خلاصة ما نشرت وسائل النشر في العالم العربي ، عن النكسة ، ويبدو أن قسماً كبيراً من هذا الوصف ، جاء من كتاب : « حرب الأيام الستة » لـ : « واندولف تشرشل » ، كما أن النهار تقول بأن هذا الوصف مستمد من صحف غربية مختلفة .

تقول النهار :

« . . . لم تبدأ سوريا الحرب إلا صباح ٦ - ٦ - ١٩٦٧ ، رغم أن سوريا هي سبب الحرب ، وهي الداعية إليها » .

« ... الهجمات السورية اقتصررت على «دان ، تل دان ، شرياشوف (١)» ولم تخرج القوات الإسرائيلية للرد بسبب انشغالها بالقتال على باقي الجبهات » .

« . . . وتلخص خطة الهجوم السورية ، كما يلي :

١ - جعل الهجوم على مستعمرة مشارهايردين (٢) هدفاً رئيسياً لتنقل منه وحدة سورية إلى ضرب حيفا في الغرب بينما تتمكن وحدة أخرى من التوغل باتجاه الناصرة .

٢ - التقدم نحو تل الفصر (٣) في الطرف الجنوبي من بحيرة طبريا عن طريق وادي الأردن ثم الالتفاف إلى الجهة الشمالية الشرقية نحو العفولة .

٣ - دخول الأراضي اللبنانية ومهاجمة المواقع الإسرائيلية منها . . . »

« . . . ولم يدخل الإسرائيليون المعارك الفعلية ضد سوريا إلا يوم الخميس ٨ - ٦ ، حيث تفرغوا لجبهتها ، ورغم أن السوريين كانوا يتعرضون لغارات جوية مستمرة ، وأن طائراتهم تغير على مدينة ناتانيا الساحلية والمدن الإسرائيلية الأخرى ، وأن مدافعهم المضادة أسقطت عدداً كبيراً من الطائرات الإسرائيلية ، رغم هذا كله لا يمكن الحديث عن معارك فعلية قبل يوم الخميس .

(١) مستعمرات إسرائيلية ثلاث تقع في مواجهة القطاع الشمالي (مقابل يافا وتل العزريات) وتشكل هذه المستعمرات الثلاث رؤوس مثلث قائم الزاوية ، قاعدته ١ كم ، وارتفاعه ٢ كم تقريباً . وتل دان يقصد به (تل القافى) .

(٢) هي مستعمرة كروش ، في مواجهة القطاع الأوسط ، وبالقرب من جسر بنات يعقوب وعلى طريق جسر بنات يعقوب - صفد ، ولا تبعد عن نهر الأردن أكثر من ٥٠٠ متر ، وتعتبر من المستعمرات المحصنة جيداً .

(٣) جنوب بحيرة طبريا بالقرب من سمخ وهي من أحسن المواقع الدفاعية الإسرائيلية على الخط الأول لتحصينات العدو في مواجهة الجبهة السورية .

ويعصف قائد الطيران الإسرائيلي ، الهجوم على المواقع السورية بقوله :
« استعملنا مع سورية قنابل موقوتة (١) بحيث تنفجر مباشرة فوق قواعد
المدفعية المضادة للطائرات » .

« . . . وحفلت الحرب بكثير من الأخبار المضللة ، ففي الطائرات
الإسرائيلية تغير على الجبهة السورية وتلقى فوقها قنابل النابالم المحرقة ، كانت
القوات الإسرائيلية تستمع عبر الترانزستور إلى أنباء القصف السورية
للمستعمرات .. »

« .. ويقال أن سوريا وضعت في الجبهة ٣ ألوية عادية (١١، ٨، ١٩) (٢) ،
كما وضعت في المؤخرة لواء مشاة : التسعين إلى شمالي القنيطرة ،
واللواء الثاني والثلاثين إلى الجنوب منها . ومع كل منها فرقة دبابات ٣٤ ،
وس يو ١٠٠ ، إلى جانب حوالي ٣٠ دبابة عادية . . . (٣) » .

(١) هذا النوع من القنابل ، يسمى في الجيش السوري : « قنابل المنشار » ، وهو من أشد
أنواع القنابل فعالية ضد الأشخاص ، وضعيف الفعالية ضد العتاد ، وتنفجر القنبلة منه على
ارتفاع معين فوق الهدف ، فتتأثر شفاياها على شكل مخروط قاعدته إلى الأسفل ، ويستعمل ضد
أراضي المدفعية (بأنواعها المختلفة) ، وضد تجمعات المشاة الكبيرة .

(٢) هذه التسميات ، أعطيت للألوية (٦ ، ١٥ ، ٢) التي كانت تحتل القطاعات الثلاثة
(الشمالي ، الأوسط ، الجنوبي) ، وذلك بعد أن غيرت قيادة الجيش تلك التسميات ، عقب حركة
الثامن من آذار ١٩٦٣ . وأرجو ملاحظة هذه الناحية جيداً في تسميات الوحدات التي استعملها
أنا في هذا الكتاب ، إذ أنها تسميات الوحدات التي كانت لها قبل حركة آذار المذكورة .

(٣) اللواء التسعين المذكور هنا هو لواء احتياطي ، واهمه يوم الحرب (اللواء ١٢٢)
وهو الذي كلف بالهجوم من القطاع الشمالي ، وكانت قيادته في عين الحمراء شمال غرب القنيطرة
وأما فرق الدبابات التي يتحدث عنها الوصف ، فهي في الحقيقة كتائب وليست فرقاً ، لأن الفرقة
تشكيل كبير جداً وأكبر من اللواء ، ولا يمكن اللواء مشاة أن يلحق به فرق دبابات .
وأما الـ « س يو ١٠٠ » ، فهي من خيرة الدبابات ، وهي في الحقيقة قانصات الدبابات
وذات تسليح فعال جداً ، وذات قدرة حركية تتمتع بمرونة عالية ورزها الأجنبي هو SU 100 .
وأخيراً ، المقصود به « حوالي ٣٠ دبابة عادية .. » ، تشكيل خاص من الدبابات كان
يقوده الرائد واثيف علوان ، وقد كلف بمهمة خاصة ، وهي التركز خلف الألوية الاحتياطية ،
ومراقبتها والتصدي لها فيما إذا حاولت كلاً أو أجزاء منها ، القيام بحركة مردد أو عصيان ،
ضد القيادة البعثية ، وهذا يكشف لنا جانباً من أخطر جوانب حياة الحزب مع الشعب ، وبمعنى

« . . . وعند ظهر الجمعة ، شن الإسرائيليون هجوماً شاملاً على المواقع السورية فوق كفر زولد (١) ، وهى أضعف النقاط فى الجبهة السورية المنيعه التحصين ، وأرسلت وحدة أيضاً إلى عين فيت والزورة (٢) وسارت الجرارات فى المقدمة فاتحة طريقاً للمدرعات والآليات عبر المرتفعات .

وفجأة وجدت نفسها عرضة لنيران مدافع المدرعات السورية ، التى كانت جائئة فى الخنادق لا يظهر منها غير المدافع (٣) ، وقد ألحقت بالقوات الإسرائيلية خسائر جسيمة اضطرتها إلى الانحدار حيث كانت .

وكرر القائد الإسرائيلى المحاولة على غير طائل ، عندئذ لم يجد مخرجاً للخطأ غير تعطيل مدفعية الدبابات فأرسل وحدة من رجاله تسلمت المرتفعات ، وألقت قنابل يدوية داخل الدبابات ، فقتلت من فيها (٤) ، وبعد ما أمن خطر

لنا العرب الذى يملك على الحزب كل حياته ، ويوحى له بكل تصرفاته .. خوفاً من النعمة التى تغل فى صدور أبناء الشعب من كل الفئات والطبقات .

ويجد أن نذكر أن هذه الكتابات ومجموعات الدبابات ، لم تقاتل ، وإنما هربت إلى دمشق مع اللواء السبعين لحماية الثورة وذلك منذ بداية القتال الحقيقى مع قوات الغزو الإسرائيلى . (١) هى مستعدة كفر سلفى مواجهة بحافز العقدة .

(٢) المقتصد بها : زورة .

(٣) هى دبابات البازر (الوضع) ويقوم بحديثها عناصر الحرس الوطنى وهم من أبناء المنطقة ومن الفلسطينيين المقيمين فى الجولان .

(٤) وصف شاعرى خيالى ، فى محاولة فجة من القادة الإسرائيليين أو الصحفيين الأجانب الذين كتبوا هذا الكلام ، لإبراز « شجاعة » القوات الإسرائيلية من خلال الاعتراف بصمود القوات السورية .

ولكن الحقيقة ، أن هذا يستحيل أن يحدث بسهولة فى تلك المواقع ، نقرأ لما نعرفه من مناعة تحصينها ، وبطولة الرجال الذين صمدوا فيها ، وإنى أؤكد أن ذلك لم يحدث لأسباب الآتية : (أ) ما دامت المقاومة الصارية قد انبعثت من الدبابات السورية الموجودة فى الخنادق ، فذلك معناه أن عناصر الدفاع فى تلك الخنادق ، مازالوا فى أماكنهم صامدين .

(ب) ومن المستحيل أن تتمكن قوة مهاجمة من المشاة ، من الوصول إلى الدبابات قبل أن تشتبك مع عناصر المشاة المتمركزين حول الدبابات فى الخنادق ، وتقوم بالقضاء عليهم جميعاً .

(ج) والذى تؤكد الروايات الإسرائيلية ، أن النار السورية قد استمرت ، ولكنها =

الدبابات ومدافعها ، أمر « لعازار » (١) الجرارات باستئناف فتح الطريق ، تحت النار السورية المعقولة ، ثم وجه فرقة مشاة إلى منطقة تل العزريات حيث دارت معارك بال سلاح الأبيض : بالقبضات والسكاكين والأسنان وأعقاب البنادق ، واستمرت هذه حتى سقطت المواقع في تلك الناحية (٢) .

« كانت » معقولة » وذلك بعد إسكات مدافع الدبابات . وما دامت النار الدورية قد استمرت ، فذلك ، معناه أن عناصر المقاومة لم يتم القضاء عليهم جميعاً ، فكيف استطاع « شحمان » لعازار من الوصول إلى الدبابات ؟

(د) أن من الطبيعي أن الدبابات حين تتأتل (غالباً) ، تكون أبراجها معلقة ، فكيف استطاع جنود هذا .. « اللعازار » أن يفتحوا أبراج الدبابات ، ويلقوا قنابلهم اليدوية داخل الدبابات ؟

(هـ) ومن الطبيعي أيضاً ، أن عناصر الدبابات أنفسهم ، حين يشمرون أن جنود العدو قد أصبحوا بينهم ، أن يتركوا دباباتهم ، ويخرجوا للالتحام مع جند العدو ، أو يتركوا دباباتهم لتتبر ، واقعها بعيداً عن الجنود المحتمين ثم ، ماودة الاشتباك . ومعروف أن سرعة حركة الدبابة أكبر من سرعة حركة المشاة ، فكيف يستطيع « اللعازاريون » أن يفتسروا على الدبابات « بالة نابل اليدوية » ؟ .

(و) وأخيراً أن الدبابة ليست مجهزة بمذفع فقط .. وإنما هي مجهزة أيضاً بأكثر من رشاش واحد للدفاع ضد الطائرات ، والآخر للدفاع ضد المشاة ، وفي حال الالتحام مع العدو يتحول الرشاشان إلى القتال ضد المشاة .. فهل كان جنود « لعازار الذكي » من الكثيرة بحيث لم تعد رشاشات الدبابات وبقي القوت قادرة على حصدهم جميعاً ، حتى تمكنوا من الوصول إلى الدبابات والقضاء عليها بقنابلهم « اليدوية الجيمسبوندية » ؟

إن كان هذا قد حصل ، فيا فخراً لأولئك الجنود الأبطال ، الذين صمدوا في أرواحهم ، وخلف مدافعهم ورشاشاتهم ، حتى ماتوا شهداء أبراراً .. ويا فخراً لآلة قادرة أن تنجب مثل أولئك الرجال .. عناصر الحرس الوطني ، الذين كان كلهم من أبناء الجولان ، ومن أحباءنا الفلسطينيين الذين توعوا في الحرس الوطني ، واستمروا في الدفاع عن تلك المواقع .

وإن كان ذلك لم يحصل .. فيا عجباً لكتائبنا ، وخاصة العسكرية ، كيف لا يتصدون للرد على أضرابيل وغطرسات الضباط « اللعازاريين » وأذنانهم من رجال الصحافة والفكر الغربيين أمثال « .. ابن تشرشل العظيم » ! ؟ ؟

(١) لعازار هذا ، هو الجنرال دافيد لعازار قائد القوات التي هاجمت القطاع الشمالي .

(٢) إذن .. فقد صمد عناصر تل العزريات .. وإن لهذا التل في قلوب الإسرائيليين أكثر من ذكرى مريرة ، ويشكل عندهم عقدة في نفوسهم وقلوبهم ، هي أكبر من حجه .. وذلك منذ حرب عام ١٩٤٨ ، حيث أهدت قوات كبيرة منهم ، في أكثر من محاولة لاحتلاله ، ..

وبدل أن تقصف المدفعية السورية ، القوات الإسرائيلية المهاجمة ،
تابعت ضرب المستعمرات وإضرار النار فيها (١) .

وليل الجمعة ، توغل الإسرائيليون داخل الأرض السورية في الجنوب ،
ووصلوا إلى رابية (قطاع واسط ، أنظر الخريطة) ، تدعياً لتقدمهم ،
وفي خلال الليل ، جمع لعازار قواته ، ولما طلع الصباح ، طاب نفطية جوية
لتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، أى السير نحو القنيطرة ، بعد ما نفذت المرحلة
الأولى بتسليق المرتفعات واحتلالها .

وعند الفجر ، دخلت وحدة مدرعة إسرائيلية جديدة المعركة ، فأخذت

ولكنهم عادوا إذاً خاسرين ، واستمروا عشرين عاماً ينظرون إليه ، ويحسون به كأنه شوكة
في عيونهم ، حتى أتيت لهم أن يحتلوه .. وإني أتوقع أن يكونوا الآن قد أزالوه من على وجه
الأرض بجراراتهم وآلياتهم الكثيرة .. وذلك ليزيلوا ذكراء المريضة من نفوسهم الخائفة
حتى على تراثه .

(١) إن هذا أمر غريب جداً أن يصدر من المدفعية السورية ، وهو إن كان قد حصل ، فهو
يبرز الرأي القائل ، إن جيش سوريا في عهد الحزب ، كان غير مؤهل لخوض الحرب ، فكيف
يمكن لمعلمي المدارس ، أن يديروا قتالاً دفاعية ، وهو من أصعب أنواع القتال وأدقها ،
وأكثرها اعتماداً على الاختصاص والمر ، وإتقان الرياضيات ، وخاصة جداول اللوغاريتم ،
ودقة حساب الزوايا والأبعاد ؟

إن مثل هذا الخطأ الكبير ، يبرز رأينا في أن الضباط والقادة (وأكثرهم بشيرين) ،
تدربوا منذ بداية الاشتراك الحقيقي ، وبقيت الأسلحة والمدافع ، بأيدي الجنود وضباط الصف
وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا قادرين على قيادة قتال المدفعية وإجراء المناورة الناجحة بيناتها
فلم يبق أمامهم إلا أن يفرغوا كل غضبهم ، في الرمي حسب عناصر الرمي الموضوعة مسبقاً على
المدافع ، والتي افترضت في الرصد المدفعية ، وضباط إدارة الطيران ، وهذان النوعان من
الضباط هما القادران على تحويل النار حيث يجب أن تحول ، وتوجهها إلى القوات المادية لتدميرها
وليقاها زحفها . وليس لدينا مثال قادر على إبراز هذه الناحية الخطرة ، أوضح من مثال الضابط
السوري الذي كان في برج المراقبة المشترك على الحدود اللبنانية السورية ، والذي أتت على وصفه
رواية الضابط اللبناني التي نشرتها مجلة الحوادث ، وتعرضنا لشرحها وتوضيحها في الصفحات
السابقة .

طريق تل تمر (١) ، داعمة فرقة الجولان لاحتلال مدينة بانياس (٢) .

والساعة الأولى من بعد ظهر السبت ، طوقت القوات الإسرائيلية مدينة القنيطرة ، فقام بهم سكانها (٣) ، وظلوا حتى سقوط المدينة ، الساعة الثانية والنصف (بعد ساعة ونصف الساعة) .

وسلم من القوات السورية على الجبهة ما يقارب لواءين ، واحد مدرع ، وآخر آلي ، انسحبوا إلى دمشق من أجل تعزيز الدفاع عنها .

وقالت السلطات الإسرائيلية ، إنها فقدت في الجبهة مع سوريا (١١٥) قتيلًا ، وأصيب ٣٠٦ بجراح . وصباح السبت الباكر ، دخلت الأراضي السورية وحدات من المشاة الإسرائيليين ، بقيادة الجنرال (أولاد بليد) ، من الطرف الجنوبي لبحيرة طبريا ، متسلقة مرتفعات التوافيق ، كما دخلت وحدة مدرعة عبر وادي اليرموك (٤) ، بينما حلقت طائرات هليكوبتر فوق

(١) اسم غريب . لا نعرفه لأية هيئة طبيعية في أرض القطاع الشمال ، وإنما اعتمد أن هناك خطأ في التسمية ، ولعل المقصود به هو « تل الأحمر » الواقع أمام بانياس وعلى طريق : بانياس - مرجعيون ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن الملاحم لم تنسف . وإلا فإن هذه القوات ، ما كان لها أن تسلك هذا الطريق لو أن الملاحم نسفت .

(٢) إن هذا يؤكد لنا اشتراك اللواء الإسرائيلي الأول « غولان » مع كتيبة الأقليات ، كمرأس حربة في الهجوم على الجولان ، نظراً لأن هاتين الوحدتين ، هما الوحيدتان في جيش إسرائيل ، اللتان يشكلان القوة من العرب المتطوعين في جيش العدو ، الملاك الأكبر لهما ، وحده في مستوى الحنود وضبط الصف . أما ضباط هاتين الوحدتين ، فإن معظمهم من الإسرائيليين .

(٣) إذن .. فإن الذين قواموا واستسلموا ، هم سكان ، أما الجيش . ؟

(٤) ليس من طريق إلا طريق الحمة ، وإن كان هذا قد حصل فعلاً ، فذلك معناه أن هذه القوات لم تجرؤ على دخول الأرض السورية من هذا الاتجاه إلا بعد التأكد من خلوص الجبهة من القوات . لأنه لو كانت قد بقيت فيها قوات تقاقل فإن أبسط وحدة دائمة في هذه المنطقة ، قادرة على إحداث مجررة رهيبية في القوات الإسرائيلية دون أن تصاب بأذى ، بسبب عدم انحدار ووعورة الأرض ، ولأن القوات (حتى المشاة منها) لا يمكن لها أن تتحرك في هذه المنطقة إلا على الطريق ، والطريق وحده ، يشكل عقبة رهيبية في وجه أية قوة تتحرك عليه ، كما أن ذلك يعزز قوتنا بأن الملاحم لم تنسف ، وإلا فإنها لو نسفت لما استطاع أحد من جنوده

منطقة الجبهة ، وأنزلت مظليين قاموا بمهاجمة السوريين من الخلف (١) ،
وقطعوا عليهم خطوط التتبع .

ثم دخلت وحدة عن طريق ديرباشية (٢) ، والتقت رجال بليد في
البطمية (٣) .

المدو متابعة التتبع في تلك المنطقة إلا بعد فترة طويلة جداً ، وجهود جبارة يحتاجها العمل لإعادة
إصلاح الطريق المنسوف .

(١) لم تثبت صحة هذا الادعاء ، وأن الذي ثبت هو أن طائرات الهاوكويتز قد ألحقت
سدة الدبابات بوحدهم قبل دخولها القنيطرة .

(٢) المقصود بها هي : الدرباشية في قطاع واسط ، وهي من أقوى مواقع دفاع الجبهة ،
ويدافع عنها الحرس الوطني .

(٣) جريدة النهار البيروتية ، عدد خاص صدر باسم « النكسة » ميلاد ١٩٦٧ ورأس
سنة ١٩٦٨ .

توضيحات هامة :

(أ) إن هذه الرواية الموجزة جداً ، والمترجمة - كما قالت النهار - عن مجموعة صحف نشرت في العالم الغربي ، تؤكد لنا أموراً هامة نوجزها فيما يلي :

١ - كذب خطة الهجوم التي اخترعتها القيادة البعثية ، واتخاذها حجة وذريعة لسحب القوات المدافعة التي كانت تتمركز في المواقع الدفاعية والتي كانت قادرة فعلاً على إجراء القتال الدفاعي بشكل فعال ، كان قادراً على إعطاء نتائج - لو تم فعلاً - هي أفضل من النتائج التي نراها اليوم والتي تشكل في مجموعها جزءاً هاماً جداً من نكبة الأمة .

وإذ كانت القيادة صادقة في خططها ، فلماذا لم تنفذ تلك الخطة ؟ .. إن المصادر الإسرائيلية وكذلك البلاغات السورية الصادرة بصورة رسمية ، تؤكد أن الهجمات السورية لم تستهدف أكثر من جزء صغير جداً من الأرض المحتلة ، هو مثلث (دان ، تل القاضي ، شرياشوف) ، بينما كانت الخطة الهجومية الموضوعة تستهدف الوصول إلى حيفا ، أي ما يمكن أن يسمى فعلاً احتلال إسرائيل وتدميرها .

إننا نستطيع أن نؤكد أن تلك الخطة الهجومية لم تكن سوى مبرر ظاهري لأمر يحمل معنى واحداً ، هو التواطؤ لإخلاء المواقع الدفاعية من القوات .. ونحن كنا نستطيع أن نصدق أن القيادة كانت صادقة في خططها الهجومية ، لو أنها نفذت تلك الخطط .. وسواء عندنا أحقق الهجوم أم نجح وإمكن المهيم أن ينفذ ، ولا يضير الجيش السوري بعده أن يخفق هجومه ، لأن كثيراً من جيوش العالم تنجح أو تفشل في هجائاتها (الكبيرة والصغيرة) .. وإمكانها على كل حال ، تنفذ الهجوم الذي تخطط له ..

وإن الذى يؤكد للقارىء ما نذهب إليه .. هو أن شيئاً مماثلاً لهذا الذى نطلبه من القيادة السورية ، قد حدث فعلاً على الأرض ، وفى خلال حرب حزيران بالذات .. ونقصد به هجوم اللواء الستين المدرع الأردنى باتجاه الخليل - بئر السبع ، لتطويق تجمعات الدبابات الإسرائيلية وتحقيق الاتصال مع القوات المصرية على مشارف المواقع الأممية بين إسرائيل ومصر .

صحيح أن الهجوم لم ينجح ، ولأسباب عسكرية محضة ولكنه نفذ فعلاً .. وأثبتت القيادة الأردنية صدق دعواها ، فى تخطيط الهجوم على الأرض الإسرائيلية .. ويمكن القيادة السورية لم تثبت ذلك .. بل اكتفت بأعمال تمثيلية ، رافقها مصورو التليفزيون .. من أجل المزايدة على حساب الأنظمة العربية الأخرى .. وبالتالى المزايدة على مصير الأمة بأكملها ..

٢ - ومما يؤكد أن الموضوع كان تمثيلية . ذو أن الخطة الهجومية السورية ، قد وضعت فى حسابها دخول جزء من القوات السورية ، إلى الأرض اللبنانية ، والانطلاق منها لمهاجمة الأرض المحتلة فى الجليل الأعلى ، ولو كانت الخطة صحيحة .. وهناك عزم جاد على تنفيذها ، فهل نسى القادة السوريون أن دخول قسم من قواتهم إلى الأرض اللبنانية . سيثير مشاكل دولية هم غير قادرين على مجابته ؟ .. أم إن (اللواء) سويدانى .. كان يعتبر نفسه فوهرر ألمانيا ، حتى يعبر للهجوم على إسرائيل . أرض دولة أخرى بصورة مفاجئة .. ؟ ! ألا يشكل هذا فى عرف القانون الدولى الذى يؤمن به القادة البعثيون . إعلاناً للحرب على دولة شقيقة مجاورة ؟ .. وهل كان اللواء السويدانى .. ومن خططوا له خطة الهجوم تلك . قادرين على مجابهة الوضع الخطير الذى سينشأ - لو تم هذا العمل - ومضاعفاته ؟ !

كل هذا يؤكد أن خطة الهجوم لم تكن إلا مسرحية لتبرير سحب القوات المدافعة من مواقعها .. !

٣ - لقد ثبت لدينا أن سوريا لم تمارس العمل الحربى ضد إسرائيل إلا بعد مرور - ٢٢ - ساعة على بدء الحرب فعلاً بين العرب وإسرائيل ..

وهذه الس ٢٢ - ساعة كانت حاسمة فعلا في تاريخ هذه الأمة .. فلماذا لم تبادر القوات السورية مباشرة إلى بدء الهجوم الكاسح ضد شمال إسرائيل فتخفف الضغط عن جبهة سيناء ، وجبهة الأردن ؟ ! ..

أولست سوريا هي الداعية إلى الحرب ؟

فكيف يصح لدولة تدعو إلى الحرب ، وتسبب بدعوتها تلك ، اندلاع الحرب فعلا .. فكيف يصح لها أن تتأخر - ٢٢ - ساعة عن دخولها بصورة فعالة ، إن كانت جادة في دعواها ؟ ! ..

قد يقول قائل : إنه لو قامت القوات السورية بالهجوم ، لثم تدميرها كلها على الأرض الإسرائيلية . حسناً .. ولكن القوات السورية قد دمرت وشردت فعلا .. ولكن على الأرض السورية ، وليس على الأرض المحتلة .. وما دُم التدمير قد حصل .. ألم يكن أجدى من الناحية المعنوية .. بل وحتى من الناحية العسكرية ، أن يتم التدمير ذاك .. للقوات وهي في هجوم فعلي ضد العدو ، بدل أن يتم التدمير ، خلال هروب جبان ذليل ؟ .

٤ - وثبتت هذه الرواية للقارئ ، صحة ما أثبتناه ، من أن الوثائق والخرائط قد تركت سليمة ، واستولى عليها العدو .. ولو أن العدو لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، فمن أين له أن يزود الكتاب والصحفيين الغربيين الموالين بتفاصيل خطة الهجوم السورية ، وأسماء الألوية التي حشدتها القيادة ، وأنواع كتائب الدبابات وتسليحها ، والقانصات .. وإلخ من تلك المعلومات ؟ !

(ب) ومن هذه الرواية ، وكل الروايات التي قيلت عن الحرب ، ومن المعلومات التي حصلت عليها من الذين اطلعوا على حقيقة الأحداث ، ومن منظوق البلاغات العسكرية السورية التي صدرت خلال فترة الحرب يتبين لنا ما يلي :

١ - إن القوات السورية الأساسية ، لم تقا تل .. وإن كل ما برز في وجه الغزاة والأعداء ، لم يخرج عن كونه مقاومة بطولية من عسكريين ، عز عليهم أن يروا أقدام الغزاة تدنس أرضهم ، فارسوا رجولتهم ، وحققوا

بطولاتهم المعجزة ، التي جعلت العدو نفسه يعترف بعجزه عن مجابهتها .. فاضطر لإخمادها بالكثافة النارية الهائلة ، من الطيران والمدفعية ونيران الدبابات .. وما حيلة الأبطال القلائل .. في وجه جموع زاحفة وإمكانات نارية مخيفة ، خلا الجو لها ، فصبت كل حقدتها على الأسود الذين وقفوا بعزة ورجولة لحماية الأرض ؟ ..

٢ - وقد ثبت حتى الآن أيضاً ، أن أول ما تمكنت القوات الغازية من اختراق الدفاع السوري ، كان في قطاع واسط ، ثم القطاع الشمالي .. ثم الأعمال السريعة التي نفذتها القوات العدو لإجراء الالتفاف ، وحتى التطويق ضد المقاومات التي اعترضتها ، وهذا ما توقعه القادة المتعاقبون على الجبهة .. وما حسب له الخبراء الذين كان لهم دور في رسم خطة تحصينها وأسلوب قتالها .. ولكن المرسوم لم ينفذ .. فلم يبق أمام قوات الغزو إلا أن تتقدم ، مستفيدة من كل الفرص التي سنحت لها .. وهي والله فرص تاريخية نادرة في تاريخ الحروب .. !

٣ - اعتمدت القوات الإسرائيلية « وخاصة وحدات الدبابات » اعتماداً كبيراً ، على الجرارات ، (البلدوزر) لفتح الطرق في أرض وعرة عديمة الطرق تقريباً ، وهذا أمر منطقي ، وطبيعي أن يلجأ العدو لمثل هذا الأسلوب .. ولكن هذا الأسلوب هو بحد ذاته يشكل نقطة ضعف كان في وسع المدافعين أن يستفيدوا منها ، لو أن القوات صمدت حقاً ، وقاتلت كما كان عليها أن تقاتل .

فالجرارات هذه ، هي في الحقيقة تشكل هدفاً (لذيذاً) لنيران المدفعية ، والمدفعية م - د . وحتى ارشاشات المشاة . وذلك لأن هذه الجرارات ، عديمة التصفيح أو ضعيفته ولو أن القوات كانت واعية لتحركات العدو ، لكان بإمكانها تدمير الجرارات ، فتشكل هذه عقبات كبيرة في وجه الدبابات التي تتحرك وراءها .. وبذلك كان يمكن إحباط هذه المحاولة التي نفذها العدو وهو يعتقد أنه حقق عملاً « ذكياً » .. وكان يمكن بعد ذلك ، تركيز نيران المدفعية وحتى الهجمات المعاكسة على دبابات العدو .. وتكون مجزرة له .

ولكن . . يا حسرتنا على ما فرط الجيش في حق بلاده التي ائتمنته ،
فما سكان للأمانة أهلاً . . !

(ج) الملاحظ أن كل الروايات التي صدرت من القادة الإسرائيليين ،
أو التي سردها صحفيون أجنب قالوا إنهم رأوا الحرب . . أن روح الغطرسة
والعجرفة تفوح من كل أقوالهم . . وغايتهم في ذلك ادعاء « الشجاعة والذكاء »
في الجيش العدو وقادته .

وهذا أمر طبيعى أن يصدر من عدو حصل على نتائج مذهلة بأقل
ما يمكن من التضحيات . . وبفضل العون الأجنبي والتآمر .

ولكن غير الطبيعى . . والمرفوض رفضاً مطلقاً . . أن لا يتصدى
العسكريون العرب ، والكتاب العرب ، لتفنيد تلك المزاعم . . ونحطيم تلك
الحرب النفسية ضد شعوبنا ، المغلوبة على أمرها . .

إن من واجب حملة الأقلام . . وأصحاب الخبرات ، أن يتصدوا لتلك
التبجحيات ، ويكشفوا زيفها . . فإن ترك العدو يمارس تلك الكبرياء في
ادعاءاته . . فهو والله تقصير في الواجب الذى على مفكرى هذه الأمة
أن يقوموا به . . وإن هذا التقصير إن استمر أكثر من هذا . . فهو قد يبلغ
حدود الصمت المتواطىء . . فهلا تحرك المفكرون المخلصون لممارسة هذا العبء
الكبير . . !

(م) وفي نهاية هذا الشرح المفصل للأحداث ، أرى من الضرورة
أن أضع أمام القارئ ، صورة لتسلسل الحوادث والتصرّيات والأقوال ،
كما جاءت على لسان أصحابها أو كما نشرت ، وفي تواريتها حسب التسلسل
اليومى للأيام العصبية ، فلعل ذلك يفيد في المقارنة بين الأقوال والتبجحيات
والتبويضات التي ملأنا سمع الدنيا بها ، وبين حقيقة الأفعال التي صدرت منا ،
فجعلتنا في عيون العالم ، أذلاء مهانين .

(أ) فترة التوتر التي سبقت الحرب :

الجمعة ١٢ - ٥ - ١٩٦٧ :

كان هذا اليوم بداية التطور الحقيقي في تسارع الحوادث نحو الحرب ، ونقطة الانعطاف الخطرة ، للأحداث نحو الاتجاه المحتوم الذي سارت فيه باتجاه الحرب .

ففي هذا اليوم ، أعلنت وكالة (يونائتد برس) للأخبار ، أن مصدرراً إسرائيلياً رفيعاً قال :

« إنه إذا ما استمرت سورية في دعم عمليات التخريب داخل إسرائيل فإن ذلك سيستتبع بالضرورة قيام إسرائيل بعمل عسكري لقلب نظام الحكم في سورية » .

وأعلنت وكالة « أسوشيتد برس » ، أن مصدرراً عسكرياً إسرائيلياً هدد باستعمال القوة ضد سورية لوقف غارات الفدائيين المنطلقة من سورية ، وقال :

« إن أمام إسرائيل عدداً من الاحتمالات يتراوح بين شن حرب عضبات على سورية ، وبين غزو سورية واحتلال دمشق » .

السبت ١٣ - ٥ - ١٩٦٧ :

ناطق رسمي في وزارة الخارجية السورية ، صرح بأن الوزارة استدعت ممثلي الدول الأعضاء لدى مجلس الأمن الدولي في الجمهورية العربية السورية ، وأوضحت لهم « المؤامرة التي تحيكمها الدوائر الاستعمارية والصهيونية ضد القطر العربي السوري » .

وأوضحت لهم الأمور التالية :

١ - أن التهديدات الإسرائيلية المتعاقبة « ليست إلا تحضيراً جديداً للرأي العام الدولي من أجل تغطية العدوان الصهيوني المقبل وعملاً استفزازياً ضد سورية » .

٢ - إن محاولة إسرائيل « استغلال المنظمات الدولية لستر عدوانها المقبل ، ستبوء بالفشل الأكيد ، لأننا أبلغنا سفراءنا في جميع الدول وكذلك الأمين العام للأمم المتحدة والدول الأعضاء فيها حقيقة موقف إسرائيل كأداة بيد الاستعمار . . وكوجود يقوم على الاغتصاب والغزو ، ويتمرد على جميع قرارات المنظمة الدولية » .

٣ - « حجة إسرائيل بأعمال الفدائيين الفلسطينيين وتحميل مسؤولية ذلك للجمهورية العربية السورية أمر مرفوض دولياً » لأن الشعب الفلسطيني يرفض الوصاية .

٤ - « إن الانطلاق من النضال العربي الفلسطيني للعدوان على سورية ، لا يمكن أن يخفي المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية . . التي تركز على عدوان إسرائيل كمبر يتذرع بمختلف الحجج الواهية ، يتلوه عدوان من مرتزقة وعملاء المخابرات في الأردن . . مع تحركات الرجعية وفلول العملاء المتضررين بالثورة ، كل ذلك بحراسة الإمبريالية العالمية وتخطيطها . . » .

٥ - « إن التهديد الوقح بالقيام بعمليات عسكرية واسعة ، وتخوض الحرب ضد سورية لن يرهب أحداً » ، لأنه « لن يسقط النظام الثوري في سورية ، بل سيزيده مناعة وقوة ، وسيسقط الأنظمة الرجعية العميلة ، ويحرك الجماهير العربية في ثورة عارمة » .

٦ - « إن الأعمال العدائية الموجهة ضد سورية تهدف فيما تهدف إلى صرف الأنظار عما يجري في عدن والجنوب العربي ، وتخفيف ضغط الحرب الشعبية على الاستعمار والرجعية » ولكن ذلك كله سيفشل .

٧ - إن الجمهورية العربية السورية « تحمل إسرائيل وحماها مسؤولية ما سيحدث في المنطقة وأنها لتؤكد استعداد الحكومة والشعب لمواجهة أي عدوان . . وستوضع اتفاقات الدفاع المشترك موضع التنفيذ ، كما أن العدوان سيجابه بحرب التحرير الشعبية التي ستخوضها كل الجماهير العربية » .

وفي اليوم نفسه ، صرح ليفي أشكول ، رئيس الحكومة الإسرائيلية ، في خلال كلمة ألقاها من الإذاعة الإسرائيلية بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لإقامة الدولة . .

« .: أنه من الواضح أن سورية هي مركز الأعمال التخريبية ، غير أن إسرائيل تحتفظ لنفسها باختيار المكان والزمان والوسائل اللازمة لرد على المعتدى » .

وقام وفد عمالي سوري برئاسة خالد الجندى رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال السورية ، بزيارة الجبهة السورية (الجولان) ، فألقى العقيد أحمد المير قائد الجبهة يومذاك ، خطاباً في الوفد جاء فيه : . . « أن معنويات جنوده عالية » ، و « أن هذه المعنويات مستمدة من إيمانهم بشعبهم الكادح » وحذر من أن الاستعمار « قد يجتاح سورية » ودعا في هذه الحالة إلى « شن حرب عصابات عليه في داخل سورية وخارجها » على اعتبار أن « المشكلات مع الاستعمار لا تحل إلا بالحرب الشعبية » . قائد الجبهة أكد أن الطيران له تأثير معنوى أكثر من تأثيره المادى إلا أنه أهاب بالمواطنين أن يتخذوا كافة الإجراءات الواقية منه .

الأحد ١٤ - ٥ - ١٩٦٧ :

— ناطق رسمى سوري أدلى بتصريح قال فيه : أن الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في ج . ع . م عقد فور وصوله إلى دمشق عدداً من الاجتماعات مع كل من اللواء حافظ أسد وزير الدفاع السوري ، واللواء أحمد سويدانى رئيس أركان الجيش السوري . وأضاف الناطق « . . . أن كلا من ج . ع . م وسوريا تواجهان بحد واجبهما القوى التاريخي إزاء قضية فلسطين خاصة وقضية الشعب العربى عامة » .

— الميجر جنرال إسحق رابين ، رئيس أركان الجيش الإسرائيلى ، قال فى مقالة نشرت فى تل أبيب اليوم :

« إن إسرائيل تعلم جيداً أن سورية تقف وراء نشاط التخريب » .

وأضاف يقول : « إن أى عمل تقوم به إسرائيل ضد سورية سيكون مختلفاً عن أية أعمال انتقامية قامت بها القوات الإسرائيلية فى الماضى ، ذلك لأن المشكلة مع سورية مختلفة لأن السلطات هى التى تقوم بدعم نشاط المخربين وبالتالي فإن هدف القيام بعملية ضد سوريا سيكون مختلفاً » .

— الأنباء الواردة من الأرض المحتلة ذكرت أن تحصينات عسكرية وتحركات غير طبيعية بدأت تظهر على الحدود السورية الإسرائيلية .

الاثنين ١٥ - ٥ - ١٩٦٧ :

— الدكتور جورج طعمة ، مندوب سورية لدى الأمم المتحدة .
بعث برسالة إلى رئيس مجلس الأمن لهذا الشهر ، لفت فيها أنظار المجلس إلى
الوضع « القابل للانفجار » . . وحذر من « سويس ثنائية » . . وأنهى
باللائمة على وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية « لإعدادها وتمويلها
مؤامرة لإسقاط نظام الحكم في سورية » . وقال : « إن من المستحيل على
سورية السيطرة على نشاط هؤلاء — يقصد الفدائيين — أو حماية خط الهدنة
الذي يعتمد على حدود عدة دول » .

— غالب كيالى ، القائم بأعمال السفارة السورية في واشنطن ، صرح
بعد اجتماع تم بينه وبين مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق
الأدنى (لوشبوس باتل) قال فيه : « إن باتل قرأ أمامه مذكرة تعبر عن قلق
حكومة الولايات المتحدة إزاء الحالة على خطوط الهدنة » وأضاف كيالى يقول :
إننى أبلغت مساعد وزير الخارجية الأمريكية أن سورية تتوقع عدواناً
صهيونياً قريباً ، وتعتقد أن هذا العدوان يحظى بتأييد الولايات المتحدة . .
وقد أبلغته أيضاً أن سورية لا تستطيع منع شعب فلسطين من مواصلة كفاحه
من أجل استعادة وطنه المقتصب » وأعلن كيالى أن سورية سترد على أى عدوان
صهيونى بكل ممتلكات من قوة ، وقال : « إن أحداً لا يستطيع أن
يحدد منع الانفجار أو أن يمنع اشتعال منطقة الشرق الأوسط بأسرها »
في حال تجدد القتال بين سورية وإسرائيل .

— الوكالة السورية للأخبار ، أوردت نبأ يفيد أن هناك تنسيقاً كاملاً بين
المخابرات الأردنية والمخابرات الإسرائيلية لقمع أعمال الفدائيين الفلسطينيين
داخل الأرض المحتلة . وأضافت الوكالة تقول أن رجال المخابرات الإسرائيلية
وحرس الحدود الإسرائيلى تسلموا بطاقات خاصة تخولهم دخول الأراضى
الأردنية لمسافة ثلاثة كيلو مترات لتتبع الفدائيين . وبالمقابل تسلم رجال
المخابرات الأردنية بطاقات إسرائيلية مماثلة تخولهم دخول الأرض المحتلة لمسافة
ثلاثة كيلو مترات للغرض نفسه .

— جريدة المحرر البيروتية . نشرت تصريحاً أدلى به وزير الإعلام

السوري محمد الزعبي جاء فيه : «... أن المعركة ليست معركة قطرية ، وإنما هي معركة الشعب العربي كله ، وستجعل هذه المعركة لقاء القوى القومية والتقدمية أمراً محتماً ولا بد أن تعجل هذه اللقاءات في الوحدة » .

— الدكتور عدنان الباجه جي استدعى سفراء بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي والقائم بأعمال السفارة الأمريكية في بغداد ، وبحث معهم الحشود والتهديدات الإسرائيلية ضد سورية ، وأبلغهم أن العراق « لن يقف مكتوف الأيدي في وجه أى اعتداء على سورية وأنه سيساهم مساهمة فعالة في رد مثل هذا العدوان » .

— وكالة أنباء (نوفوستي) السوفيتية الرسمية قالت : « أن الاتحاد السوفيتي أعلن عن استعداده لتقديم المساعدة الضرورية للجمهورية السورية التي تدافع عن استقلالها وحقوقها في البناء السلمي لمجتمع مزدهر » .

الأربعاء ١٧ - ٥ - ١٩٦٩

— جريدتا (البعث) و (الثورة) الدمشقيتان قالتا : « أنهما قد علمتا أن القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية أصبحت في كامل استعدادها لدعمها قوات الجيش الشعبي التي احتلت مكانها وفق الخطط الدفاعية » .

— خلال زيارة لبعض وحدات الجبهة (الجولان) قام بها رئيس وزراء سوريا (الدكتور يوسف زعين) ، و (اللواء أحمد سويداني) رئيس أركان الجيش ، و (العقيد أحمد المير) قائد الجبهة (الجولان) ، ألقى الزعين كلمة في الضباط قال فيها : « ... إن بعض أنظمة الحكم العربية ، تتظاهر بأنها تساند قضية الشعب العربي في فلسطين ، ولكن المعركة كفيلة بكشف كل الحقائق » . وأضاف : « أن شعار لقاء القوى التقدمية من خلال المعركة قد ثبتت أصالته » . وأكد أن المعركة « لن تنتهي في شهر أو شهرين بل يجب أن تمضي إلى نهاية الشوط حتى تصبح الأرض العربية حرة في كل مكان » .

— جريدة (افرستيا) السوفيتية قالت : « إن اليمن في إسرائيل يريد ألزحف على دمشق » . وأضافت : « أن الدوائر المتطرفة في إسرائيل تستمر في سياسة إثارة الصدام مع الأقطار العربية المجاورة » وقالت : إن إسرائيل تشير على طريق العدوان لتدفع ثمن المعونات الأمريكية السيخية » .

الخميس ١٨ - ٥ - ١٩٦٧

الدكتور إبراهيم مآخوس ، أدلى بتصريح إلى وكالة الأنباء العربية السورية عقب عودته من زيارة للقاهرة استغرقت ثلاثين ساعة اجتمع خلالها بحال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعدد من القادة الكبار في ج . ع . م . وقد جاء في التصريح :

« . . إن زيارتي للقاهرة كانت لوضع اللمسات الأخيرة على الوضع السياسى العربى والدولى » . « . . إن مخططات الرجعية والاستعمار والصحف الصفراء التى دأبت على التشكيك ببقاء القوى التقدمية قد دحرت » . « . . إن سحب قوات الطوارئ بالشكل الذى تم به يبرهن على أن لا شىء يقف فى طريق الثورة ، وأن تشكيك الرجعية حول وجود هذه القوات قد رد إلى نحرها » .

وهاجم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية والحسين ابن طلال ملك الأردن بأقوال لا يليق أن نذكرها ، ويمكن للراغب الرجوع إليها فى المجلدين الرابع والخامس من اليوميات الفلسطينية ص ٤٦٠ . لإصدار مركز الأبحاث ب منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت .

- المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية ، أعلن فى تصريح له لوكالة أنباء الشرق الأوسط ، أن : « الجمهورية العربية اليمنية شعباً وحكومة تقف بكل إمكانياتها وطاقاتها بجانب سورية الشقيقة ضد مؤامرة الاستعمار والرجعية والصهيونية » .

الجمعة ١٩ - ٥ - ١٩٦٧

- الرائد محمد إبراهيم العلى قائد الجيش الشعبى فى سورية . أكد أن عشرات الألوف من جنود الجيش أصبحوا فى حالة تأهب واستعداد تام للقتال .

السبت ٢٠ - ٥ - ١٩٦٧

- الدكتور إبراهيم مآخوس ، صرح لجريدة أخبار اليوم : « أن جميع مطارات سورية مفتوحة للطيران المصرى ، وأن كل ما يقرره العسكريون سينفذ فى الحال ولا دخل للسياسيين فى ذلك . ولتثق إسرائيل ومن يشفقون

على إسرائيل أنها ستواجه ضربات مصرية - سورية من جميع الجهات » .
- محمد الزعبي وزير الإعلام السوري : أدلى بتصريح إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط قال فيه :

« إن أهم الدلالات التي يشير إليها الوضع الراهن في المنطقة هي :

١ - لقد أثبتت الوقفة الجبارة للقوى الثورية والتقدمية العربية ، أن قوة دولة العصابات .. ليست إلا أقل من نمر من الورق الهش القمىء المهترىء .
٢ - هناك علاقة جدلية بين المناخ الثورى ولقاء القوى التقدمية بحيث يتعزز كل منهما بالآخر يدفع به ويندفع معه ..

٣ - هناك علاقة أخرى مضادة بين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية .
٤ - إن رفع شعار حرب التحرير الشعبية ، وتبني الجماهير له ، ومباشرة العمل الفدائى واتباع سياسة ضرب مواقع العدوان داخل الأرض المحتلة . .
أسقط القناع عن وجه دولة العصابات الجبان ، وكشف تفوقها المزعوم .
٥ - لم يعد بإمكان إسرائيل أن تشكل بحق أبناء فلسطين في العمل الفدائى داخل أراضهم المحتلة . .

إن إسرائيل اليوم محصورة بين فكى الكماشة : الجيوش العربية المستنفرة من جهة . وأعمال الفدائيين من جهة أخرى . وهبات لها أن تفلت من تلك الكماشة » .

الاثنين ٢٢ - ٥ - ١٩٦٧

- الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورية : ألقى في حفل افتتاح الدورة الطارئة للمجلس المركزى للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب في دمشق ، خطاباً قال فيه : « إن سورية و ج . ع . م اتخذنا ما يلزم ، لا لإحباط المؤامرات الاستعمارية والرجعية والعدوان الصهيونى فحسب ، بل ونحوض معركة تحرير فلسطين عند أول تحرك عدوانى » . .
وجاء في خطابه : « إن أصوات التهديدات الإسرائيلية قد خففت بعد أن أصبحت إسرائيل بين فكى ج . ع . م وسورية » .

ثم حل حملة عنيفة على الملك فيصل والملك حسين ، واتهمهما بالتآمر لاستغلال الشعور الدينى و . . . إلخ . (انظر التفاصيل في ص ٤٧٤ من المرجع نفسه » .

— جريدة (برافدا) السوفيتية : « . . . إن هناك مؤامرة جديدة تعدها الإمبريالية الأمريكية وإسرائيل والرجعية العربية لضرب نظام الحكم التقدمي في سورية » .

الثلاثاء ٢٣ - ٥ - ١٩٦٧

— الدكتور يوسف زعين واللواء أحمد سويداني وصلاً فجأة إلى القاهرة . قال زعين : « ليس هناك أى داع للحديث ، فنحن قادمون من أجل الحرب » .

— العقيد أحمد المير ، قائد الجبهة السورية : صرح بأن الجبهة أصبحت معبأة بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . وقال : « إن العرب لم يهزموا في معركة ١٩٤٨ على أيدي الإسرائيليين ، بل من قبل حكامنا الخونة ، وهذه المرة لن نسمح لهم أن يفعلوا ذلك » .

— على أثر حادث انفجار لغم في سيارة في مركز الرمثا الأردني على الحدود الأردنية ، الذي نتج عنه مقتل ١٥ شخصاً وإصابة ٢٦ آخرين بجروح ، تأزمت العلاقات بين سوريا والأردن ، وأمرت السلطات الأردنية سفير سوريا ونائب قنصلها بمغادرة الأردن (١) .

— محمد الزعبي وزير الإعلام السوري صرح لوكالة أنباء الشرق الأوسط : « . . . أن الحكومة العميلة في عمان إنما افتتحت لهذا الحادث لتبرير قطع العلاقات ، ولأن الملك حسين بحاجة دائماً لأن يعمل في الظلام ، وخاصة في هذه الأيام ، لينفذ مخططات الاستخبارات الأنجلو - أميركية ، دون رقيب أو حسيب » .

— القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، أصدرت في دمشق بياناً دعت فيه : « جميع التقدميين والمنظمات الشعبية » في الوطن العربي إلى : « الانقضاض ساعة الصفر على الجيوب الرجعية والاستعمارية وإلى تدمير قواعد الاستعمار واحتكاراته النفطية وخطوط مواصلاته وتموينه أينما وجدت » .

(١) الحادث هذا دبرته المخابرات السورية كجزء من مخططاتها التخريبية في المنطقة .

— الحكومة السوفيتية أصدرت بياناً أعلنت فيه دعمها للدول العربية ،
جاء في البيان : « إن من يغامر بشن عدوان في الشرق الأدنى سوف يجابه
لا بالقوة الموحدة للشعوب العربية فحسب بل وبالمقاومة الحازمة من قبل
الاتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام » .

الخميس ٢٥ - ٥ - ١٩٦٧

— الدكتور نور الدين الأتاسي ، تحدث إلى أعضاء المجلس المركزي
للإتحاد الدولي لنقابات العمال العرب الذين زاروه بعد انتهاء مؤتمرهم الطارئ
في دمشق . . قال محذراً : « إن الأحداث تصاعدت بشكل يندر بحرب
شاملة في الشرق الأوسط ، وإن الشعب السوري مصمم على خوض معركة
الثأر من المستعمرين والمستغلين ومعركة الثأر للمجاهير الكادحة التي عانت كثيراً
من الاستعمار والاستغلال » .

الجمعة ٢٦ - ٥ - ١٩٦٧

— إذاعة دمشق أذاعت تعليقاً سياسياً قالت فيه : « إن سورية ترفض
اقتراح الجنرال شارل ديغول ، بعقد مؤتمر ذروة للدول الأربع الكبرى ،
إذ أن العرب لم يعودوا يقبلون وصاية أى كان على الشرق الأوسط » .
— إذاعة بغداد أعلنت أن وحدات عسكرية عراقية من المشاة والمدفعية
والمدرعات غادرت أربيل في شمال العراق للالتحاق بالقطعات العراقية
الرئيسية التي تتحرك نحو الجبهة السورية مع إسرائيل .

السبت ٢٧ - ٥ - ١٩٦٧

— وكالة « أسوشيتد برس » قالت : لأنه لم يعلن رسمياً حتى الآن في دمشق
عن تحركات القوات العراقية .

الأحد ٢٨ - ٥ - ١٩٦٧

— اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ، وجهت رسالة إلى جميع
الأحزاب الشيوعية في العالم تلفت فيها نظرها « إلى الوضع المتوتر الذي يحيط
بسورية ويشعل منطقة الشرق الأوسط بأسرها » . وأضافت : « إن منشأ هذا
الوضع هو أن الامبريالية الأمريكية تنظر بعين الغضب والحقد إلى نظام
الحكم القدي في سورية . . وقد فشلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية

في مساعيها لقلب الأوضاع في سورية عن طريق الرجعية الداخلية فأخذت تلجأ إلى أساليب الضغط والعدوان على سورية من الخارج . وأهابت الرسالة « بالرفاق الشيوعيين » أن يمدوا لشعب سوريا يد التضامن لإحباط العدوان الإسرائيلي الذي يسيره ويوجهه الاستعمار الأمريكي .

— التوقيع على اتفاق تنسيق العمل بين الجيشين السوري والعراقي تم في دمشق . وقد وقع الاتفاق عن الجانب العراقي العميد محمود عريم . ووقعه عن الجانب السوري اللواء عادل شيخ أمين (١) .
— صرح وزير الإعلام السوري ، محمد الزعبي : بأن قوات من الجيش العراقي قد دخلت الأراضي السورية واتخذت مواقعها المحددة (٢) .

الاثنين ٢٩ - ٥ - ١٩٦٧

— وصل فجأة إلى موسكو الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدوحة السورية مع وفد يضم الدكتور إبراهيم ماحوس ، ومحمد الزعبي . وأجرى الوفد مباحثات مع المسؤولين هناك ...

في اجتماع طارئ لاتحاد المحامين العرب عقد في دمشق ألقى يوسف زعين رئيس الحكومة السورية كلمة في جلسة الافتتاح قال فيها :

« إن انحناء إسرائيل أمام الورد العربي الحاسم الآن ، يجب أن لا يفسر بأنه انتصار نهائي عليها ، فهو ليس إلا بداية الطريق لتحرير فلسطين ، وتدمير إسرائيل . . . وإن الظروف اليوم هي أفضل من أي وقت مضى لخوض معركة المصير العربي » .

وقال : « إن الشعوب العربية ستحاسب كل من يتخاذل عن الواجب » .
وقال : « إن المسيرة إلى فلسطين ، هي المسيرة إلى إسقاط الرجعية العربية والاستعمار والصهيونية إلى الأبد » .

ثم أشاد باستعداد سورية لخوض المعركة .

(١) من الضباط النادرين غير البعثيين ، الذين أبقاهم حزب البعث في الجيش ، نظراً لأنه لا يشكّل أي تهديد للسلطة البعثية ، فهو معروف بأنه مسالم لدوجة غربية .

(٢) تبين فيما بعد أنها لم تتحرك للجهة وإنما رابت حول دمشق ولم تشترك في القتال .

— وكالة الأنباء العربية السورية كشفت النقاب عن أن سفير الولايات المتحدة في دمشق ، قدم مذكرة شفوية تتعلق بالوضع الراهن في الشرق الأوسط إلى الدكتور إبراهيم ماحوس ، علم أن المذكرة تضمنت النقاط التالية :
١ — إن حدة التوتر بين الدول العربية وإسرائيل ارتفعت في الفترة الأخيرة .

٢ — إن الولايات المتحدة لا تعتقد بوجود نوايا عدوانية لدى إسرائيل .
٣ — إن الحكومة الأمريكية تشعر بقلق خاص تجاه ما أسمته أعمال الإرهاب (العمل الفدائي الفلسطيني) وتعتبرها مغامرة لاتفاقات الهدنة .

٤ — إن الحكومة الأمريكية قلقة من انسحاب قوات الطوارئ الدولية وتعمل على إعادة وجود الأمم المتحدة على خط الهدنة بين ج . ع . م وإسرائيل بأية صورة من الصور .

٥ — الحكومة الأمريكية تعتقد بأن حشد القوات يزيد من حدة التوتر .
٦ — الحكومة الأمريكية تتمسك « بحرية المرور في خليج العقبة للسفن الإسرائيلية وسفن جميع الدول الأخرى » .

٧ — الحكومة الأمريكية تؤكد عزمها على التدخل بالمقاومة الشديدة لكل اعتداء في المنطقة .

الدكتور ماحوس رد على المذكرة الأمريكية فوراً مؤكداً انحياز أمريكا إلى جانب إسرائيل ووضعاً النقاط التالية :

١ — ليس للولايات المتحدة ما يميزها عن غيرها من الدول الأعضاء حسب ميثاق الأمم المتحدة ولا تملك حق التدخل في شئون المنطقة أو فرض وصايتها عليها .

٢ — لم يرتفع التوتر خلال الأيام القليلة الماضية فقط ، وإنما لازم المنطقة العربية منذ فرض الاحتلال الإسرائيلي . ووزارة الخارجية السورية تؤكد النوايا العدوانية لإسرائيل ، وتهديدات المسؤولين الإسرائيليين بأبلغ دليل على ذلك .

٣ — تؤكد سورية أنها ليست مسئولة عما يقوم به الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه طبقاً لحق تقرير المصير ، كما أن هذا الشعب ليس طرفاً في اتفاقيات الهدنة .

٤ - الحكومة السورية تؤكد حق ج . ع . م في سحب قوات الطوارئ الدولية وفي ممارستها لسيادتها على خليج العقبة .

الثلاثاء ٣٠ - ٥ - ١٩٦٧

- الدكتور نور الدين الأتاسي والوفد المرافق له عادوا من موسكو بعد زيارته لها .

- محمد الزعبي وزير الإعلام السوري صرح بأن الاتحاد السوفيتي أكد تأييده « لخطط الثوري التقدمي » الذي تنتهجه سورية . كما أكد وقوفه « بحزم ضد أي عمل عدواني قد يتعرض له الشعب العربي من جانب إسرائيل ومن وراءها » ووصف محادثات الوفد مع المسؤولين السوفييت بأنها « صريحة » وقال : « إن الدكتور الأتاسي أكد للزعماء السوفييتين أن التهديدات والحشود العدوانية الصهيونية ليست إلا جزءاً من مخطط استعماري عام لضرب حركة التحرير في الشرق الأوسط » .

الجمعة ٢ - حزيران - ١٩٦٧

- إذاعة بغداد قالت إن قوة كبيرة من المشاة توجهت بالقطارات من أربيل في شمال العراق إلى حيث تأخذ مواقعها في الجبهة . كذلك فعلت وحدة الآليات التي وصفت بأنها على درجة عالية من التدريب في القتال السريع ، وأنها مزودة بآليات ثقيلة حديثة .

- ناطق إسرائيلي عسكري زعم أن جنديين إسرائيليين وجندياً سورياً قتلوا في اشتباك بين دورية إسرائيلية وفريق من الفدائيين على بعد كيلومتر واحد من الحدود السورية .

- البريجادير جنرال حاييم هيرتسوج : كتب في الملحق الأسبوعي في جريدة « مجروساليم بوست » محلاً وضع الجيشين المصري والسوري ، وقد جاء في هذا المقال : « . . . أما الجيش السوري البالغ عدده ٦٥ ألفاً فهو ضئيل جداً بالنسبة لمساحة سورية . وأضاف إن الانقلابات التي تعاني منها سورية وينتج عنها تغيير دائم في صفوف الضباط وترفعات مفاجئة لا تستند على أساس الخبرة بل على أساس الانتهاء السياسي ، كل هذا أضعف الجيش السوري كثيراً » .

السبت ٣ حزيران ١٩٦٧

— مصدر رسمي سوري صرح بأنه قد تم وضع الترتيبات الكفيلة بحماية مدينة دمشق من جميع الأخطار . وتم دهن مصابيح السيارات ومصابيح الساحات العامة باللون الأزرق الداكن تنفيذاً لتعليمات مديرية الدفاع المدني . وأعلن المجلس البلدي في دمشق أنه قرر التبرع بمبلغ ٢٠٠ ألف ليرة سورية للجيش السوري ، وقرر أعضاء هيئة التدريس في جامعة دمشق التبرع بنسبة ١٠ بالمائة من مرتباتهم للجيش .

— الجنرال بيغال آلون ، وزير العمل الإسرائيلي ، قال في اجتماع الليلة البارحة : أن تحقيق ثلاثة أمور سيجنب المنطقة الحرب وهذه هي : إعادة فتح خابج العبة . وتخفيض القوات المختشدة على الحدود ، والتعهد بوقف أعمال التخريب .

— الميجر جنرال موشيه دبان وزير الدفاع الإسرائيلي عقد مؤتمراً صحفياً اليوم قال فيه : « إنه قد فات الوقت لردة فعل عسكرية (١) فورية على إغلاق ج . ع . م لمناطق تيران »
... إذا حاول أحد تحقيق حرية المرور من مضائق تيران بالوسائل الدبلوماسية فليعط الفرصة لذلك . .

... إذا وقع صدام فيسكون غالى الثمن . . .
... إن الدول العربية لديها من الجيوش والأعتدة أكثر بكثير مما لدى إسرائيل ولكن الأمر يعتمد كثيراً على مكان المعركة . مثل ذلك أنه سيكون من الصعب جداً على الجيش الإسرائيلي بعدده الحالي أن يذهب للقتال في بغداد أو القاهرة ، وآمل أن يكون صعباً جداً عليهم بأعدادهم المتفوقة أن يهاجموا تل أبيب ، لأن عليهم أن يسيروا من قواعدهم إلى إسرائيل .

الأحد ٤ حزيران ١٩٦٧

— القيادتان القطرية والقومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في سوريا بحثتا في اجتماع مشترك اليوم تقريراً مفصلاً عن نتائج مباحثات الدكتور إبراهيم ماحوس وزير الخارجية ونائب رئيس الحكومة في روما وباريس والجزائر وكان ماحوس قد عاد من رحلته الرسمية لتلك البلدان .

(١) انظر البراعة في الخداع .

وذكرت الأنباء أن اللاجئين السوريين في العراق طلبوا من حكومتهم السماح لهم بالعودة لاستغلال كمفاداتهم في المعركة .

(ب) فترة الحرب :

الاثنين ٥ - حزيران ١٩٦٧

— راديو القاهرة قطع إذاعته حوالى الساعة ٩.٥٠ بتوقيت القاهرة (١) ليعلن أن قوات إسرائيل بدأت تهاجم ج . ع . م .
— راديو دمشق قطع برامجه العادية ليعلن أن إسرائيل هاجت ج . ع . م صباح اليوم . وهذه أهم ما صدر عن هذا الراديو .
— بلاغ صادر من وزير الداخلية يطلب من جميع عناصر الدفاع المدني الالتحاق بمراكزهم .

— نداء إلى الشعب أعلن « بدء معركة التحرير الشعبية ، حيث سيكون اللقاء في قاب تل أبيب » . وقال : « سحقاً للصهيانية وسحقاً لأمريكا » .
— دعا الراديو القوات السورية إلى « مسح إسرائيل من الخريطة » .
— أعلن ان أفراد الجيش الشعبي تسلموا أسلحتهم الكاملة ونزلوا إلى الشوارع واتخذوا مواقعهم المحددة لهم في دمشق والمدن والقرى السورية .
— قال راديو دمشق أن القيادتين السورية والمصرية على اتصال دائم .
— أذاع الراديو بلاغاً من القائد الأعلى للقوات السورية المسلحة في الساعة ١٢ ظهرأ بتوقيت دمشق (٢) ، أعلن فيه دخول القوات السورية المعركة إلى جانب مصر . وقال : إن الطائرات السورية : « بدأت قصف مدن العدو ومواقع ومنشآته » . ومضى يقول : « إن سورية تلتحم مع العدو الآن . . . ولن تراجع قبل إبادة الوجود الصهيوني إبادة كاملة » .
— أذاع الراديو بياناً إلى الإسرائيليين باللغتين العربية والعبرية طلب فيه منهم أن يستمعوا إلى الإذاعات العربية وينتظروا الأوامر والتعليمات منها .
— شركة الأنباء الإقليمية ذكرت في نبأ من دمشق أن أصوات المدافع المضادة للطائرات دوت في المدينة أثناء غارة شنتها الطائرات الإسرائيلية على المدينة .

(١) التوقيت الصيفي .

(٢) التوقيت الصيفي كذلك

الإناسي أعان أن بلاده قررت أن تكون المعركة الحالية معركة التحرير النهائية لفلسطين . وقال في إذاعة موجهة إلى الشعب : « لقد دقت ساعة النصر على أعداء العروبة وقد حفر الصهاينة الغزاة المتآمرون مع الاستعمار العالمي قبورهم بأيديهم عندما أغاروا اليوم على ج.ع.م. » « إن الهجوم الإسرائيلي لم يتم إلا بتخطيط من الاستعمار العالمي الذي جعل من إسرائيل أداة للتنفيذ » . وقال : « لقد ألقي الشعب العربي بثقله في المعركة الفاصلة ووضع الجيش السوري كل قواه الضاربة في هيب المعركة وإن نسورنا البواسل يدمرون منشآت العدو ومدنه وهم في طريقهم لتحرير الأرض المغتصبة » .

وأما البلاغات التي أصدرتها سورية فقد كانت كما يلي وحسب الترتيب :
١ - قامت طائراتنا بقصف شديد لمطارات العدو في المنطقة الشمالية وقد دمرت القسم الأكبر من الجهود الجوية للعدو . وقد شوهدت الطائرات العدو وهي تحترق على الأرض . وعادت طائراتنا إلى قواعدنا سالمة .

٢ - إن طائراتنا الآن تقصف مطارات العدو ومواقعها (١) الاستراتيجية وأرتاله البرية وقد اختفى طيران العدو من أرض المعركة . وقد اندلعت النار في مصفاة البترول في حيفا بعد أن ضربتها طائراتنا .

٣ - تسليت طائرات معادية في أراضينا وقامت طائراتنا الساهرة على حماية الجو بالتعرض لها فاشتبك معها وأسقطت ثلاث طائرات إسرائيلية سقطت اثنتان منها فوق الأردن ولم تصب طائراتنا بأذى .

٤ - حاول العدو أن يقوم بغارة جوية داخل أرضنا فتصدت له طائراتنا وجرى اشتباك جوي سقطت نتيجة له طائرة ميراج معادية .

٥ - حاول طيران العدو ضرب مطار المزة فتصدت له مدفعيتنا المضادة للطائرات وأسقطت طائرة ميراج معادية . هذا وقد شوهدت طائرة معادية تحترق وهي متجهة باتجاه الدیماس (ميساون) غربي دمشق وقد سقطت الطائرة في الجبال .

(١) أدرجوا شدة الانتباه إلى الكذب والتهويز في كل ما صدر من إذاعة حزب البعث ومقارنته مع الوقائع التي شرحتها سابقاً ومع النتائج التي نعيشها اليوم .

- ٦ - اشتبكت مدفعيتنا المضادة للطائرات مع ثمانى طائرات إسرائيلية وأسقطت اثنتين منها وأسّر أحد الطيارين الإسرائيليين .
- ٧ - نتيجة اشتباك جوى بين طائرتنا وطيران العدو أسقطت طائرتنا ميراج فى الأراضى اللبنانية وأسّر طيار إسرائيلي (١) .
- ٨ - نتيجة مهاجمة طيران العدو لأحد مطاراتنا أسقط طيراننا الباسل ثلاث طائرات ميراج للعدو وأسّر طيار إسرائيلي وهو رهن التحقيق .
- ٩ - على كافة الإخوة المواطنين إلقاء القبض فوراً على أى طيار معاد يسقط فى أرضنا وإرساله حياً إلى أقرب مركز للجيش أو الشرطة .
- ١٠ - نتيجة مهاجمة طيران العدو لأحد مطاراتنا أسقطت مدفعيتنا المضادة للطائرات طائرة ميراج إسرائيلية .
- ١١ - هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا وحطمت مدفعيتنا المضادة طائرتين ميراج .
- ١٢ - هاجم طيران العدو مواقعنا فى الجبهة فأسقطت مدفعيتنا المضادة للطيران طائرة ميراج للعدو قرب خسفين .
- ١٣ - حاولت طائرات العدو قصف إحدى قواعدها الجوية فأسقطت للعدو ثلاث طائرات وهكذا أصبح عدد الطائرات المعادية التى أسقطت فوق هذه القاعدة ٦ طائرات .
- ١٤ - نتيجة للاشتباكات الجوية التى جرت فوق أرضنا ، أسقطنا للعدو ٣٠ طائرة . هذا عدا عن الطائرات التى أسقطها سلاحنا الجوى ضمن أراضى العدو . يضاف إلى ذلك ما دمره سلاحنا الجوى أثناء الغارات التى قام بها فجأة على مطارات العدو الشمالية بكاملها منزلاً بها تدميراً محققاً .
- ١٥ - هاجمت طائرات العدو مواقعنا فى الجبهة فتصدت لها مدفعيتنا المضادة وأسقطت للعدو طائرتين فوق تل يوسف .
- ١٦ - هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا فتصدت لها مدفعيتنا المضادة وأسقطت ثلاث طائرات ميراج .

(١) لاحظ أن البيان لم يوضح من الذى أسّر الطيار الإسرائيلى هل هى قوات سوريا أم السلطات اللبنانية ، ولاحظ التناقض فى نص البلاغ ، إذ يقول بإسقاط الطائرتين فى أرض لبنان ثم يعلن أسّر الطيار وبذلك السرعة الحاذقة .

١٧ - هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا فتصدت لها مدفعيتنا المضادة فأسقطت طائرتي ميراج .

١٨ - هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا ، فتصدت لها مدفعيتنا المضادة للطائرات وأسقطت طائرة ميراج .

١٩ - هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا فتصدت لها مدفعيتنا المضادة وأسقطت طائرة ميراج أخرى .

٢٠ - تحاول طائرات العدو بدون جدوى عرقلة قواعدنا الجوية ، وقد أسقطت الآن طائرة ميراج فوق أحد مطاراتنا .

٢١ - عدد الطائرات الإسرائيلية التي أسقطت في الأراضي السورية خلال الاشتباكات التي جرت فوق الأراضي السورية وبواسطة المدفعية المضادة للطائرات بلغ حتى الآن (الساعة الخامسة بعد الظهر بتوقيت عمان وبيروت) ٥٠ طائرة . . وقال ناطق عسكري إن هذا الرقم لا يشمل الطائرات المعادية التي دمرت في إسرائيل نفسها نتيجة الاشتباكات الجوية بعد ضرب المطارات الإسرائيلية .

٢٢ - حاولت طائرات العدو الهجوم على بعض القواعد الجوية فتصدت لها مدفعيتنا وأسقطت منها طائرتين .

٢٣ - أسقطت طائرة معادية قرب إحدى القواعد العسكرية السورية وذلك أثناء اشتباك جوي مع العدو .

٢٤ - هاجمت طائرات العدو إحدى القواعد الجوية السورية فتصدت لها القوات السورية وأسقطت إحدى الطائرات المعادية . وقال مصدر عسكري سوري أنه بلغ عدد الطائرات التي أسقطها سلاح الطيران السوري للعدو ٥٤ طائرة .

٢٥ - عثر على الطائرات الميراج الثلاث التي أسقطتها سورية فوق الأراضي اللبنانية قرب بلدة راشيا .

- التليفزيون السوري والإذاعة أجريا مقابلة مع طيار إسرائيلي أسير ، اسمه : ابراهيم زيلان ، رتبته ملازم أول ، من مواليد ١٩٤٥ ، فلسطيني . وقد جاء في المقابلة قوله : « . . . إن الأهداف التي كلف بضررها في سورية هي مطار الضمير ودمشق فقط . . . » .

— هبطت طائرة سورية اضطرارياً على ساحل الرشيدية قرب صور لنفاد وقودها . وكان يقودها الملازم الأول الطيار غسان إسماعيل ، وعمره ٢٨ سنة . وكانت هذه الطائرة تقوم بغارة على حيفا ثم نفد وقودها فاضطرت إلى الهبوط على الساحل اللبناني .

— أذاع راديو إسرائيل :

« . . . إن طائرات عربية هاجمت بلدة ناتانيا الساحلية » .

« . . . إن طائرتين سوريتين من نوع ميج أسقطتا في منطقة بلدة ارمجدون القديمة » . وقال البلاغ : « إن ثلاث طائرات سورية اشتربت في العملية » .

الثلاثاء ٦ - حزيران ١٩٦٧

البلاغات العسكرية السورية :

١ — هاجمت صباح اليوم أربع طائرات معادية مواقعنا في الجبهة وتم إسقاط طائرتين منها .

٢ — في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة من فجر يوم السادس من حزيران (يونيو) لعام ١٩٦٧ ، بدأت قواتنا بالاشتباك مع العدو وقصف مواقعه على طول الخطوط الأمامية ، وإن هذه الاشتباكات التي تجرى اليوم هي منطلق لبدء عملية التحرير .

التوقيع : وزير الدفاع

٣ — في الساعة التاسعة والرابع أسقطت مدفعيتنا المضادة ثلاث طائرات إسرائيلية فوق القنيطرة وذلك أثناء تصديها لغارة جوية معادية .

٤ — احتلت قواتنا الزاحفة مستعمرة شرياشوف شمال سهل الحولة وقد تكبد العدو فيها خسائر كبيرة وتجرى حالياً معركة حامية مع قوات معادية تقاوم تقدم قواتنا داخل الأرض المحتلة .

٥ — في الساعة السادسة عشرة أسقطت مدفعيتنا المضادة في منطقة الجبهة إحدى طائرات العدو وشوهد الطيار يقفز بالمظلة في سهل الحولة داخل الأرض المحتلة .

٦ — في الساعة السابعة عشرة والدقيقة ٣٢ حاولت بعض طائرات العدو

الإغارة على مواقعنا في الجهة ولسكنها ردت على أعقابها بعد أن أسقطت منها قاذفة قنابل من طراز (فوتور) .

٧ - قام طيران العدو بعد ظهر أمس بقصف الرقابة الدولية في منطقة البطيحة ثلاث مرات متوالية ، وقد قدمت هيئة الرقابة احتجاجاً على ذلك . إن الذين قصفوا المنطقة ، إما إسرائيليون تعمّدوا الاعتداء على هيئة الأمم المتحدة ، أو إنهم طيارون غرباء عن المنطقة وذلك يشكل دليلاً آخر على العدوان الاستعماري الغاشم .

- بيان سورى رسمى تكلم عن : « أبعاد المؤامرة الأنجلو - أمريكية الصهيونية على الحق العربى » فقال :

« . . أظهرت المعلومات التى وردت من جزيرة قبرص فى أول حزيران أن الطائرات البريطانية فى قاعدة أكروتيرى كانت فى حالة تأهب وحركة دائمة . وكذلك لوحظت حركة شديدة للسيارات العسكرية فى قاعدة أكروتيرى وديكيليه . وكانت هذه السيارات العسكرية من القاعدتين البريطانيتين ، تقوم بنقل القنابل والصواريخ من المخازن تحت الأرض إلى المطار ، وأكثرها صواريخ بطول مترين .

كما أثبتت المعلومات أن حوالى ٣٠٠٠ جندى بريطانى بكامل عتدهم الحربى قد غدروا قاعدة أكروتيرى إلى المنطقة المحتلة من فلسطين بتاريخ ٢٨ أيار الماضى . وكذلك أثبتت المعلومات الموثوقة إنه بتاريخ ٢٧ أيار الماضى وصل إلى القواعد البريطانية فى قبرص قائد الأسطول السادس الأمريكى بطريق الجو وبصورة سرية للغاية ، واجتمع فور وصوله بقائد القواعد البريطانية فى الجزيرة .

وقال البيان السورى : « أن الأسلحة التى ترسلها أميركا وبريطانيا عن طريق البحر تنتقل إلى إسرائيل فى صناديق رسمت عليها إشارة الصليب الأحمر تويهاً وتضليلاً كى لا يجرى تفتيشها . . . وإمعاناً فى التضليل يجرى نقل هذه الصناديق بواسطة بواخر تجارية غير أميركية أو بريطانية » .

وقال البيان : « إنه تم التواطؤ لاسلكى للعدو يطلب تدخل قوات أجنبية من حاملات الطائرات الموجودة فى شرق البحر الأبيض المتوسط لمساعدته

في عملياته الجوية ضد العرب . . . وقال : إن الطيار الإسرائيلي إبراهيم زيلان الذي أسرته القوات السورية ، اعترف أن ١٧ طائرة من قاذفات القنابل الإنجليزية وصلت مع طياريهما قبل العدوان إلى المنطقة المحتلة من فلسطين واشتركت بضرب الأهداف داخل ج . ع . م . وسورية . وعلم أن حاملة طائرات بريطانية تحركت إلى أحد المرافئ الإسرائيلية من قبرص صباح الثلاثاء مع أربع قطع حربية بريطانية (١) .

— الدكتور إبراهيم ماخوس جمع رؤساء البعثات الدبلوماسية في سورية باستثناء سفيرى أمريكا وبريطانيا ، وشرح لهم الوضع الراهن . وكان من جملة ما قاله ماخوس :

« . . . إن دولا صديقة عديدة نصحت الدول العربية بأن لا يبدأ العرب العدوان ، كما أن كثيرين من السفراء وعلى رأسهم السفير الأمريكى أكدوا أن إسرائيل لا تنوى العدوان . وأن العرب قبلوا النصيحة ، إلا أن الشعب العربى دفع الثمن باهظاً . . . »

« . . . ولو أننا بدأنا الهجوم لسحقنا العدوان وأنهيينا العملية في يوم واحد . . . ولكننا فوجئنا أمس بهجوم شامل على جميع المطارات في البلاد العربية بكثافة لا يمكن معها أن تكون إسرائيل وحدها في المعركة » . وقال :

« لقد أسقطنا أمس أكثر من ١٥٠ طائرة وكان الطيران الإسرائيلى مستمراً وكأننا لم نسقط طائرة واحدة . . . إلخ » .

— الميجر جنرال حاييم هيرتسوج ، المتحدث العسكرى الإسرائيلى ، والقائد السابق للاستخبارات الإسرائيلية قال : « إن لمصر ٣٥٠ طائرة على الجبهة ، ولسورية مائة طائرة خسرت منها ٥٠ طائرة في اليوم الأول للقتال . . . » .

— قال تقرير إسرائيلى : « إن طائرات سورية قد قصفت عدة أهداف داخل إسرائيل منها بعض القرى والمطارات الحربية في وسط وشمالي إسرائيل . . . » .

(١) من المعروف أن اكنوبة تدخل القوات الأمريكية والبريطانية في هذه الحرب قد انكشفت فيما بعد ، واضطر مروجوها إلى سحبها والاعتذار .

راجع كتاب : حربنا مع إسرائيل ، وهو حديث صحفيين فرقيسين مع الملك حسين .

— وقال بلاغ إسرائيلي آخر : إن القوات الإسرائيلية ردت قوة آلية مدعومة بالمدفعية حاولت التقدم إلى تل دان (تل القاضي) من الجبهة السورية .
— ادعى بلاغ إسرائيلي : أن إسرائيل أصبحت سيدة الجو في الشرق الأوسط وأن القوة الجوية العربية الضاربة قد أبيدت .

— وقالت المصادر الإسرائيلية : أن قواتها الجوية والبحرية كانت تقصف المواقع الجبلية السورية طوال النهار بينما كانت المواقع السورية تقصف المستعمرات الإسرائيلية في الجليل . وقالت هذه المصادر إن القصف من الطرفين كان متواصلا على طول الجبهة من دان في الشمال إلى بحيرة طبرية في الجنوب .

الأربعاء ٧ - حزيران ١٩٦٧

البلاغات العسكرية السورية :

١ - في الساعة ٤٧ ، ٨ أسقطنا للعدو طائرتين من طراز ميراج أثناء اشتباك فوق منطقة القنيطرة . قفز أحد الطيارين الأعداء بالمظلة قرب خان أريانة وأسر .

٢ - اشتركت القوات الجوية البريطانية هذا اليوم بشكل فعال بقصف مواقعنا الأمامية محاولة بذلك القيام بالمهمة التي فشل طيران إسرائيل بالقيام بها بعد أن أسقطنا للعدو معظم طائراته التي حلقت في أجوائنا .
إننا نؤكد أن الغارات التي جرت اليوم على مواقعنا الأمامية قد قامت بها طائرات من نوع كامبرا ، وهي قاذفة إنجليزية معروفة ، وهذه المناسبة ، لقد أسفر الاستعمار عن وجهه بكل لؤم وغدر ، فإننا نطمئن الإخوة المواطنين إلى أن المعارك تسير لصالحنا وأن تشكيلاتنا العسكرية تكيل للعدو ضربات قاسية في كل مكان (١) .

(١) من أبرز ما يفضح هذه الأكذوبة ، هو أنه منذ أعلن عن اشتراك طيران أمريكي وإنجليزي في هذه الحرب ، وحتى اليوم ، لم يعلن أحد من هذه الأنظمة عن سقوط طائرة واحدة غير إسرائيلية ، أي حين أن الطائرات الإسرائيلية كانت - حسب البلاغات الرسمية - تتساقط مثل فراخ القطا الطام . مع أن الطيران الإسرائيلي يحتوي على أنواع ماثلة لما لدى الطيران الأمريكي والإنجليزي ، ولكن يبدو أنه حين وضعت الشارات الإسرائيلية عليها أصبحت لديها جاذبية للقذائف العربية (الثورية) ، فتسقطها بالسهولة الزرية التي أبرزتها البلاغات !

٣ - في الساعة ٢٠ ، ١١ حاولت طائرات معادية الإغارة على مواقعنا الأمامية وتصدت لهما مدفعيتنا المضادة للطائرات وكانت النتيجة إسقاط قاذبتين من نوع فوتور سقطت الأولى في بستان الرمان وشوهدت الثانية تسقط باتجاه جبال الجليل وهي تحترق .

٤ - تستمر الاشتباكات والمعارك مع العدو على طول الجبهة العربية السورية منذ أن بدأت قواتنا باقتحام مواقع العدو في الأرض المحتلة وحاول العدو طيلة هذا اليوم إعادة تجميع قواته في بعض نقاط الجبهة للاقترب من خطوط قواتنا ولكن قواتنا لم تتمكن من ذلك واستمرت في الاشتباك معه كما قصفت مدفعيتنا الميدانية وخصوصاً في مناطق تجمعهم ، ونتيجة لذلك تكبد العدو الخسائر التالية :

(أ) دمرنا أربع دبابات وثلاث ناقلات جنود ومدرعة في القطاع الشمالي من الجبهة وأحدثت مدفعيتنا خسائر جسيمة في تجمعات العدو .

(ب) دمرنا سرية مشاة وخمس دبابات في هاغوشريم .

(ج) دمرنا كافة تحصينات مستعمرة تل القصر (بيت كاتسير) وأسكتنا الأسلحة الموجودة فيها وما زالت النيران تشتعل في هذا الموقع .

٥ - في تمام الساعة ٣٠ ، ١٦ تصدت طائراتنا المقاتلة لسرب معاد من الطائرات القاذفة الثقيلة واشتبكت معه في معركة جوية حامية فوق منطقة الشيخ مسكين . تمكن طيارونا البواسل من إسقاط ثلاث طائرات للعدو هوت وتحطمت في منطقة ازرع ونوى وطفس . وعادت طائراتنا إلى قواعدنا سالمة . هذا وقد بلغ مجموع الطائرات التي أسقطناها للعدو منذ صباح اليوم خمس قاذفات قنابل وطائرتين مقاتلتين .

٦ - تستمر قواتنا الباسلة في تدمير العدو على طول الجبهة ، وتدور الآن رحي معركة عنيفة أمام تل العزيبات وقد دمرنا للعدو حتى الآن قاعدتين للصواريخ المضادة للدبابات وسريتين من مدافع الهاون وعدد من الآليات المدرعة وتم تدمير بعض الجسور مقابل تل العزيبات ولا يزال القتال مستمراً (١) .

(١) الحقيقة أنه لا يوجد مقابل تل العزيبات أية جسور ذات أهمية قتالية أو ذات ضخامة تجعل تدميرها يشكل عائقاً لتحركات القوات . وإنما هي كلها عبارة عن عبارات صغيرة فوق أنفوات البرى الموزعة توزيعاً كبيراً في المنطقة لإمداد بركتربية الأسماك المنتشرة بكثرة في سهل الحولة .

٧ - في حوالى الساعة ١٢،٢٠ أبادت مدفعيتنا المضادة للطائرات طائرة إسرائيلية فوق المنطقة الجنوبية وسقطت شظايا الطائرة وتناثرت فوق بعض قرى محافظة درعا .

٨ - تم إسقاط طائرة معادية في الساعة ٢٥ ، ١٩ من مساء هذا اليوم فوق الجاعونة في القطاع الأوسط في الجهة أثناء اشتباك مع مدفعيتنا المضادة للطائرات .

٩ - أسقطنا الآن طائرة معادية فوق الصنمين بواسطة المدفعية المضادة للطائرات وقذف الطيار بنفسه بالمظلة من الطائرة وتحركت فوراً مفرزة خفيفة من إحدى نقاطنا العسكرية للقبض عليه .

١٠ - في الساعة ٣٠ ، ١٩ اكتشفت مراصدنا تحركات قوات معادية في القطاع الشمالى من الجهة أمام تل العزيبات ، وكانت قوات العدو تحاول التجمع وهى من - ٥٠ - دبابة تقريباً ومعها وحدات من المدفعية والمشاة ، بادرت مدفعية الميدان العربية السورية تساندها أنواع أخرى من الأسلحة إلى قصف هذه التجمعات بعنف وشتتها وألحقت بها خسائر جسيمة .

١١ - خلال الاشتباكات التى جرت أمس في الجهة أسرت قواتنا عدداً من جنود العدو بينهم ضابط برتبة ملازم أول .

- راديو دمشق اتهم « الاستعماريين الأمريكيين والبريطانيين بالاستمرار في مساعدة إسرائيل لإنقاذها من الدمار » .

- أعلن الراديو في وقت لاحق انسحاب القوات السورية على سهل الحولة وقال إنها تطارد الإسرائيليين بطريقها إلى الناصرة .

وقال أحد المعلقين : إن الجيش السورى بطريقه الآن إلى صفد وعكا بالإضافة إلى الناصرة (١) . . .

الخميس ٨ حزيران ١٩٦٧

- راديو دمشق أذاع في الساعة الثالثة من الصباح أنه يتوقع أن تصل القوات السورية إلى صفد لتلتقي بالقوات الأردنية الزاحفة .

(١) أسوأ أنواع الكذب والتضليل والمزايدة على مصير الأمة ، حيث في هذا الوقت بالذات كانت قوات الجهة قد انفرط عتدها ، وهرب القادة ، وبدأ الانسحاب الكبير والهروب من مواقع الواجب المقدس . كل ذلك بفضل الإجراءات التى اتخذتها قيادة حزب البعث لضمان شل المقاومة وتسلم الجولان دون قتال .

الراديو أذاع البلاغات العسكرية التالية :

١ - تشتبك مدفعيتنا المضادة للطائرات الآن في القطاع الشمالى والقطاع الأوسط من الجبهة وتصد طائرات العدو المغيرة على مواقعنا .

٢ - في الساعة ٥٠ ، ٩ تصدت مدفعيتنا المضادة لغارات العدو التى هاجمت مواقعنا ، فأسقطت ثلاث طائرات اثنتان منها في القطاع الأوسط ، تفجرت الأولى في الجو وهوت الثانية محترقة إلى الأرض ، وأسقطت الثالثة في القطاع الشمالى ، وبهذا الانتصار على طيران العدو تفتتح مدفعيتنا المضادة ، اليوم الرابع من المعركة التى سنخوضها حتى النصر .

٣ - في الساعة ١٠ ، ١٠ جرى اشتباك فوق الجبهة أسقطنا على أثره قاذفتى قنابل للعدو ، وهكذا أسقط للعدو خمس طائرات خلال نصف الساعة الماضية .

٤ - في الساعة ٥٥ ، ١٠ تم إسقاط طائرة إسرائيلية بمدفعيتنا المضادة للطائرات في القطاع الشمالى من الجبهة وقد هوت الطائرة باتجاه مواقع العدو وانفجرت قرب النبی يوشع .

٥ - جرى اشتباك جوى في الساعة ٠٠ ، ١١ وتم إسقاط طائرة معادية انفجرت على السفح الشرقى من جبل الشيخ . وقد دمرنا للعدو خلال الساعات المنصرمة سبع طائرات .

٦ - أسقطنا للعدو طائرة في الساعة ٤٥ ، ١١ ، وقعت في دغانيا .

٧ - أسقطنا للعدو في الساعة ٣٠ ، ١٤ طائرتين فوق الجبهة سقطت الأولى في الخالصة والثانية في هافر شيريم . بلغ عدد الطائرات التى دمرناها للعدو حتى الساعة ٠٠ ، ١٤ من هذا اليوم عشر طائرات .

٨ - في الساعة ٣٠ ، ١٤ أسقطنا طائرة معادية في ناووت مردخاي .

٩ - أسقطنا للعدو طائرتين في الساعة ٠٠ ، ١٥ إحداها من طراز

كانبيرا والثانية من طراز فوتور وذلك فوق منطقة الجليل الشمالى . ومجموع خسائر العدو حتى الآن ١٣ طائرة .

١٠ - أسقطت مدفعيتنا المضادة للطائرات الساعة ٥٠ ، ١٦ طائرة معادية فوق القطاع الأوسط من الجبهة .

١١ - فى الساعة ٢٠ ، ١٧ أسقطنا للعدو طائرتين وقعتا فى بحيرة طبرية إلى الغرب من مستعمرة عين غيف . وبهذا نكون قد دمرنا حتى ساعة إذاعة هذا البلاغ ١٦ طائرة للعدو .

١٢ - دمرت قواتنا البرية العاملة فى القطاع الشمالى من الجبهة سرية كاملة من مدفعية العدو فى مستعمرة ساديا نحاميا كما دمرنا مستودعاً للمخاطر .

١٣ - أسقطنا للعدو فى الساعة ٤٥ ، ١٧ طائرتين إحداهما من نوع أوراجان والأخرى من نوع ميستير سقطت غرب القلاع .

١٤ - شوهدت فى الساعة ٤٠ ، ٣٠ تجمعات معادية من المدرعات والمشاة أمام القطاع الأوسط من الجبهة ، بين يسود هامعلا وكعوش فقصفتهما مدفعيتنا بشدة وأوقعت فيها خسائر فادحة .

راديو دمشق أعلن أن سورية لن توقف القتال وستواصل الحرب ضد إسرائيل وقال : « إن الحرب ما زالت فى بدايتها ، وسوف تستمر ، والنصر لمن يصمد ، ولن يرمى فى المعركة كل يوم قوى جديدة .. إن أسلوب الحرب الصناعية لفرض الهدنة لن يكتب له النجاح ، وإن الغلبة فى النهاية ستكون للحق العربى » .

- بلاغ صدر عن السلطة العسكرية العليا فى لبنان مساء هذا اليوم ، قال : إن مواقع الجبهة العربية الشمالية فى منطقة الجليل الأعلى توالى منذ الساعة العاشرة صباحاً قصف مستعمرة هاغوشريم والمستعمرات المحيطة بها . وقال البلاغ : إن العدو يقوم بغارات متواصلة محاولا إسكات هذه المواقع إلا أن المدفعية اللبنانية والسورية المضادة للطائرات تصدت لها وجعلت

طائرات العدو تفر بعد إخفاقها في تحقيق أهدافها . وأضاف البيان يقول :
إن المدفعية السورية تواصل قصفها بقوة ، محرقة هذه المستعمرات بنيرانها .
— متحدث رسمي إسرائيلي أعلن في مؤتمر صحفي وفي معرض حديثه عن
عن أوضاع القوات الإسرائيلية مقابل القوات العربية « . . . أما على الجبهة
السورية فإن معظم القوات السورية تنسحب الآن باتجاه دمشق ، ويواصل
الطيران الإسرائيلي قصف القوات المنسحبة حسب تقارير إسرائيلية غير رسمية .
أما التقارير الرسمية فقالت إن المدفعية السورية واصلت قصف المستعمرات
الإسرائيلية في سهل الحولة اليوم . وقد نفى الناطق الإسرائيلي أن تكون القوات
الإسرائيلية قد دخلت الأراضي السورية .

— أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل قال : إن القتال سيستمر إلى أن يحذو
العراق وسورية حذو الأردن و ج . ع . م في الموافقة على وقف النار .
وأبلغ إيبان المجلس (١) أن إسرائيل لا تزال مشتركة في قتال عنيف مع
القوات السورية .

الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٩

راديو دمشق أذاع في الساعة الرابعة والدقيقة العشرين بالتوقيت المحلي (٢)
أن سورية وافقت على وقف إطلاق النار شريطة التزام الجانب الآخر
بوقف القتال . وقال : « إن الجمهورية العربية السورية ، تقديراً
منها للظرف الراهن أبلغت الأمين العام للأمم المتحدة أنها قررت قبول دعوة
مجلس الأمن إلى وقف إطلاق النار شريطة التزام الجانب الآخر بوقف
إطلاق النار (٣) » .

وأذاعت القيادة العسكرية السورية البلاغات التالية :

١ — بالرغم من أن قواتنا توقفت عن إطلاق النار حسب قرار مجلس
الأمن ، فقد بدأ العدو في الساعة ١٥ ، ٩ من صباح اليوم يشن هجوماً على

(١) مجلس الأمن .

(٢) التوقيت الصيفي وهو يعادل الساعة ٢٠ و ٣ بتوقيت بيروت .

(٣) هكذا وافقوا على وقف القتال بعد أن ضمنوا أنه لم يبق في الجبهة قوات تقاتل إلا القليل .

مواقعنا الأمامية مستخدماً نيران المدفعية والدبابات ، وكذلك قامت عدة تشكيلات معادية باختراق الأجواء السورية وقصفت مواقعنا في الجبهة ولكن قواتنا الباسلة تصدت للعدو وأسقطت طائرة ميراج معادية في الداخل وتقوم الآن قواتنا الصامدة بالرد على هجوم العدو بنيران غزيرة تقصف مستعمراته وتجمعاته .

٢ - القوات السورية دمرت طابورين للعدو عندما حاول التقدم تجاه المواقع السورية ، الطابور الأول حاول التقدم من موقع أم جنزير تجاه البحر (١) إلا أنه دمر . أما الطابور الثاني فقد حاول التقدم من تل قصر (بيت كاتسبر) تجاه الناصرية (التوافيق) إلا إنه دمر أيضاً ، وقامت المدفعية السورية بضرب مواقع مدفعية العدو .

٣ - القوات السورية دمرت طلائع العدو و ٩ دبابات شمال الجبهة . كما دمرت كافة دبابات العدو التي حاولت التسرب في القطاع الأوسط . وقد أسقطنا طائرة للعدو في بحيرة طبرية . ويفتال جنودنا ببسالة خارقة ومعنويات عالية .

٤ - القوات السورية دمرت ١٣ دبابة للعدو شمال الجبهة ، وأسقطت طائرة ثالثة فوق منطقة الكسوة .

٥ - الساعة ٣٠ ، ٤ (٢) - إن القتال ما زال مستمراً على الخطوط الأمامية وإن القوات السورية تقاتل ببسالة نادرة وتكيل للعدو ضربات قاسية وتلحق به خسائر فادحة في الأرواح والعتاد .

(١) هكذا ورد النص في اليوميات الفلسطينية ، ولكني أعتقد جازماً بأن في هذه التسمية خطأ واضحاً ، وهو أنه لا يوجد في كل مواجهة الجولان ، موقع إسرائيلي اسمه أم جنزير ، ولكن يوجد « تل أبو خنزير » في سهل الحولة شمال كفر سلط بحوالي ١٥ كم وفي مواجهة موقع البحریات (خان البحریات) .

وكذلك اعتقد أن كلمة (البحر) التي وردت يقصد بها (البحریات) وهو أحد مخافر الحرس الوطني الهامة في القطاع الشمالي ، وهكذا يكون نص البلاغ معقولا ومطابقاً للتحقيق تحركات القوات الإسرائيلية لاختراق الدفاع السوري .

(٢) بمدينة القاهرة ، وبالتوقيت المحلي الصيني الذي يعادل ٣٠٣٠ حسب توقيت عمان .

٦ - الساعة ١٠ و ٥ - المدفعية السورية أسقطت طائرة للعدو حاولت التحليق في سماء دمشق .

٧ - تعرضت مدينة اللاذقية لغارات إسرائيلية جوية وقد ردت طائرات العدو على أعقابها .

٨ - تعرضت بعض المدن السورية لغارات جوية إسرائيلية واسعة النطاق يتراوح عددها بين ٥٥٠ و ٦٠٠ غارة . وتكشف هذه الغارات الأبعاد الكاملة للعدوان الاستعماري - الصهيوني بغية النيل من معنويات الشعب السوري ولكن النصر يكون دائماً في النهاية للشعوب .

٩ - على الرغم من تقييد سورية بقرار مجلس الأمن الدولي وقف إطلاق النار ، فإن العدو استمر منذ الصباح في شن هجمات بالمدفعية والدبابات ولكن القوات السورية تصدت له وكبدته خسائر فادحة وأوقفت تقدمه . وفي القطاع الشمالي من الجبهة تسالت قوات معادية من الدبابات فنشبت معركة شديدة وضارية (١) وعززت قواتنا بوحدة مدرعة ودبابات (٢) وقد تمكنت قواتنا من احتلال مواقع دفاعية في القطاع الشمالي (٣) . وعلى الرغم من كثافة التغطية الجوية لقوات العدو الإسرائيلي فقد أسقطت قواتنا أربع طائرات معادية في الجبهة .

- الدكتور نور الدين الأتاسي . وجه كلمة من راديو دمشق . جاء فيها :
« . . . إننا نواجه اليوم أكبر مؤامرة دينية خسيسة في العالم الحديث ، وإن الحطة تستهدف بعد كل المؤامرات المتلاحقة إلغاء مكاسب شعبنا مرة واحدة وإعادة وطننا إلى منطقة النفوذ الاستعماري الجائر على غرار القرن التاسع عشر . . . »

(١) يشير البيان هذا إلى المقاومات الفسارية في تل فخار ، والقلع ، وتل شيان .
(٢) يشير البيان إلى الهجوم الماكس ، الذي كان مقرراً أن يقوم به اللواء السبعون المدرع مع ثلاثة ألوية مشاة (انظر فصل الإعداد المسبق) ، ولكن الحقيقة أن هذا البلاغ كاذب ، وأن الهجوم لم ينفذ ، وفي الوقت هذا ، الذي يدعى فيه البلاغ تنفيذ ذلك الهجوم (التعزيز لقواتنا بالمدرعات والدبابات . .) كانت الدبابات السورية تتحرك نحو دمشق (لحماية الثورة . .)
(٣) انظر لهجة الكذب في البلاغ . . « تمكنت قواتنا من احتلال مواقع دفاعية في القطاع الشمالي » . كأن هذا القطاع والجولان كله لم يكن مزروعاً بالمواقع الدفاعية والقوات المدافعة . . وكأن القوات قواتنا . . كانت في هجوم ناجح ثم توقفت تحت ضغط العدو لأخذ مواقع دفاعية ! ! ؟

... وكما يكافح شعب فيتنام وكما كافح الجزائريون ، سنحول الدنيا إلى جحيم في وجه الغزاة وسنتصمر (١) » .

(انظر النص كاملاً في اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس من ١-٧-٦٦ إلى ٣٠-٦-٦٧) .

— القيادتان القطرية والقومية لحزب البعث ، قررتا الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين (كيما تتيح لهم جميعاً أن يسهموا في شرف الدفاع عن وطنهم) .

— راديو دمشق أذاع أن أحد الطيارين الإسرائيليين اللذين وقعا في يد العراق أمس ، صرح بأنه أفلح مع عدد من الطيارين الإسرائيليين الآخرين في طائرة هليوكوبتر إلى حاملة طائرات أمريكية قادوا الطائرات منها مباشرة واتجهوا إلى سماء المعركة .

— إسرائيل أعلنت صباح اليوم أن قواتها قد بدأت الهجوم على مواقع الجبهة السورية التي كانت تقصف المستعمرات الإسرائيلية في الجليل باستمرار في اليومين الماضيين .

وقال بيان إسرائيلي آخر ظهر اليوم أن الهجوم على الجبهة السورية ما زال مستمراً وأن المواقع السورية قامت بقصف المستعمرات في الجليل هذا الصباح . وقال البيان أن المواقع السورية على طول خط الجبهة قامت بقصف متواصل للأراضي الإسرائيلية .

وقال إن المدفعية السورية لم تهدأ في قصفها للمواقع الإسرائيلية خلال الأيام القليلة الماضية ، وقال إن بعض أهدافها كانت على مسافة بعيدة داخل إسرائيل كبلدة روشينا وقريات شموه وهاتسور .

وقال إن الطائرات السورية أغارت على مدينة طبريا وأن المشاة السوريين المدعومين بالمدفعية قاموا بعدة غارات على المستعمرات الإسرائيلية .

— مجلس الأمن الدولي عقد جلسة طارئة يطلب من سورية التي ناشدت المجلس وقف العدوان الإسرائيلي على أراضيها . وجاء في برقية من وزارة الخارجية السورية : « ... إن العدوان الإسرائيلي استمر على الجبهة

(١) نطالب اليوم الأتاسي الذي ما زال رئيساً للدولة ، بتحويل الدنيا إلى جحيم ، في وجه الغزاة .. وينسف هذا الهدوء المريب النخم على الحدود « الجديدة » بين سوريا والقوات الإسرائيلية .

السورية ، التي تتعرض حتى هذه اللحظات لغزو إسرائيلي شامل جميع صنوف الأسلحة من دبابات ومدافع وطائرات . وقالت البرقية : « إن سورية تحمل مجلس الأمن والضمير العالمي ، مسؤولية هذا العدوان المجرم » .

— الدكتور جورج طعمة مندوب سوريا في مجلس الأمن « إنه ليس هناك من شك في أن هدف إسرائيل هو غزو شامل لسوريا ، وفيما أننا أنكلم اليوم تقوم الطائرات الإسرائيلية دون تمييز بقصف الأهداف العسكرية والمدن والقرى والمدنيين . إن طوابير من الدروع الثقيلة تقضي على كل أثر للحياة والممتلكات ووحشية المعتدين تكاد لا توصف . . . » .

أكد الدكتور جورج طعمة بعد ٩٠ دقيقة من توجيه نداء مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، قبول سوريا مجدداً بوقف إطلاق النار ، ولكنه قال : « . . . إن القوات الإسرائيلية ما زالت مستمرة بالتقدم داخل أراضي بلاده على الرغم من القرار الجديد ، وإن الطائرات الإسرائيلية هاجمت دمشق . وأضائف يقول : إنه علم بينما كان المجلس لا يزال مجتمعاً ، إن القوات الإسرائيلية دخلت الأراضي السورية وأنها تتجمع حول بلدة مسعدة (قيادة القطاع الشمالي) .

السبت ١٠ حزيران ١٩٦٦

— بلاغ صادر من راديو دمشق صباح اليوم : « بالرغم من تأكيد إسرائيل لمجلس الأمن الدولي إنها أوقفت القتال فإنها لم تنفذ ما تعهدت به وبدأت قوات العدو صباح اليوم بالضرب بكثافة من الجو وبنيران المدفعية والدبابات وما زالت قواتنا تقاتل العدو بكل ضراوة في جميع الجبهات » .

— الساعة ٩,٣٠ أعلن بلاغ عسكري : « إن القوات الإسرائيلية استولت على مدينة القنيطرة بعد قتال عنيف دار منذ الصباح الباكر في منطقة القنيطرة ضمن ظروف غير متكافئة ، وكان العدو يغطي سماء المعركة بإمكانات لا تملكها غير دولة كبرى . وقد قذف العدو في المعركة بأعداد كبيرة من الدبابات واستولى على مدينة القنيطرة على الرغم من صمود جنودنا البواسل . إن الجيش لا يزال يخوض معركة قاسية للدفاع عن كل شبر من أرض الوطن كما إن وحدات لم تشترك في القتال بعد قد أخذت مراكزها » .

— راديو دمشق ، يردد الشعارات الوطنية ، ويدعو إلى الاستبسال ، ويقول : «سنقضي على العدو بالسلاح العربي وحده، وبالسلاح العربي وحده ودون الاعتماد على طيران صديق سننتصر (١)» .

— الساعة ١٢,٠٥ ، صدر بلاغ عسكري يقول : « إن قتالا عنيفاً لا يزال يدور داخل مدينة القنيطرة وعلى مشارفها » . وقال البلاغ : « إن القوات السورية ما زالت حتى الآن تقاتل داخل المدينة وعلى مشارفها جنبا إلى جنب مع قوات الجيش الشعبي بكل ضراوة وصمود بحيث لم يتمكن العدو من السيطرة الكاملة على مدينة القنيطرة (٢) » . وأضاف : « إن القوات السورية دمرت أعداداً كبيرة من دبابات العدو بالقنابل المحرقة » .

الساعة ١٢,٣٤ بلاغ عسكري أعلن إسقاط ٣ طائرات للعدو فوق دمشق . الساعة ١٤,٠٢ بلاغ عسكري أعلن إسقاط طائرة معادية شمال غربي دمشق . الساعة ١٩,٥٠ أي بعد الموعد المحدد لوقف إطلاق النار ، كان راديو دمشق لا يزال يردد نداءات الصمود إلى الجنود السوريين .

ثم أعلن وزير الدفاع بعد ذلك بلاغاً أعلن إن طائرات إسرائيلية حاولت التسلل إلى سماء دمشق في الساعة ٣٥ ، ١٩ أي بعد الموعد المحدد لوقف إطلاق النار في (٥) دقائق . وقال البلاغ : إن المدفعية المضادة تصدت لها وأسقطت اثنتين وقعنا في التلال الواقعة جنوب الكسوة على بعد ٢٥ كيلو متراً من دمشق .

وقال البلاغ أيضاً : إن الطائرات الإسرائيلية التي حلقت فوق مدينة حماة ليلة الجمعة أسقطت منها طائرة في الساعة ٥٥ ، ٧ وأنه عثر على حطامها قرب قرية الوراق التي تبعد مسافة ٢ كيلو متر عن مصياف .

وقال البلاغ : إن المدفعية المضادة للطائرات أسقطت الساعة ٣٠ ، ٩ من الصباح أيضاً قاذفة قنابل من نوع فوتور سقطت في الجهة قرب تل أبي الندي وقد أسر طيارها .

(١) ألم تر هذا الانتصار الذي حققه حزب البعث ، الفريد من نوعه في تاريخ هذه الأمة ! ؟

(٢) لاحظ "تياقص" ، في الساعة ٩,٣٠ أعلن البلاغ : استولت القوات الإسرائيلية على مدينة القنيطرة . وفي الساعة ١٢,٠٥ أي بعد ساعتين ونصف ، يعلن بلاغ آخر : أن قواتنا ما زالت حتى الآن تقاتل داخل المدينة وعلى مشارفها .

وقال : « وبهذا نكون مدفعيتنا المضادة للطائرات قد أسقطت اليوم ٧ طائرات للعدو » .

— تقارير من تل أبيب تقول إن القتال على الجبهة السورية يبدو قد انتهى . ونفت مصادر إسرائيلية أى نية في التوجه نحو دمشق وقالت : إن إسرائيل تنوى فقط احتلال تلال الجبهة السورية المحصنة والمزروعة بالمدفعية التي كانت موجهة نحو المستعمرات الإسرائيلية في سهل الجليل . وقالت التقارير : إن المدفعية السورية كانت قد أحدثت خراباً كبيراً وفوضى هائلة في الأراضي الإسرائيلية في الیومین الماضیین .

أما عن القتال فقالت تقارير واردة إلى تل أبيب من الجبهة السورية إن القتال في هذه الجبهة كان الأكثر دموية في الحرب كلها .

وتقول التقارير : إن القوات الإسرائيلية تسيطر الآن على المرتفعات الهامة على الجبهة بعد أن دخلت مئات من المدرعات من نقطة في القسم الشمالي من الجبهة وهاجمت القوات السورية من الخلف (١) وكانت القاذفات الإسرائيلية قد حاولت إسكات المواقع السورية بدون جدوى (٢) وبقيت هذه المواقع تقصف الأهداف داخل إسرائيل حتى صباح اليوم .

وتقول التقارير الواردة من الجبهة : إن إسرائيل استعملت عدداً كبيراً من الدبابات التي أسرتها من الجبهة الأردنية في هجومها على سورية . وتقول التقارير : إن السوريين استعملوا ثلاثة ألوية على الجبهة بما فيها المدرعات والمدفعية .

— بيير لامبرت مراسل جريدة « صنداي تايمز » البريطانية الأسبوعية . قال : إنه كان في إحدى الدبابات الإسرائيلية التي هاجمت سورية ، وأنه شاهد ستة من الأسرى العرب يقودهم الإسرائيليون . .

(١) إن هذا الوصف الإسرائيلي للمركة كاذب ، وجاهل وخيالي ، لأنه ما من مكان في الجبهة تستطيع فيه المدرعات الإسرائيلية ، مفاجأة القوات المدافعة من الخلف . (انظر الخرائط الملحقة بهذا الكتاب وخاصة الخريطتين رقم ٣ ، ٤) .

(٢) حتى العدو يعترف أنه لم تكن لغارات طيراته على قوات الجبهة جدوى كبيرة ، فأن هذه القوات ، من عذو في ترك مواقعها بحجة كثافة القصف الجوي ! ؟

وقال المراسل : إن أحد الجنود الذين كانوا يحرسون الأسرى أبلغه « إننا أسرناهم في خندق ، كانوا ١٢ رجلاً وحاربوا كالأسود ، وقد قتلنا الستة الآخرين » .

— مراسل جريدة « جبروز اليم بوست » الحربى ، ذكر « أن المواقع الامامية في الجبهة السورية ، التي اخترقها إسرائيل ، كانت تحميها وحدات من الحرس القوي (١) ، بينما كانت وحدات الجيش تتمركز في المواقع الخلفية في منطقة أعلى من التلال » . وقال المراسل : « إن السوريين أبدوا مقاومة عنيفة ، وأنهم تخلوا بعد تصف عنيف من المدفعية والطائرات وهجوم بالمدرعات ذى ثلاثة رؤوس تساندها وحدات من المشاة آلية تتقدم من الجنوب » .

— الدكتور جورج طعمة مندوب سوريا في مجلس الأمن أعلن « إن معركة عنيفة تدور « في هذه اللحظة » بين القوات السورية و « القوات الخربة » القادمة من تل أبيب والتي تحاول الوصول إلى دمشق في أقرب وقت ممكن . . . » .

— أوثانت أبلغ مجلس الأمن أنه تلقى رسالة أخرى من الجنرال أودبول جاء فيها أن رئيس لجنة الهدنة السورية الإسرائيلية المشتركة قد أعلمه أن هجوماً جويًا على دمشق كان ولا يزال مستمرًا في الساعة ٢٣ ، ١٢ من ظهر اليوم بتوقيت دمشق .

— أوثانت أبلغ مجلس الأمن أن رئيس لجنة الهدنة السورية — الإسرائيلية المشتركة أكد في الساعة ١٣،٢٥ على حدوث هجوم جوى في الساعة ٩،٣٥ على منطقة مطار دمشق ، وهجوم آخر إلى الجنوب من دمشق الساعة ٥٥ ، ١٠ وهجوم ثالث إلى الشمال والشمال الشرقى من دمشق في الساعة ١٩ ، ١١ وأن كل الضربات كانت موجهة إلى خارج دمشق .

— في ساعة متأخرة من ليلة ١٠ — ١١ / ٦ / ١٩٧٦ ، عاد مجلس الأمن

(١) يقصد بذلك وحدات « الحرس الوطنى » المكلفة بالدفاع في منطقة الحيطه ، انظر فصل « الإعداد المسبق » .

للاجتماع ، وقد جاء في تقرير لأوثانت : « . . . إن فريق طليعة من المراقبين وصل مع ثلاثة ضباط ارتباط سورين إلى سمع الواقعة على بعد ٤٠ كيلو متراً من القنيطرة (١) وهناك علموا أن القوات الإسرائيلية احتلت البلدة » .

وجاء في التقرير ، نقلاً عن تقرير الجنرال أودبول « . . . إن مما يزيد في الصعوبات ، توغل القوات المسلحة لأحد الجانبين كثيراً في أراضي الجانب الآخر » .

وذكر أوثانت أن مراقبي الأمم المتحدة شاهدوا في الساعة ٤٧ ، ٧ من مساء اليوم ، بتوقيت دمشق ، (أى بعد ١٧ دقيقة من موعد وقف القتال) ، طائرات مجهولة الهوية ذات أجنحة على شكل دلتا تهجم دمشق .

(ج) بعد الحرب :

الأحد ١١ حزيران ١٩٦٧

— وزير الدفاع السوري أصدر بلاغاً جاء فيه : « . . . خلال المعارك القاسية التي جرت بين قواتنا الباسلة وقوات العدوان الاستعماري الثلاثي ، حاول العدو اختراق خطوط دفاعنا الأولى أكثر من مرة ، بكل ما يملك من أسلحة وطيران متفوق ، وكانت قواتنا تصد تلك الهجمات المتكررة وتقصف مواقع العدو منزلة بها الدمار » .

« . . . لقد قاتل جنودنا الأشاوس بضراوة نادرة ، وصمدوا أمام تفوق العدو الآلي وغارات طيرانه الكثيف المتلاحق دون انقطاع الذي تأكد بشكل قاطع أنه لدول العدوان الثلاثي وليس لإسرائيل فقط » .

(. . .) لقد دافع جنودنا الأشاوس عن كل قطعة من أرض الوطن ببسالة منذ بدأ العدوان ، ولكن القوى غير المتكافئة بيننا وبين العدو الثلاثي وخاصة الطيران الغزير (٢) ، مكن العدو من اختراق خط دفاعنا الأول في القطاع

(١) تبعد بلدة سمع عن دمشق مسافة ٣٦ كم على طريق دمشق - قنيطرة ، وتبعد عن القنيطرة ٣٠ كم فقط .

(٢) قارن بين هذا الكلام ، وبين تصريح اللواء حافظ أسد نفسه (وزير الدفاع) قبل الحرب ، المنشور في الصفحة ٩٥ من هذا الكتاب . والذي أدل به إلى جريدة الثورة السورية لبدرك نتائج التهويش والدجل .

الشمالى فى محاولة لتطويق قواتنا . ولقد قاومت قطعاننا هذه الخطة بوعى وأحبطتها ، ولم تمكن العدو من تنفيذ خطته . وقاتل جنودنا قوات العدو فى الثلاثى المتفوقة ببسالة لم يشهد لهما مثيل ، وهم يتركزون الآن فى خط الدفاع الثانى متحفزين لاستعادة كل شبر من أرض الوطن (١) .

— ناطق عسكرى إسرائيلى قال اليوم إن القوات الإسرائيلية قد استولت على منطقة واسعة من الأراضي السورية خلف الجبهة .

— مجلس الأمن الدولى عقد اجتماعاً ليلياً بناء على دعوة مستعجلة من سورية التى قالت إن القوات الإسرائيلية ما زالت تتقدم فى سورية .

— الدكتور جورج طعمة مندوب سورية قال : إن القوات الإسرائيلية تحركت إلى الشرق والجنوب من رافد (صوابها رفيد) وقال إن هدفها كان الاستيلاء على منابع اليرموك .

— نفت إسرائيل الشكوى وقالت إن تحركات الآليات تمت فى نطاق خطوط وقف إطلاق النار وليس وراءها (لقد حددت إسرائيل خط وقف القتال على هواها) .

— استمع المجلس إلى تقرير من الجنرال أودبول . جاء فيه « . . . إن دبابات إسرائيلية شوهدت تتحرك إلى الشرق ثم إلى الجنوب من قرية الجوخدار التى تقع إلى الجنوب الغربى من رافد (رفيد) . وقال الجنرال أودبول أيضاً : « . . . إن إسرائيل قد أسرت عدداً من ضباط الاتصال السوريين ، ولكنها قالت فيما بعد إن ستة من هؤلاء الأسرى قد أعيدوا إلى سورية » .

أندرو ويلسون المراسل الحربى لجريدة « الأوبزرفر » كتب يصف الحرب . فى مقال طويل جاء فيه : « . . . إن النصر الإسرائيلى كان النصر المخطط الأكثر دقة منذ اجتياح جنود هتلر لفرنسا عام ١٩٤٠ ، وقال

(١) وما دامت « قطعاننا » قد أحبطت محاولة العدو لتطويقها ولم تكن من تنفيذ خطته ، فلماذا تراجعت عن خط الدفاع الأول ، وكيف وصل العدو إلى القنيطرة ، ولماذا تراجعت « قطعاننا » الواعية الباسلة إلى خط الدفاع الثانى ، الذى يبعد عن القنيطرة ٤٠ - ٥٠ كيلومتراً أى الذى يقع على مشارف دمشق ؟؟ مطلوب جواب واضح من وزير الدفاع .

إن الإسرائيليين اعتمدوا في ذلك على أن القوات العربية ليست تحت قيادة موحدة ، وإن الأحداث أكدت صحة هذا الاعتقاد .

وقال : « . . . وعلى الجبهة الشمالية مع سورية ، تحققت نبوءة المخططين الإسرائيليين ، وكانت عمليات القوات السورية محدودة جداً ، فلم يقيم السوريون بأية عمليات جدية ، لمساعدة المصريين في الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه ، وانحصرت مساعدتهم في هجومات محلية على مستعمراتي حدود إسرائيليتين » .

الاثنين ١٢ حزيران ١٩٦٧

— جريدة « الثورة السورية » : « ... كان يمكن أن تكون نتائج المعركة أعظم بكثير لو توافر تنسيق أو سع للاستراتيجية العربية ورافق ذلك توزيع أدق للقوات » .

« ... كان من المفروض أن تعمل في الصحراء قوى خفيفة وسريعة الحركة مهمتها الضرب والانسحاب ، على أن يركز العمل الهجومي من الحدود الأردنية وتبقى المهمة الرئيسية في الصحراء وعلى الجبهة السورية هي الدفاع وإشغال العدو » .

« . . . إن الوطن العربي كله يجب أن يتحول إلى ثكنة مدربة بأقصى سرعة . . . » .

« . . . إن القتال الذي دار في القنيطرة بين القوات السورية المعززة بقوات الجيش الشعبي وبين القوات الإسرائيلية ، يفوق قتال ستالينجراد وبور سبيد (١) » . ووصفت ذلك القتال جريدتا البعث والثورة ، بأنه أشرف قتال عرفه التاريخ الحديث .

— إسرائيل منعت الدخول إلى منطقة المرتفعات السورية (الجولان) إلا بإذن خاص . وقال ناطق بلسان الجيش الإسرائيلي أن من يدخل المنطقة يعرض حياته للخطر لأنها زرعت بالألغام .

(١) حتى هنا ، التكذب والمزايدات ، فكان الله يعمون هذه الأمة على الدجالين ! .

الثلاثاء ١٣ حزيران ١٩٦٧

— جريدة الثورة السورية الناطقة بلسان الحكومة البعثية قالت :
« . . . إن أهم نصر حصل عليه العرب في حربهم مع إسرائيل ، هو تلك
الاندفاعية الثورية التي امتدت من المحيط إلى الخليج (١) » .

الأربعاء ١٤ حزيران ١٩٦٧

— الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة السورية ، أذاع بياناً
باسم القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم دعا فيه إلى :
« . . . استئصال الوجود السياسي والاقتصادي لبريطانيا والولايات المتحدة
والدول الأخرى التي ساندت إسرائيل في العالم العربي » . وجاء في البيان :
« . . . وقد استجابت سورية للقرار بعد وقف القتال في سيناء — يقصد قرار
وقف إطلاق النيران — نتيجة لذات الظروف القاسية » . وقال : « إنه
اتضح بما لا يقبل الشك أن الطيران الأمريكي والبريطاني دخل المعركة مع
الطيران الإسرائيلي ضد سورية » .

البريجادير صموئيل ايال ، رئيس دائرة أسرى الحرب في الجيش
الإسرائيلي ، قال : إن إسرائيل تأمل تبادل ٥٤٩٩ أسيراً عربياً مقابل ١٦
جندياً إسرائيلياً أسروا خلال الحرب الأخيرة .

وادعى أن في المعسكرات الإسرائيلية ٤٥٠٠ أسير مصري و ٤٨٧
أردني و ٣٣٣ سوري بالإضافة إلى ١٧٩ من الأسرى الجرحى الذي يعالجون
في المستشفيات الإسرائيلية . وادعى أيضاً أن بين الأسرى المصريين ٣٠٠
ضابط بينهم تسعة برتبة جنرال . أما عن الأسرى الإسرائيليين فقال إن تسعة
منهم في أيدي المصريين واثنين في كل من العراق وسورية والأردن واحداً
في لبنان .

الاثنين ١٩ حزيران ١٩٦٧

باتريك بروجان ، مراسل جريدة « التايمز » البريطانية زار مع مجموعة
من الإسرائيليين مرتفعات الجولان السورية التي احتلتها إسرائيل وقال :

(١) ألا يتجلبون من أنفسهم ؟ ! . . أبعد كل ما حصل ، يعلنون أنهم انتصروا على
إسرائيل ؟ ! .. انظر فصل « نقاش الإثبات » .

إن الإسرائيليين تغلبوا على خطوط الدفاع السورية التي تبدو غير قابلة للاختراق ، بالدوران حولها ، وأخذها من الخلف ، وقال إنهم استخدموا الطريق التي كان الجميع يظن أنه لا يمكن اجتيازها ، وهي الوادي الضيق الذي يمر شرقاً من مستعمرة دان^(١) الذي يمر فيه نهر بانياس وقال إن الوادي لم يكن محمياً سوى من قبل لواء واحد وقليل من المدفعية وقد اجتاحتها الإسرائيليون خلال الليل ثم استولوا على مواقع المدفعية على مهل .

السبت ٢٤ حزيران ١٩٦٧

محمد الزعبي وزير الإعلام السوري ، صرح في مؤتمر صحفي رفض سوريا للصالح مع إسرائيل ، وقال : «... إن سورية خسرت في المعركة ٢٠ ضابطاً و ١٢٥ جندياً . وقد جرح ٩٨ ضابطاً و ٥٠٠ جندي بالإضافة إلى ٣٠٠ من المدنيين والعسكريين أصيبوا بجروح من قنابل النابالم .

وأضاف أن حوالي ٤٥ ألف سوري نزحوا عن المنطقة المحتلة . أما عن الأسرى فقال إنه لا يمكن إحصاؤهم لأن إسرائيل ما زالت تعتقل المواطنين .. وقال إن الجيش السوري صمد ثلاثة أيام حين هاجمته إسرائيل ، إلى أن صدرت له الأوامر بالانسحاب حين رأت القيادة أن خطة إسرائيل كانت تطويق قطعات الجيش السوري^(٢) » . .

(١) إن هذا يؤكد رواية الضابط اللبناني ، ويؤكد ما ذكره من دخول القوات الرئيسية للدمر من هضبة المناوير بعد تمهيد طريق فيها بواسطة الطيران والمدفعية والجارات ويؤكد لنا كذلك أن اللغم الموجودة على الطرق لم تنسف لأنها لو نسفت لاستوقفت القوات الغازية رغم دخولها الأرض السورية من مكان غير متوقع ، لأن هذه القوات بعد اختراقها الحدود ، عادت وأخذت الطريق الرئيسية (بانواس - صعدة) لتتابع زحفها نحو صعدة ، ولو نسفت اللغم على هذا الطريق ، لوقعت الآليات المعادية في وادٍ ضيق ، هو « وادي العذارى » الذي يمتد من صعدة إلى بانياس موازياً الطريق المذكورة .

(٢) من المؤكد أن الوزير يكذب . . وأن أوامر الانسحاب لم تصدر بشكل شريف ونبل وبهاجتها العسكرية القتلى لتهرم وإنما هي دعوة إلى القرار أطلقها أول من أطلقها الضباط الباقون وتمهم بذلك الاحتياطيون فباقى وحدات الجيش . وإن الذين يعرفون الجولان ، ووضع القوات فيه ، وشطه قتاله ، يعرفون ما يدعيه حزب البعث وأجهزة إسرائيل من وجود إمكانية حدوث تعاون على نطاق واسع للقوات السورية في الجولان إلا إذا استطاعت القوات العدوثة

الجمعة ٣٠ حزيران ١٩٦٧

البريجادير جنرال مردخاي هود ، قائد سلاح الطيران الإسرائيلي ،
قال في حديث له عن أعمال الطيران الإسرائيلي ضد الطيران العربي :
« . . . إن ثلثي سلاح الطيران السوري دمر خلال ساعة واحدة . . . وعندئذ
انتقل الثلث الباقي إلى مطارات تقع خارج نطاق القتال » .

* * *

احتلال دمشق عبوراً من أراضي دولة مجاورة كالأردن أو لبنان ، وهذا لم يحدث ، ولكنها .
كلها ادعاءات كاذبة لتبرير الجريمة ، وخطية التخاذل المذل للمهين وإن ما يؤكد قولنا بأن
القوات لم تصمد ، ولم تقاتل ، بل فرت وتركت الأرض للعدو ينهاها ، هو هذا العدد الضخم
من الخسائر بالرجال ، لأن وضع الجبهة لن يتيح لعدو احتلالها إلا أن يتمكن من إبادة وتدمير
القسم الأعظم من القوات المدافعة فيها ، وهذا ما لم يحدث ، باعترااف المسئولين البعثيين والمسئولين
الإسرائيليين على السواء !

-٢-

لمحات متنوعة من صور الجريمة

١ - سبق أن أشرنا في فصل سابق إلى موضوع الملاجم ... ولقد ثبت لدينا أن الملاجم هذه لم تنسف ، ولو أنها نسفت لكان اليوم للجولان وضع آخر ... لأن نسفها كفيل بإيقاف العدو عن التقدم ساعات طويلة ... قد تكون وقتها كافية ليستعيد القادة المخلصون أنفاسهم - إن وجدوا - ، ويستجمعون قواهم ، ويتخلصون من عناصر الخيانة .. ويسيطرون هم على قوات الجبهة .. فيديرون من جديد ، قتالا صحيحاً ضارباً .. ربما كانت له آثار كبرى ، في إحباط الصفقة المعقودة بين إسرائيل وحزب البعث ... والتي بموجبها بيع الجولان للعدو .

٢ - بعد البطولات التي قام بها سدة الأسلحة المضادة للطائرات .. بدأت المأساة تمتد إليهم أيضاً ، فبدأت الذخيرة تصل إليهم مطلية بالشحم ، ولهذا أكبر الأثر في تأخير هذه الأسلحة عن تحقيق فعاليتها في الوقت المطلوب ... وذلك بسبب النقص الهائل في سدة مستودعات الذخيرة . بسبب إهمال كبير ارتكبه قسم من إدارة وحدات المدفعية هذه .. لأن واجب تنظيف الذخيرة من الشحم وإيصالها نظيفة صالحة إلى المدافع هو من مسئولية أجهزة الإدارة في هذه الوحدات .

٣ - في منطقة الجبهة ، وفي القطاع الأوسط بين كفر نفاخ ، والقنيطرة توجد مستودعات ضخمة جداً للذخيرة من العيارات والأنواع المختلفة .. محفورة في قل خنزير (المرتفع ٩٧٧) ... وهذه المستودعات مخصصة لتزويد وحدات القطاع الأوسط بكاملها وأية قطعات أخرى تاحق على القطاع .. باحتياجها من الذخيرة .

ولقد كان مشهد استلام الذخيرة من هذه المستودعات ، من أسوأ

حدود الإهمال والفوضى ... فلقد تزامم مندوبو الوحدات لاستلام احتياجاتها من الذخائر .. بينما لم يوجد في هذه المستودعات من المسؤولين عن التسليم سوى مساعدين (١) اثنين .. وهذا ما سبب تأخيراً في وصول الذخيرة إلى المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات .. كان له أثر كبير السوء في معنويات الوحدات ... وسرعة تدخلها ضد قوات العدو وطيرانه .

٤ - في ألوية الاحتياط ، التي حشدت للزج بها في المعركة ... والتي كلفت الهجوم على أحصن منطقة دفاعية في إسرائيل كلها ، « منطقة الجليل حتى صفد - الناصرة » . في هذه الألوية .. كان أكثر من ٩٠٪ من ضباط وحدات هذه الألوية ، من غير المدربين مطلقاً على المهمات التي أوكلت إليهم ..

فهناك ضباط احتياطيون لم يدربوا على أكثر من قيادة فصيلة مشاة ، عذبوا في وظائف رؤساء عمليات كتائب (٢) ، ورؤساء أقسام عمليات في

(١) المساعد : هي رتبة من الرتب العليا في صنف ضباط الصف . وتعادل في الجيوش العربية الأخرى رتبة الوكيل .

(٢) وظيفة رئيس عمليات كتيبة أو رئيس قسم عمليات اللواء ، يشغلها - حسب الملاك - ضابط برتبة عقيد . فإذا علمنا أن الضابط لا يصل إلى رتبة عقيد إلا بعد قضائه في الخدمة - على الأقل - عشرين عاماً ، ينحصر خلالها لسلسلة من الدورات والاختبارات تكاد لا تنتهي ، ويحضر الآلاف من التقارير والمناورات « بمنود وبغير جنود » ، ويخوض العدد المتيسر من المعارك - إن وجدت ... إلخ . ندرك أهمية هذه الوظيفة وخطورتها ، والمستوى المسلكي الراقى المطاوب توفره في من يكلف القيام بها .

وإذا علمنا أيضاً ، أن الاحتياطيين الذين كلفوا القيام بواجبات هذه الوظائف ، لم يقضوا في الخدمة العسكرية أكثر من ثلاث سنوات - متقطعة - على أبعد تقدير ، ولم يحضروا من الدورات أكثر من دورة قائد فصيلة ، أو دورة قائد سرية - في قليل جداً من الحالات .

إذا علمنا ذا وذاك ... ندرك أهمية الجريمة وخطورتها في تعيين أمثال هؤلاء الاحتياطيين لمثل هذه الوظائف ، وخاصة ، في فترة تكليف وحداتهم بواجبات قتالية خطيرة - هجوم على صفد ، أو دفاع عن الجولان - ، في الوقت الذي ترك فيه الضباط المتخصصون - والذين أنفق الجيش على تدريبهم مئات الملايين من الليرات ، اقتطعت من قوت الشعب ... ليعدهم لمثل هذه اساعة ، هائمين على وجوههم في الشوارع ، أو محاصرين في بيوتهم يتناقون أنباء الفاجعة بواسطة =

قيادات الألوية . وهناك ضباط كلفوا قيادة وحدات الهاون أو المدفعية مع أن تدريبهم في كلية ضباط الاحتياط ، كان على أعمال المشاة ، أو كان منهم من درب - منذ عشر أو خمس عشرة سنة ، على الهاون القديم - الإفرنسي - ثم جرى به ليقود قتال وحدات هاون أو مدفعية من النوع الروسي حديث الصنع . ومن الضباط من كلف قيادة وحدات المدفعية . م - ط ، وهم لا يعرفون عن هذا النوع من السلاح إلا اسمه فقط . ومن الضباط أيضاً من كلف قيادة سرايا أو فصائل مدفعية م - د ، بينما كان اختصاصه السابق هو الإشارة « أجهزة وطرق إقامة الاتصالات العسكرية » .

هذا غيض من فيض .. من الذي يمكن أن يقال عن سوء تعبئة الاحتياطيين حسب الاختصاصات ، وهذا مثال بسيط ، اتخذنا فيه الضباط نموذجاً لنشرح بواسطتهم تلك الجريمة البشعة ، وما يقال عن الضباط ، يقال أضعاف أضعافه عن ضباط الصف والجنود ... فصاربو الآلة الكاتبة عينوا رماة على مدافع الم - د أو الم - ط . والذين قضوا خدماتهم السابقة حجباً أو خداماً في بيوت الضباط ، عينوا مرضيين أو نقالي جرحى ، أو حتى سائقى شاحنات . والذين دربوا في خلال خدمتهم على الأسلحة الفنية والدقيقة والفعالة ، أعفوا هذه المرة من خدمة الاحتياط . وهكذا ... كانت الألوية الاحتياطية - كما شئت لها قيادة حزب البعث - عبارة عن حشد بشرى متلاطم متنافر ، جمعته الملابس ، وفرقة النعرات والعداوات وسوء التدريب ، وانعدام الاختصاصات ... فانفرط عقد تلك الكيانات - الصورية - عند أول تخليق قامت به طائرات العدو . وقصفت خلاله حممها على رؤوس هذه القوات .

٥ - لم تلجأ القيادة - رغم تهديد البلاد بالحرب - إلى إعلان التعبئة

= « الترانزيستور » . أو مشردين في أربعة أركان الأرض ، يبحثون عن لقمة العيش ، يأكلونها بشرق وعزة نفس ... لا لشيء ... سوى إنهم غير بعثيين ... وسوى إنهم ، لو تركوا على رأس وحداتهم ، يقاتلون العدو الغازي ... لأشبهوه بجراحاً وهزيمة ... تضيع عليه نشوة احتلال سيناء وضفة الأردن الغربية .

العامة ، وخاضت الحرب - المسرحية - بقوات هزيلة مهلهلة ... وباحتياط ضعيف غير مدرب وسىء التعبئة ، .. اعتمدت في تعبئته المقاييس الطائفية والطبقية . ووضعت هذه القوات في مقدمة الميدان ... بينما تركت الوحدات والعسكريين (الموثوقين) ، والمأمون جانبيهم ، في داخل البلاد ، لتبقى قوة ضاربة بيد الحزب ، يضرب بها أى تحرك قد يصدر من الشعب ، لإزاحته وتطهير الأرض من مفسده .:

ولو أجرينا مقارنة بسيطة في وقفة قصيرة ... بين الحزب الحاكم في سوريا ... وحكام إسرائيل ، لبدا لنا واضحاً .. البون الخفيف في مفهوم الغيرة على البلاد ، وإعطاء أمنها المحل الأول ... قبل مصلحة وأمن الحزب أو الحكام .

فعلى الرغم من العداوة المستعرة بين ليفي أشكول - رئيس وزراء إسرائيل تلك الأيام - ، وبين موشى دايان ... فلقد كلف هذا الأخير ، مهام وزارة الدفاع ، وأعطى الصلاحيات الكاملة لقيادة الحرب ضد العرب ، أى وضع موشى دايان - وقت الحاجة إليه - في موضعه الذى منه يستطيع أن يقدم أفضل خدمة لدولته وشعبه .

أما الحزب ... فقد أبعد - حتى أيام الحرب - أهل الاختصاص والخبرة ، وأصحاب المصلحة الحقيقية في الحفاظ على تراب البلاد وصون أمنها والفئة الأكثر استعداداً للبذل والفداء لحمايتها ... استبعدوا ، وشردوا ولو حقوا وسجنوا ، وحوكموا ، وصدرت بحقهم أحكام شتى ... كل ذلك .. لصون أمن الحزب ، وسلامة الحكام ... على حساب أمن البلاد ... وسلامة أرضها وأهلها .

٦ - وأسوأ من ذلك ... ورغم دعوة الاحتياط بالشكل السىء الذى شرحناه ... ورغم وضعه مشلولاً في مواجهة عدو مدرب خير تدريب ، وبذلك أحدث وأفتك الأسلحة ... رغم كل ذلك ، فقد كانت القيادة الحزبية الحاكمة ، تمارس أبشع صور عدم الثقة بهذا الشعب ، والخوف من أبنائه ، فلم توزع الأسلحة والذخائر على الألوية الاحتياط المكلفة بتنفيذ الهجوم على إسرائيل ... إلا قريباً من قواعد الانطلاق ... في منطقة

وادی حواء ، وسنابر ، والجمرك ... أى قريباً من العدو (١-٢) كم
وحين أصبحت تحت رحمة طيرانه وضمن مدى رماياته بالمدفعية - وحتى
الهاون - .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ... بل قامت قيادة الحزب « المناضل »
بتطويق هذه الألوية بواسطة كتائب الدبابات ، الجاهزة للتدخل ضدها
- لا ضد العدو - ، خوفاً من تحرك مفاجئ قد تقوم به هذه الألوية أو
جزء منها : « ضرب الثورة وإعادة حركة التاريخ إلى الوراء » (١) .
ولما حان وقت تسلم العدو للأرض التي باعه إياها الحزب الحاكم ...
عادت كتائب الدبابات هذه ... لتحمي « الثورة » وتركت ألوية الاحتياط
- فريسة سهلة - أمام العدو ، فكانت إحدى صور الكارثة .

٧ - وحتى أوامر الانسحاب (المزعومة) . . فلم تصدر بشكل رسمي
ولم تبلغ بصورتها العسكرية الصحيحة إلى الوحدات وإنما تم إبلاغها
بصورة هامسة إلى الضباط الحزبيين ، والقادة الكبار للتوجه إلى دمشق ،
وحضور اجتماعات حزبية ... الذين ما عتموا أن أداروا ظهورهم إلى
وحداتهم ، وولوا دبرهم للعدو ... واتخذوا وجهة الهروب إلى دمشق ..
ومنها إلى حمص ... لأن قيادة الحزب كانت قد عملت حسابها أن دمشق
ستسقط بيد العدو الإسرائيلي .

وأما الوحدات ... وخاصة الأمامية أو المعزولة ، أو المطوقة .. فلم
تبلغ شيئاً من أوامر الانسحاب هذه .. ومكث أكثرها في أماكنهم حتى
يوم الجمعة ٩ حزيران ... فوجدوا أنفسهم وقد أصبحوا معزولين عن
باقي الوحدات ... وأخذت أجهزة الهاتف تمارس البكم القاتل ... وشعر
الذين بقوا حتى ذاك التاريخ ... أنهم قد أصبحوا مثل بقايا قافلة ... تخلى
عنها قادتها وحادوها وأدلاؤها ... بعد أن تسللوا ليلاً إلى واحات مجاورة ...

(١) من الجمل المسخيفة التي تتردد كل يوم كثيراً من المرات على السنة وأقلام أجهزة
الأعلام البهئية . . : خلال حديثهم عن « المؤامرات » التي تحميها « الامبريالية والرجعية
وإسرائيل . . ! » :

وتركوها مشتتة في مواجهة الإعصار المحرق .. فابتدأ الهروب الكبير ...
بالشكل الذي شرحناه .

٨- والحديث عن الهجمات المعاكسة ... حديث ذو شجون . .
يجرح القلب ، ويشحن النفس بالآلام المزمنة ...
الهجوم المعاكس ... أو سلسلة الهجمات المعاكسة التي كان مقررآ
تنفيذها . لسد الخرق ، ورد العدو واستعادة السيطرة على الأرض ...
تلك السلسلة من الأعمال التي سبق أن قررت ودربت عليها الوحدات . .
سلسلة الهجمات المعاكسة تلك ... بقيت حليماً في مخيلة أمثال من الذين يشكل
الجيش والجلولان جزءاً عزيزاً من حياتهم ... وبقيت صوراً باهتة عن
فرضيات رسمها قادة سابقون ... ولكنها لم تنفذ على الأرض حقائق حية
تبرز حيوية هذا الشعب المعطلة ... وتشكل وفاء لدين كبير في عنق الجيش ..
يوئديه راضياً مختاراً ... إلى الشعب الذي وثق به وضحي من أجله بلقمة
العيش ، وخبز اليوم .

الهجمات المعاكسة ... تلك الأعمال القتالية التي تمثل أعنف صور
الإصرار على الاحتفاظ بالأرض ورد المهاجم إلى حيث جاء غازياً غريباً
لم ينفذ منها شيء ... وإليك يا أخى ... الخفايا الغريبة التي تتعلق بموضوعها .
إنك لو عدت معي إلى صفحات سابقة ... لوجدت أنني قد شرحت
أن من جملة ما تضمنته خطة عمليات الجهة والجيش ... سلسلة من الهجمات
المعاكسة ... تنفذها الوحدات ابتداء من سرايا النسق الثاني من كتائب
النسق الأول ، المحتلة للموضع الدفاعي الأول ... ومروراً باحتياطات الألوية
فاحتياطات قيادة الجهة .. وانتهاء باحتياطي الجيش ...
ولكن .. هل نفذ منها شيء ...

إن الحديث عن الهجمات المقررة على مستوى احتياطات كتائب النسق
الأول ، واحتياطات ألوية النسق الأول ، هو ضرب من ضروب العبث
وإضاعة للوقت دون أية فائدة ، فلقد بينا أن هذه القوات .. لم تقا تل مطلقاً ..
ولم تنفذ واجبها الأول في إجراء وإدارة القتال الدفاعي الثابت .. بله تنفيذ
ما سبق أن كلفت به .. من تنفيذ الهجمات المعاكسة ... التي هي مرحلة من

أكثر مراحل القتال تعرضاً للأخطار المختلفة ... وفي مقدمتها . الالتحام حتى بالسلح الأبيض .

مثل هذا القتال ، تنفذه وحدات مدربة ، ذات عقيدة تقاتل عنها ، وتحمل إصراراً عنيداً على طرد العدو ومنعه من السيطرة على الأرض . . وتدمير قواه .. وشل فعالياته .

إذن فالألوية لم تقاتل ، ولم تنفذ هجماتها المعاكسة المقررة . وأسوأ من ذلك قيادة الجبهة .

إن أسئلة ضخمة ... تتجمع الآن ، لتطلق في وجه الجرمين الذين كانوا يقودون الجبهة .

— ماذا فعلت بالقوات التي سبق لها أن سحبتها من مواضع القتال المتقدمة . بحجة إخلاء الأرض للألوية الهجوم « على صفد » .. ، لاحتلال قواعد انطلاقها ؟

— ماذا فعلت قيادة الجبهة .. هذه ، بالألوية التي ألحقت على الجبهة .. وفي مقدمتها لواء السويداء .. وكتائب الصواريخ .. وكتائب المدفعية الطويلة ١٢٢ - مم ، وكتائب الهندسة و .. و ... إلخ ؟؟

— بل ماذا فعلت تلك القيادة ... بالوحدات التي هي أصلاً من ملاكها مثل كتائب مدفعية الهاوتزر (١) « ١٢٢ » مم وكتائب المدفعية الطويلة « ١٢٢ مم » ذات المدى الأقصى الذي يبلغ (٢١) كيلو متر . . وكتائب الهاون ١٢٠ مم وكتيبة الهندسة . وسرية قاذفات اللهب ، وكتيبة المغاور ، و ... إلخ ؟؟

إني لأجد من العبث ... محاولة الاستمرار في هذه التساؤلات .. لأن الجواب واضح مسبقاً ... إذ كيف يمكن لقيادة أن تمارس سيطرتها على تلك القوات الضخمة ... في وقت تجد فيها كبار قادتها ... قد ولوا دبرهم للعدو .. وتركوا تلك الوحدات مشلولة عاجزة ؟

(١) مدفعية الهاوتزر : نوع من المدفعية ، قصير السيطانة . . . قصير المدى نسبياً ، يرمى نوعاً من الرمي هو أقرب إلى المنحنى . . . وهو يكون عادة من عبارات مختلفة . . . والموجود منه تحت تصرف قيادة الجبهة من عيار ١٢٢ مم ، ومداه الأقصى حوالي (١١) كيلو متر .

... ويبقى الحديث عن قيادة الجيش ، واحتياطي الجيش .
ولقد سبق أن بينت كذلك .. أن في خطة عمليات الجيش ... وفيما يتعلق
بالجولان .. هجمات معاكسة تنفذها مجموعة الألوية (٢٩) ، والتي تضم
الألوية (٧٤ المشاة المحمول ، و ١٨ المشاة ، و ٩٠ الاحتياط و ٧٠ المدرع
و ٣٨٧ المدفعية) (١) ، بمعاونة كتائب كثيرة من الهندسة ، والمدرعات ...
والمدفعية ، والإشارة ... وقاذفات اللهب .. وبمعاونة الطيران .
مثل هذا الهجوم المعاكس ... سبق أن دربت عليه الوحدات أكثر
من مرة .. ووضعت فرضياته في صلب خطة عمليات الجيش الخاصة بالجولان
وكان يجب تنفيذه .

ولكن ما الذى حدث ... ؟

لست أدري إن كانت القيادة قد حشدت قوات مجموعة الألوية المذكورة .
كلها أو قسماً منها ، أو أكثر ، واسكن الذى وصل إلى علمى يقيناً ... أن
اللواء السبعين المدرع (٢) ، كان قد حشد لهذه الغاية وتمركز في حرش
بريقة - بير عجم قرب القنيطرة . في وضع الترقب لأداء واجباته .
وقبيل الاختراق الإسرائيلي للجيبة ، الذى تم ظهر الجمعة ٩ حزيران ...
وفي صباح يوم الجمعة المذكور نفسه أصدر (اللواء) أحمد سويدان ..
أمره إلى شعبة العمليات بوجوب تحريك اللواء السبعين وكتائب المدفعية
والصواريخ لتنفيذ الهجوم المعاكس باتجاه (قنيطرة - واسط - القلعة)
ولكن رئيس شعبة العمليات .. اللواء عواد باغ ، عارض الأمر ، وفند
خطأه ، وأوضح للسويدانى إن تحريك اللواء في وضع النهار ، وفي أحوال
انعدام الحماية الجوية الصديقة لتحركه .. وتحت سيطرة العدو الجوية التامة
المطلقة .. على سماء الحرب .. أن تحريك هذا اللواء (وأية وحدات أخرى)
نهاراً ، وبصورة مكشوفة .. يشكل جريمة كبرى ، يكون من نتائجها إحراق
وتدمير هذه الوحدات تدميراً تاماً ...

(١) التسميات التي أوردتها ، هي منذ عام ١٩٦٠ ، وقد غيرتها القيادة عقب مؤامرة
٨ آذار ، ولكن الوحدات ظلت على حالها .

(٢) وهو مزود بدبابات (ت ٥٤) الروسية التشيكوسلوفاكية . . وهي من أجود
الدبابات وأحدثها ، وأقواها وتتفوق بكثير من المميزات على الدبابات الإسرائيلية (ستورزيون ،
وبانفون) الإنكليزية والأمريكية الصنع .

فراجع السويدانى عن أمره .. وأخذ عواد باغ على عاتقه تنفيذ الهجوم
المعاكس فى أحوال قتالية أفضل ، ولذا ... فقد أصدر أمره إلى قائد اللواء
السبعين ... (العقيد عزت جديد) وقادة كتائب المدفعية والصواريخ
بوجوب التحرك ليلة ٩ - ١٠ حزيران باتجاه (قنيطرة - واسط - القلع)
لتنفيذ الهجوم المعاكس وطرد العدو المتقدم داخل أرض الجبهة .

إلا أن العقيد المذكور ... رفض تنفيذ هذا الأمر بحجة أنه ليس له أن
يتحرك بدون حماية جوية .. عندها ناقشه اللواء عواد باغ بأبسط الأسس القتالية
الفنية ... وأفهمه أنه جاهل بأبسط قواعد واجبه ... وبين له أن تحركه
ليلاً لا يشكل عليه أى خطر ... حتى إذا ما أتم احتلال خط الانتشار المقرر
لإجراء الهجوم المعاكس (كل ذلك ليلاً) ... وأصبح قريباً من وحدات
العدو .. فإنه ... حين ينبجج الصبح ، يستطيع تنفيذ الهجوم المعاكس ،
والالتحام مع العدو ثم مطار دته ... وبذلك يكون قد أصبح فى وضع يحميه
من ضرب طيران العدو ... لأن هذا الأخير لا يجروء على الضرب ، لصعوبة
تمييزه بين وحدات كل من الطرفين ، ولارتفاع نسبة احتمال إصابته لوحداته
ارتفاعاً كبيراً .

... ولكن صوت العلم والحق والإخلاص الذى علا . . أخذته رياح
التأمر والإجرام ... فلجأ العقيد المذكور إلى الاحتماء بوضعه الحزنى ...
والتطاول على أفضل شخصية عسكرية بقيت فى الجيش حتى اليوم ...
واتصل مع كل من صلاح جديد ، وحافظ الأسد ، وأعلمهما بما تم بينه
وبين عواد باغ ... وأبلغهما مخاوفه من أن يحاول هذا الأخير إحالته أمام
القضاء العسكرى ... فطمأناه .. وبددا مخاوفه وضاعت الجريمة فى زحمة
الجرائم ، التى تلاحقت بصورة تحبس الأنفاس .
ثم ماذا فعل اللواء السبعون ؟

تحرك فى الليل نفسه ... ولكن ليس فى الاتجاه (قنيطرة - واسط)
بل فى الاتجاه (قنيطرة - دمشق) ، وذلك لإنقاذ دباباته من التدمير بواسطة
الطيران ... لأن هذا اللواء ، هو الوحيد الذى بقى فى يد الحزب ، أداة فعالة
لإزهاق نفوس الأحرار من أبناء الشعب ، ووصل إلى دمشق فى الليل نفسه . .

وانتشر في بساتين الغوطة وحداثتها .. يخرب المزارع ويدمر المحاصيل كل ذلك من أجل « حماية الثورة » .

وأما كتائب المدفعية الصاروخية ... فقد دمرت ، وفر سديتها بعد القادة ... وفقد الجيش أحد الأسلحة الفعالة ، التي كانت إلى ما قبل لحظة تدميرها من خيرة الاحتياطات ... بيد القيادة العامة . تتدخل بها في أي اتجاه مهدد .

٩ - والاستطلاع .. ، ذلك الفرع الهام من فروع العمل القتالي - والذي تتوقف على درجة إتقان عناصره لواجباتهم ... وعلى دقة المعلومات التي يقدمها .. نتائج المعارك ، وبالتالي نتائج الحروب .

وعند الحديث عن الاستطلاع ... نجد أنفسنا مضطرين للعودة إلى الوراء .. عدة سنوات .. لنكشف للقارئ ، جانباً آخر من جوانب الجريمة التي ارتكبتها حزب البعث ، منذ قيام حركتهم التي أسميت - ٨ آذار . فنذ قيام حركة آذار المذكورة ، عين في وظيفة رئيس قسم الاستطلاع لقيادة الجبهة ، ضابط احتياطي برتبة ملازم أول (١) اسمه نشأت حبش . ونشأت حبش هذا ... شاب (بعثي) ، من قرية جبائنا الخشب ، وشقيق السيد مروان حبش ، عضو القيادة القطرية الحاكمة في سوريا .

والاختصاص الأساسي لنشأت الحبش هذا ... معلم مدرسة ابتدائية .. ثم اتبع دورة كلية ضباط الاحتياط التي تؤهله لقيادة فصيلة مشاة .. وسرح بعد انتهاء خدمته العسكرية .. ثم رفع إلى رتبة ملازم أول احتياط .. واستدعي عقب الثامن من آذار ، وسلم وظيفة رئيس قسم استطلاع الجبهة ، واستمر في هذا العمل كل تلك المدة .. حتى يوم تسليم الجبهة في - ١٠ حزيران - ٦٧ . وبعد هذا الاستطراد الذي كان لابد منه .. نعود إلى عمل الاستطلاع خلال أيام الحرب ...

(١) ملاك هذا المنصب مقدم أو عقيد ، ويجب أن يكون متبهماً - على الأقل - لسلسلة من الدورات التأهيلية ، تشمل فيما تشمله دورات : (الصاعقة ، الطابوграфия ، قراءة الدور الجوية ، قائد كتيبة استطلاع أو مشاة ، رئيس قسم استطلاع على مستوى جيش ، وهذه لا يمكن له أن يتبعها إلا بعد انتهاء سلسلة من الدورات لوظيفة رئيس قسم استطلاع على مستوى لواء ، فوج أو ألوية .. ثم الجيش ، ودورة لغة عبرية ... إلخ) .

فأما بالنسبة لأقسام استطلاع الأولوية ... فلم يظهر لها مطلق أثر ...
وضاع ضباطها وعناصرها في زحمة الفوضى والهرب والانسحابات السكيفية
التي وقعت ...

أما ما سبق أن قرر ، من خطط استطلاع ، وردت في خطط عمليات
الألوية (القطاعات) ... فهذا حديث أحلام ... ، ورؤساء الاستطلاع
المسؤولون ، لم يكونوا يدرون عنها شيئاً ... لأن خطط الاستطلاع هذه
كانت قد حفظت في مصنفات الوثائق التي خلفها عهدا « الوحدة »
والانفصال ... ، بينما في عهد الثامن من آذار ، لم يعد من ضرورة متابعة
خطط الاستطلاع ، وتحقيقها . وتدريب الوحدات عليها ...

إن ذلك قد أصبح من آثار العقلية (الرجعية) السابقة . أما أهل الثامن
من آذار ... فقد ارتفعوا فوق ذاك المستوى ... إلى مستوى كوهين ...
وشركائه الذين كشفوا والذين لم يكشفوا بعد .

وأما الاستطلاع في الأولوية الاحتياط . التي كلفت الهجوم ... ثم
الدفاع ... فلست أدري إن كان قد عين في قياداتها ضباط استطلاع ...
ليقوموا بهذا الواجب أم لا ... وأغلب الظن أنه لم يعين لها أحد لهذه الوظائف
وإن كان قد عين لها أحد ، فهل يمكن أن يكون خيراً ، من نشأت حبش
الذي عين رئيساً لاستطلاع أخطر وأكبر مجموعة قوات ، تحمل أخطر
وأكبر عبء في البلاد؟؟

وأما سرايا استطلاع الأولوية ... فلم يك وضعها خيراً من وضع باقي
القوات ، سوى أنها كانت مزودة بناقلات للجنود مدرعة (ب . ت . ر) ،
وكانت هذه الآليات صالحة لنقل سرايا الاستطلاع هذه إلى مناطق أمانة
خارج حدود أرض القتال ... ففرت مع الفارين ، وليكن الطيران المعادي
أدركها .. ودمر الآليات .. وأكمل الفارون زحفهم على الأقدام ..

واستطلاع قيادة الجبهة .. كان مشلولاً عاجزاً .. قدم سلسلة من التقارير
المشوّهة الضعيفة في مستوى صحة معلوماتها .. وكان أبرز التقارير التي رفعها
إلى القيادة .. تقرير كان تاريخه الجمعة ٩ حزيران ويفيد بأن العدو قد حشد

في مواجهة القطاع الشمالى حوالى ٦٠ دبابة (١) (لنا عودة لهذا الموضوع في صفحات قادمة) .

أما المعلومات عن : (نوايا العدو - قطاع الخرق المحتمل - الاتجاه الرئيسى المحتمل للهجوم - كثافة (٢) قوات العدو - مناطق تجمعه .. قاعدة انطلاقه .. إلخ) ، هذه المعلومات التفصيلية الدقيقة ، التى هى من صميم عمل وحدات الاستطلاع ، الحصول عليها وتقديمها إلى القائد فى الوقت المناسب .. فلقد كانت أشياء يجهلها « الجيش » ذاك .. ولا غرو .. فهو لم يسمع بها كل حياته ، فمن أين له أن يناقشها ويحصل عليها ثم يقدمها للقائد ؟

وحتى بعد إجراء القتال .. وحين بدأت قوات العدو تدخل أرضنا الطاهرة .. كان من أكبر الواجبات المستمرة على الاستطلاع ، أن يحدد بصورة دائمة للقائد ، خطوط التماس مع العدو .. وأعماله المستمرة ، ثم الكشف عن نواياه للمراحل القادمة من القتال ..

ولقد كانت القيادة العامة فى دمشق .. جاهلة كل الجهل ، كل ما يفيدها عن خطوط التماس مع العدو ، وعن أعماله وكانت - وكأنها قيادة جيش آخر يقع فى الصين مثلاً - تجهل كل شئ .. عن الوضع القتالى القائم فى الجبهة .. رغم تحرك بعض القادة إلى مراصدهم المتقدمة .. ولكن ذلك لم يفد شيئاً ، وبقيت قيادة الجيش فى دمشق تسمع أخبار تحركات العدو ،

(١) ستون دبابة (حسب تشكيلات العدو القتالية) هى جمهرة مدرعة نواياها ما يقارب ١/٢ ١ كتيبة .

(٢) تحسب الكثافة على أساس تقييم عدد القوات على عدد الكيلومترات التى هى جبهة قتال الوحدة . فمثلاً . . يقال فى تقرير رئيس قسم استطلاع لواء المشاة فى الدفاع ، والذى تبلغ جبهة دفاعه اعميادياً حتى ٣ كم ، يقال إن كثافة قوات العدو هى على الشكل التالى : (كذا) سرية مشاة لكل ١ كم . (كذا) دبابة (كذا) مدفع .. (كذا) مدفع م - د . . إلخ) . وعلى أساس هذه الحسابات يقوم القائد بتقدير موقفه واتخاذ قراره للقتال ، وإجراء التعديلات حتى يحقق في مواجهة مهمته القتالية ، كثافة مناسبة تمكنه من قيادة قتال ناجح .

من الإذاعة السورية (١).. كل ذلك بفضل ضباط الاستطلاع (النموذجيين)
أمثال : نشأت حبش في القنيطرة وسهيل الحسن في دمشق .

١٠ - ولو عدت معي يا أخي إلى صفحات سابقة ، لوجدت أنني
كنت ذكرت أن من حملة ما تضمنته خطة العمليات ، وضمن نطاق خطة
الدفاع م - د . هو عمل قاذفات اللهب الثقيلة ، ومفارز السدود المتحركة .
فماذا جرى يا ترى ...

قاذفات اللهب الثقيلة ، تركت في أرضها ، واستلمها العدو جاهزة
ليحولها إلى صدر أبنائنا ، ولم توجد الأيدي التي كانت لديها القدرة على
ضغط زنادها ، لتقذف حمم النيران « النابالم » فتحرق وتدمر دبابات العدو ..
وخاصة في القطاعين الأوسط والجنوبي .

وأما مفارز السدود المتحركة (انظر شرحها في فصل الإعداد المسبق)
فلم تعمل أبداً ... وتركت الآليات (ب . ت . ر) في أماكنها ملأى بالألغام
الجاهزة ، وهرب السائقون ، وكان نصيب الآليات أن دمرت بطيران
العدو .. أو بقيت سليمة حتى جاءت مفارز جمع الغنائم الإسرائيلية ، وأخذتها
في جملة ما غنمت من أسلاب .. - تركها جيشنا « المظفر » .

١١ - أما الوثائق ... فباحسرتنا على الجهود والأموال التي بذلت -
مدة العشرين عاماً قبل النكبة - لتجهيزها وتحضيرها .. وضبط أفضل
السبل لصيانة أمن القوات والأرض .. بواسطتها .

الوثائق ... التي كنا نعتبر أن كل حرف تضمنته ، - مهما بلغ من
تفاهته وقلة شأنه - سر من أشد الأسرار احتياجاً للحفظ .. نعتبر أن محتوياتها
يجب أن تكون خفية حتى على أفراد جيشنا ، إلا المسؤولين عن تنفيذ ما نصت
عليه . وفي حدود حاجتهم للتنفيذ فقط ...

(١) بهد أن اعتماد حزب البعث سيطرته على الأوضاع في سوريا ، عقب الحرب .. وفي
أحد الاجتماعات الحزبية التي عقدت في دمشق ، سئل (اللواء) أحمد سويداني عن معلوماته حول
ملايسات إذاعة بلاغ سقوط القنيطرة ، فكان جوابه : « أنا كسهول ، لم أستشر في البلاغ الذي
أعلن سقوط القنيطرة ... وكواطن سمعته من الإذاعة كغيري » .

الوثائق ... التي تركز عليها حتى المؤسسات غير العسكرية .. وتحفيها
وتتكتم عليها بصيانتها إلى أشد موظفيها أمانة وقدرة على السكمان ..

الوثائق ... التي هي من أخطر الأسلحة التي يمكن أن تقع بيد جيش
محارب . يستعمله ضد عدوه في ميادين القتال ... ومجالات الحرب النفسية
والسياسية ...

الوثائق .. ويكنى اسمها .. ويكنى أن نعرف أنها تضمنت فيما تضمنته ،
خطط العمليات لكل من القيادة العامة . وقيادة الجبهة . والألوية وباقي
الوحدات ..

الوثائق .. التي حوت كل شيء عن الجبهة .. منذ تأسيسها وحتى يوم
النكبة ..

الوثائق التي تعاقب القادة المختلفون على انتمائها كل شيء عن الجبهة ..
(حياتها - تدريبها - تسليحها - تحصينها - خطة قتالها - خطة أمنها -
مشاكلها اليومية والدائمة ..) وكل ما يمكن أن يخطر ببال إنسان عن حياة
جيش عاش فيها عشرين عاماً يستعد ليوم حرب مثل يوم العار الذي وقع في
حزيران ...

الوثائق ... التي نصت الأوامر أن على كل مسئول لديه وثائق - مهما
كان نوعها وحجمها - أن يقتنى إلى جانبها زجاجة مليئة بالبزير مع واسطة
إشعال (كبريت أو قداحة جاهزة) لإتلافها عند الخطر .

الوثائق .. التي كتب على كل مكان احتوته .. وبالخط العريض المحاط
باللون الأحمر . لإبرازه لكل عين : « يتلف عند تهديد المقر » .

هذه الوثائق .. التي تعادل حياة الجيش كله .. ماذا جرى بها ؟

(أ) إن الذي تأكد لدينا حتى كتابة هذه الصفحات .. أن مسئولاً ما
من مستوى قيادات الكتائب فما فوق لم يفكر مطلقاً بإتلاف شيء منها ..
وتركت في أرضها ، غنيمة رائعة للعدو .. يستفيد منها أكثر مما أفادته أجهزة
الجناسوسية التابعة له بمئات المرات .

ويمكننا أن نقول ... أن بعض القادة ، حاول أن يحمل معه شيئاً من
الوثائق الهامة .. التي اعتقد أن وقوعها بيد العدو يشكل خطراً أكبر من
وقوع سواها ... ولكن مثل هذا النوع من القادة ، قليل جداً .. وكان

حملة من هذه الوثائق لا يكاد يذكر نظراً لضخامة التصنيف المتراكم في مراكز القيادات المختلفة (١).

(ب) وأما كثيرون من القادة الصغار .. وخاصة (ضباط الصف القدامى في الخدمة) ، وفي المستويات العسكرية الصغرى (المتقدمة) .. فلقد تمكن أكثرهم من إتلاف الوثائق التي في حيازته .. وخاصة في القطاعين الأوسط والجنوبي .. وقطاع القنيطرة .. ولكن هذا الذي أتلّف لا يشكل أكثر من أذن الجمل ، بالنسبة لأكوام الوثائق (بمختلف درجاتها ومستوياتها وتنوع موضوعاتها ..) ، التي تركت في الجولان ، في حملة ما ترك فيه للعدو ، من سلاح وعتاد وذخائر وموئل و ... أرض هي أعز وأكرم من كل ما ضاع .

(ج) وأن الذي أكد لنا صحة هذه المعلومات .. هو ما وصل إلى علمنا من أناس كانت لهم صلة بالأسرى الذين عادوا من إسرائيل بعد الحرب .. فلقد أفاد هؤلاء الأسرى أن السلطات الإسرائيلية ، عرضت عليهم أكديساً من الوثائق ، التي كانت تعتبر من أشد الأسرار دقة وأهمية .. وكان الإسرائيليون يقولون لهم في كل مرة . « هذه هي وثائقكم .. هذه هي خرائطكم .. هذه كانت نوايا قياداتكم المتعاقبة .. ها هي أمامنا .. موجودة في الوثائق والخرائط .. انظروا .. فنحن لسنا بحاجة إلى معلومات عنكم وعن جيشكم .. إننا نريد المعلومات عن الفدائيين .. والخبراء الروس فقط » .

(د) وهناك أمر آخر .. يؤكد صحة ما نروي .. وهو أكديس المقالات والتصريحات و « صور الخرائط والوثائق » التي ينشرها العدو في كتب متعاقبة وصحف ومجلات كثيرة ، توزع بأكثر لغات العالم الحية ، وتوزع في كل من أمريكا وأوروبا ودول المعسكر الشيوعي وعديد من بلدان آسيا (غير المسلمة) وعديد من بلدان أفريقيا ...

هذه المقالات .. والكتب والتصريحات .. التي حظرت إدخالها إلى البلدان

(١) وهذا تبرز إحدى نقاط الضعف في نظام التصنيف السابق . ولقد سبق لي أن أصدرت أوامر إلى وحدات القطاع الأوسط غايتها تعديل ذلك النظام والتخفيف من عبء الوثائق المتراكمة تحسباً لساعة كهذه الساعة . وسيرد شرح مفصل لهذا الموضوع في كتابنا القادم إن شاء الله .

العربية . . تؤكد بوضوح أن العدو قد حصل على أكداس من الوثائق التي كانت في الجولان . . تشرح كل شيء عن وضع الجيش ونواياه طيلة العشرين عاماً التي سبقت النكبة .
وفي المناسبة هذه .. لا بد لي من استطراد بسيط ، أرجو أن يحقق ما أرجوه .

... إن حقائق الحرب (المسرحية) ، خفية عن أبناء هذه الأمة ..
بتأثير أجهزة خفية : منشرة هنا وهناك من هذا الوطن .

ولذا فلنني أوجه نداء إلى المخلصين القادرين (أفراداً أو مؤسسات) أن يقوموا بتتبع هذه الأمور التي ينشرها العدو في العالم .. وجمعها ودراستها ومقارنتها وإطلاع أهل الإطلاع والخبرة عليها ، ليصار إلى تمييز الحق منها ، وإزهاق الباطل الكثير فيها .. ثم عرض تلك الحقائق على الأمة العربية والشعوب الإسلامية .. ضوئاً لها من الضياع .. والوقوع في شرك الدعايات الصهيونية وشركائها وأجرائها .. المضللة .

١٢ - وأما المقاومة الشعبية . . ذلك الرديف الأكبر ، والمعين الأوفر الذي كان يجب أن يمد المقاومة الضارية بموج يتبعه موج من أعمال الضرب والكر والفر والهجوم والدفاع ، حتى يعود الغازي إلى جحوره .. وتظهر الأرض .

المقاومة الشعبية .. التي كثيراً ما تبجحنا في سنين مضت ، كلاماً عن دورها ، وأهميتها .. والإنجازات التي حققناها لها .. (من تسليح ، وتدريب وتهذيب ثقافي .. ورفع في مستوى الحياة الاجتماعية .. وتوعية وطنية صادقة وإقناع بوجوب البقاء في الأرض ، والدفاع عنها بإصرار وعناد .. إلخ من تلك الجمل البراقة التي مزقت أجهزة الإعلام بها أسماعنا .. . تطيلاً وتزويراً لصالح عهود الحكم الاستبدادي المتعاقبة ..)

المقاومة الشعبية التي ظن الناس - قبل النكبة - لكثرة ما سمعوا عن الاهتمام بها .. أنها ستكون خيراً من مقاومات الشعب الفيتنامي ، أو خيراً من دفاع أهالي ستالينغراد .

المقاومة الشعبية تلك .. ماذا حل بها ؟

ماذا أصابها حتى انقلبت فجأة ، وبين عشية وضحاها .. من (جيش

شعبي (١) قادر على حماية الثورة ، ومستوعب لكل (الإطارات الثورية (٢) المناضلة) ، وقادر على تحقيق (صور من البطولة تعجز عنها جيوش الارتاق (٣) .. إلى مجموعات من (النازحين (٤)) .. تشردت في بقاع الله الواسعة . تفتش عن مصادر للرزق الذي يقيم الأود ، أو تقف صفوفاً يومية أو أسبوعية حتى ينالها ما خصص لها من تافه الزاد وضئيل المعونات ؟ .. إننا سبق أن نوهنا عن نقاط الضعف والقوة التي تكمن في بنيان المقاومة الشعبية هذه .. وعن صور الاهتمام والإهمال التي أدركت شعب تلك المنطقة .. ولذا .. فلم يكن غريباً علينا ، أن نسمع أنباء نزوح السكان وتخليهم عن واجب حماية الأرض ، بعد أن تخلى عنه الجيش .. وتركهم وحدهم في مواجهة العدو المتفوق عليهم في كل شيء ..

ولكن .. لابد من توضيح جديد ، لأحد وجوه الجريمة المحبوكة أدق حبك .. والتي نفذها حزب البعث الحاكم في سوريا .. منذ صباح الثامن من آذار ١٩٦٣ .

(أ) الشيء الخطير في هذا الموضوع .. هو أن القيادة ، قامت بتجريد رجال المقاومة الشعبية من أسلحتهم ، وسحب كل ما كان بحوزة السكان من سلاح وذخائر .. وخاصة الأسلحة المتوسطة ، كالرشاشات والهاونات المتوسطة الم - د ، ، وبقي العتاد الخاص بالحرب ، وترك في أيدي مجموعات قليلة منهم ، أعداداً من البنادق ، وكميات محدودة من الذخيرة ، للتضليل ، وذر الرماد في العيون .

(ب) وهناك شيء آخر ، يتعلق بالمقاومة الشعبية ودورها الذي كان يجب أن تؤديه .. ولا يقل خطورة وأهمية عن الأمر السابق .. وهو أن قيادة حزب البعث العربي (العنصرية الطائفية) .. كانت قد صنفت سكان تلك المنطقة (وكذا سكان سوريا كلها) ، إلى مواطنين من فئات متعددة . وذلك حسب الترتيب التالي :

(١) إحدى التسميات التي أطلقها حزب البعث على التنظيمات المدنية المسلحة التابعة للحزب .

(٢) (٣) بعد (الاستعمار) من صناعات تلك الصنغ الكلاعية ، من فلاسفة « الثوريين » .

(٤) «كذلك أسموهم .. وهم والله قد أصبحوا لاجئين منكوبين» .

— السكان من أصل عربي ، مواطنين من الفئة الأولى .
— السكان من أصل غير عربي (كردى ، أو شركسى ، أو تركمانى
أو تركى ..) مواطنين من الفئة الثانية .
وكان هذا التصنيف ، من أكبر الأسباب التى هدمت بناء المجتمع ..
وهيأت البلاد لتقبل الهزيمة ..

١٣ — ومن الأمور الخزية التى كان لها دور كبير فى تمزيق كرامة الجيش
هو الدور السىء الذى كان لسلح الإشارة .

فلقد صرح لى أحد القادة الذين كان لهم مكان فى الحرب ، أن أجهزة
الإشارة كانت أيام الحرب غير صالحة للعمل بنسبة لا تقل عن (٦٠ — ٧٠ ٪)
وذلك لأسباب فنية متعددة (١) أهمها إهمال الصيانة الدائمة للأجهزة وضعف
المستوى التدريبى لسدنة الأجهزة ، وتعيين كثيرين من الاحتياطيين ،
سدنة الأجهزة لم يروها كل حياتهم ، وقد نتج عن ذلك أمور خطيرة نجمها
بما يلى :

(أ) فقد القادة سيطرتهم على وحداتهم بسبب فقدان الاتصالات .
(ب) فقد الاتصال بين الوحدات المتجاورة ، وكان من أهم نتائج
ذلك ، فقدان التعاون بين وحدات القتال .
(ج) استطاعت شبكات العدو الدخول على شبكات القوات السورية ،
وبذلك تمكنت من تحديد مواقع القوات والقيادات ، ثم .. تدميرها ،
وكذلك استطاعت هذه الشبكات المعادية إيقاع الفوضى والبلبلة فى صفوف
القوات ، وإعطاء القادة صوراً زائفة عن الوضع ، مما سبب لهم عجزاً
مطلقاً عن اتخاذ أية قرارات فعالة .

١٤ — الشؤون الإدارية : كانت فى أسوأ حال ، وكان لها كبير الأثر

(١) لست أدري إن كان ذلك متعمداً منذ ما قبل الحرب بمدة كافية لتعطل الأجهزة ،
أو بسبب انشغال الجيش كله فى أمور السياسة والحكم ، وإهماله لواجباته خلال حياته اليومية .
وسواء أكان ذاك أم ذلك .. فإن الجريمة وقعت .. وفى ظل ، وتحت رعاية .. بل وبتنفيذ دقيق
قام به حزب البعث .

ويذكرنا هذا بموقف مشابه لأجهزة الإشارة ، كان لها قبيل معركة تل النيرب عام ١٩٦٢ ،
وسنشرح ذلك مفصلاً فى كتاب قادم إن شاء الله .

في تدمير معنويات الوحدات ، وشل فعاليتها ، وفيما يلي نماذج من ذلك الإهمال المدمر :

— تركت القوات كلها بدون طعام مدة أربعة أيام متواصلة . ولنا عودة لموضوع الطعام خلال المناقشة .

— الماء كان مفقوداً خلال تلك المدة ، والتزويد به بواسطة الآليات أو أية واسطة أخرى معدوماً ، وشرب الجنود من كثير من برك الماء الآسنة .

— أكثر العربات توقفت على الطرقات لفقدان الوقود ، فجاء الطيران ودمرها وهي واقفة في العراء ، أهدافاً ثابتة .

— المواد الطبية .. كان حلماء من الأحلام أن يشم رائحتها أحد من الجنود ، وخاصة في الأنساق الأولى ، القريبة من حدود التماس مع العدو . — وأما الذخيرة — وخاصة ذخيرة المدفعية م — ط — فلقد سبق أن أشرنا إلى انقطاعها أكثر من مرة عن الأسلحة ، وقد اضطرت كثير من بطاريات المدفعية م — ط لنقل ذخيرتها على ظهر الدواب ، التي استوفجرت من القرى لهذه الغاية بعد تدمير الآليات أو تعطيلها ..

— سيارات الإسعاف ، دمرت بواسطة الطيران المعادي .. وكان الإخلاء (١) مفقوداً .. فتركت على الطرق وعلى جوانبها الآليات والدبابات والأسلحة (المعطلة أو المدمرة ، وحتى السليمة التي لم تصب بأذى) ، وإلى جانب ذلك ، ترك الجريح ، والقنبل والميتور ، والمحروق ، والذي سقط إعياء أو رعباً .. ذلك كله كان يغطي أرض الجولان — وخاصة قريباً من الطرق أو عليها — ، وأكثر الطرق التي ازدحمت بذلك الحطام هي الطرق المؤدية إلى دمشق أو درعا أو أربد أو الأرض اللبنانية .

حدث ذلك كله في الوقت الذي كانت فيه مستودعات التموين الحشونة

(١) الإخلاء : تمييز يدل على مجموعة من الأعمال تقوم بها عناصر أو وحدات خاصة ، تهدف في مجموعها إلى سحب جميع أنواع الإصابات (في الأفراد ، والعتاد ، والسلاح ، والآليات) وذلك لدفع (الموق) أو لمعالجة (الجرحى) ، أو الإصلاح (السلاح والعتاد والآليات) ، أو رفع الحطام من طريق القوات حتى لا يضعف من قدرتها الحركية ، ولا يسبب انهباءً في منوياتها .

وخاصة في جببات الخشب والحميدية ، قد غصت بأنواع المأوؤنة المختلفة ،
ولكنها تركت للعدو ربحاً وفيراً .. دون أن تستفيد منه القوات ، فتقوم بواجبها
خير قيام .

١٥ - ولقد بلغ من سوء حال القوات في تلك الأيام العصبية وجهلها
بالأرض التي تتحرك عليها - والتي سبق أن كلفت بالقتال عنها -
أن حقوق الألغام (حقولنا) ، كانت مجهولة من القوات التي حشدت في
الجولان ، لدرجة أن وحدات كاملة (سرايا) ، دخلت - خطأ - حقول
الألغام (حقولنا) ، ودفعت ثمناً لتلك الأخطاء . حياة عدد من أفرادها
ومعوياتها كلها . وروحها القتالية .. فكان لذلك دوره الكبير في تنفيذ
المأساة التي خططت لوقوعها قوى الصهيونية ، ونفذتها أجهزة حزب البعث .

١٦ - ومن أكثر أسباب الألم للقلب والأسى للنفس .. الحديث عن
أعمال التجسس والتخريب ، التي قام بها عملاء العدو خلال تلك الأيام .
ولكن الحديث في هذا الموضوع ، هو أيضاً من أكثر شعب الحديث
حرجاً ودقة ، لأنه يفترق إلى معلومات دقيقة ، وأدلة واضحة ، ولذا
فسنكتفي بالحديث عن بعض ما وقع ، دون الدخول في التفاصيل التي
تحتاج إلى أدلة وإيضاحات لا نملكها .

- فلقد لوحظ أن مقرات القيادة التعبوية في كل من القطاعات وفي
القنيطرة ، قد قصفت بالطيران المعادى قصفاً بلغ من الدقة والإحكام
غابتهما .. مما يدل على أن إشارات قد وضعت فوق هذه المقرات ، لتدل
الطيران على أماكنها ، أو أن معلومات مسبقة قد وصلت لأيدي العدو ،
وحددت له أماكن تلك المقرات بالدقة الكاملة . وقد بلغ من دقة المعلومات
لدى العدو أن الطيران لم يضرب سوى المواقع ومقرات القيادة الحقيقية ،
أما المواقع الهيكلية ، ومقرات القيادة الخالية فلم يتعرض لها الطيران ، وهذا
وحده من أبلغ الأدلة على انتشار عملاء العدو وتغلغلهم المريع حتى استطاعوا
الوصول إلى هذه الدقة .

- وكتيبة المدفعية الصاروخية العائدة لاحتياط الجيش : ما إن تحركت
لاحتلال مرابضها المقروءة ، لتقوم بالتمهيد للهجوم المعاكس (على مستوى

(الجيش) ، حتى تناولها الطيران المعادى ودمرها .. وهذه الدقة في الهجوم على وحدة تتحرك .. بعد دقائق من تحركها ، تدل بدقة متناهية على أن هناك من أعطى - في الوقت المناسب - للعدو ، التوقيت المقرر للتحرك ، فجاء تدخل الطيران المعادى حاسماً ودقيقاً .

- فوجيء كثير من الأسرى ، وخاصة الضباط ، بالسلطات الإسرائيلية تعرض عليهم صوراً لمئات الضباط (سوريين ومصريين) ، وتطلب منهم التعرف على أصحابها ، وتزويدها بما يعلمونه عن كل منهم . ولقد لاحظ بعض الأسرى ، أن على أكثر تلك الصور من وجهها الآخر ، مطبوع ختم أحد المصورين المشهورين في القنيطرة (١) .
ولهذه الصور قصة (تبدو الآن محزنة أكثر من أى وقت مضى) ، وهى أن أسباب حصول ذاك المصور على العدد الأكبر من صور الضباط هو ما يلى :

(أ) أن ذاك المصور كان من أفضل المصورين في القنيطرة .
(ب) كانت القيادة بين حين وآخر ، تطلب من الضباط أن يرسل كل منهم - ضمن مهلة قصيرة جداً - عدداً من صورهِ ، لوضعها في ملفاتهم وخاصة في مناسبات الترفيه . ونظراً لقصر المهلة ، كان يضطر القسم الأكبر من ضباط الجهة لأن يؤمنوا تلك الصور المطلوبة بواسطة المصورين الموجودين في القنيطرة .

(ج) ولقد ثبت بعد الحرب ، أن ذاك المصور كان من أكبر من يزود السلطات الإسرائيلية بمعلومات مختلفة ، وفي مقدمتها صور العسكريين - خصوصاً الضباط - وما يعرفه عن كل منهم .

- ولقد برز للعيان خلال ليالى تلك الحرب ، أن شهباً ضوئية كثيرة انطلقت من أماكن شتى ، وخاصة الأماكن التى كانت فيها وحدات أو عتاد أو مجموعات آلية ذات أهمية ... وفي اليوم التالى يأتى الطيران إلى حيث انطلقت الشهب ، ويحوم حومات عدة ، ثم يحدد أهدافه ويضرب .

(١) المصور المذكور كان معروفاً في القنيطرة باسم (المصور مزيد) ، وهو من أبناء قرية مجدل شمس . وعمله معروف باسم (استوديو العروبة) .

والذى نستطيع توضيحه حول هذا الموضوع ، أن الشهب لم تكن تطلق - بيد الجواسيس - لتحديد الأماكن التى يجب ضربها - وإنما لإعلام العدو عن وجود أهداف له فى هذه المنطقة - لأن تحديد هدف ما بدقة كافية ، بواسطة الشهب الضوئية ، أمر غير ممكن - ، ثم يتم تحديد المكان بدقة كافية فى النهار ، بطارق مختلفة ، وأهمها الطيران ، الذى يحدد أهدافه - وخاصة فى ظروف سيطرة جوية كاملة له - ثم يضرب .

١٧ - خلال فترة حشد القوات فى الجولان . « لخوض الحرب » كما يزعمون ... حشدت فى منطقة وادى الرفيد كتيبة دبابات برمائية (١) (٢٢ دبابة) ، وقد أعطيت هذه السكتية واجب الهجوم فى الاتجاه (الرفيد - العال - الكرمى - جينوسار) وذلك فى محاولة لتطويق القوات المعادية التى كان أكبر حشد لها شمالى بحيرة طبرية .

ولكن حين ألغيت خطة الهجوم (المزعومة) ، وتحول الأمر إلى دفاع تركت هذه الدبابات معطلة دون أن تعطى أى واجب ... (ولعل القيادة قد نسيتها) ، حتى كان يوم الهروب الكبير .

وفر سدنتها والقادة مع الذين فروا من الجبهة ، وتركت هدفاً ثميناً للعدو ليستولى عليها جاهدة سليمة .

إلا أن بعض العسكريين ، الذين آلمهم ترك هذه السكتية دون تدميرها أعلنوا للقيادة تبرعهم بالتسلل للوصول إليها والعودة بها إلى دمشق قبل أن يتمكن العدو من اكتشاف أماكنها ويستولى عليها فرفضت القيادة ذلك ، وتركت السكتية (البرمائية الثينة) هدفاً من أثنى الأهداف التى مكنت قيادة حزب البعث ، العدو الإسرائيلى من السيطرة عليه والفوز به .

١٨ - وبعد احتلال الجولان .. وبعد انتهاء الحرب بفترة غير يسيرة ... قامت بعض الوحدات الفدائية بالتسلل إلى منطقة (جباتنا الخشب) ، بعد أن وصل إلى علمها أن المستودعات التى هناك ، لا تزال سليمة ولم تصل إليها يد العدو ، وأخذت تنقل ما قدرت عليه ثمناً فى تلك المستودعات وكانت هذه فرصة عظيمة لهذه المنظمات للتزود بالكثير من السلاح والذخيرة .

(١) من أحدث الدبابات التى وصلت إلى الجيش ، ومن ميزاتها أنها قادرة على خوض مساحات واسعة من المياه (مستنقعات ، بحيرات ، أنهار عريضة) .

ولكن ماذا جرى ...

وصل إلى علم العقيد عبد الكريم الجندى « مدير مكتب الأمن القومى » نبأ فعل المنظمات هذه فأخذ يلاحق قادتها ويطاردهم ويضغط عليهم ، حتى تمكن من معرفة الأماكن التى نخبأوا فيها ما أخذوه ، فصادره منهم ، ولكن قادة المنظمات لم يسكتوا ، فقابلهم بعضهم ، وأفهمه أن عمله هذا مرفوض ومستمجن ، وقال له « إننا نسرق السلاح من إسرائيل بعد أن تركه جيشكم لها ربحاً ثميناً سالمناً من كل عطل ، فهلا توجهت أجهزةكم إلى الذين تركوه للعدو بدلاً من ملاحقتكم لنا ؟ » .

وكانت ردة الفعل - طبعاً - والسجن والتعذيب للفدائيين الذين ناقشوه الحساب ، والتهديد بالقتل لكل من تسول له نفسه إزعاج أمن السيدة « إسرائيل » ، وإفلاق راحتها بعد أن ضمن لها خط وقف إطلاق النيران حدوداً جديدة .

١٩ - وهذه صورة من الجريمة ، أخرناها حتى أواخر المسلسل .
وغم أن تاريخ وقوعها ، كان فى بداية الأحداث . . . وهى قصة ترحيل العائلات ، ونقل المتاع .

فأما عائلات العسكريين ، وأثاث بيوت الضباط ، فقد تم ترحيلها قبيل الحرب ، وكلفت بهذه المهمة مئات الشاحنات العسكرية ، فى الوقت الذى كانت فيه الوحدات تعاني أزمة نقص خطرة فى الشاحنات ، لنقل القوات والأسلحة والتأمين .

وبخصوص العائلات . . هناك أمر كنا نود لو ألا نذكره . . ولكنه يشكل سوءاً فى أمانة الشرح لو أغفلناه . . وإخفاء عن القارئ لأبشع صورة من صور التمييز الطائفى الذى مارسته القيادة فى سلسلة جرائمها التى ارتكبتها لتهديم البنيان الاجتماعى للبلاد . . تمهيداً ليوم الهزيمة المتفق عليه . . فالعائلات التى رحلت (خوفاً عليها من أخطار الحرب) . . هى عائلات العسكريين والموظفين أبناء الطائفة العلوية فقط ، دون غيرها ، وقد تم ترحيلها قبل وقوع الحرب بأسبوعين .

ولقد طالب بعض المخلصين ، المحافظ السيد (عبد الحليم خدام (١) ، بالعدل في معاملة كل الناس ، والعمل على ترحيل كل العائلات . . فرفض بعناد متكبر وقح ، وأنقذ عائلات العلويين من التشريد ، علناً ، وتحت سجع وبصر باقي السكان والعسكريين . . بل وأمر بالإعلان على المآذن وبواسطة مكبرات الصوت أن على السكان أن يصمدوا ، وهدد كل من يغادر القنيطرة ، أو ينقل منها شيئاً من متاعه ، بالقتل علناً أمام جميع السكان ليكون عبرة لغيره . . فاضطر السكان المساكين للرضوخ . . . وهم يرون بحسرة وخرقة . .

وهكذا . . شاحنات الجيش ، في ظل حزب البعث . . تنقل أثاث ومتاع العسكريين البعثيين ، وترك عتاد الجيش وسلاحه ووثائقه وحتى وحداته نهياً لطيران العدو . . وقواته الغازية !

ثم ترك السكان فيما بعد . . وخلال الحرب ، تنزح ، وتهجر قراها وبيوتها ، على نحو يمزق القلوب حزناً . . حاولنا إبراز صورته في صفحات سابقة . . .

٢٠- وحتى أموال البلدية ، وفرع البنك (الحكومي) الوحيد في القنيطرة ، تركت في أماكنها ، ولم تنقل إلى دمشق . . وقيل للعدو . ها نحن سلمناك كل شيء . . كما اتفقنا . . حتى الأوراق والأموال والنقد . . و . . كل ما يحقق لك فائدة في الأرض التي قبضنا منك ثمنها . . !

٢١- وكانت خاتمة الجرائم . . وأم الكباثر التي اجتاحتها أيدي حزب البعث . . هو ذلك البلاغ المشنوم الذي أعلن سقوط القنيطرة ، قبل أن تسقط .

فما قصة ذلك البلاغ ؟

إن الذي ثبت لدينا حتى الآن . . أن القوات الإسرائيلية لم تخطأ أرض القنيطرة (رغم كل تلك المخازي والجرائم التي شرحناها) إلا بعد إعلان سقوطها بما لا يقل عن سبع عشرة ساعة .

(١) من أسوأ الناذج التي قدمها حزب البعث لهذه الأمة المنكوبة ، ومن أكثر الحزبيين تحيزاً وتعضباً وكرهاً لغير البعثيين ، وهو أكبر المجرمين المسؤولين عن مجازر حماة في عام ١٩٦٤ ، التي تم خلالها قصف المسجد الأكبر في المدينة بتيار الدبابات والعايرين ، وضرب بيوت الأمنين بالرشاشات ومدافع الدبابات .

فلقد تمكنت قوات العدو الإسرائيلي ، من اختراق أجنحه السورية ، يوم الجمعة ، في ٩ حزيران ١٩٦٧ ، حوالى الظهر وكان الاختراق فى قطاع واسط (قنعبة - القلع) ، ومن القطاع الشمالى فيما بين تل العزيرات وتل الأحمر ، بقوة تعادل ٢ لواء دبابات ، معززين بالطيران والمدفعية وكتيبة الأتليات ، ودون وجود قوات مشاة رئيسية مع قوات النسق الأول المهاجم . ورغم كل ما أشرنا إليه من جرائم مدبرة ، وخيانات مرتكبة ، وهروب كبير فى صفوف القوات المدافعة ، فإن العدو - رغم قوته المحترقة - لم يستطع التقدم بحرية تامة ، ولاقى من المقاومات الفردية ضراوة وشراسة وعنفاً فى المقاومة ، ما جعله يتقدم فى حذر شديد ، ويتوقف عند أول بادرة مقاومة تظهر فى وجهه ، حتى ولو كانت طلقة من بندقية .

ولقد أذيع البلاغ المحرم ، يعلن سقوط القنيطرة ، بينما كانت أقرب قوات متقدمة إليها تشبك مع مقاومات بطولية فردية انبثقت من نقطة القلع وتل العزيرات . . .

وكان للبلاغ المذكور . . فعل رصاصه الخلاص ، فانهارت القوى المعنوية الجبارة التى أظهرت بطولات الرجال الأوفياء لأرضهم وبلدهم - وأؤكد أن ليس بينهم بعض واحد - ودخل فى روعهم أن مقاومتهم لم تعد تجدى ، وبدأ يعتقد كل منهم - بفعل انقطاع الاتصالات وهروب القادة المسئولين - إنه قد أصبح وحيداً يقاوم فى جزيرة قد غمرتها الأمواج من كل ناحية ، فقرروا الانسحاب آملين أن يلتحقوا بوحداتهم الكبرى ، لمعاودة القتال . . ولكنهم ما عثموا أن غادروا مواقعهم . . حتى فوجئوا بالخيانة التى ارتكبت ضدهم وضد بلادهم . . ورأوا أن القنيطرة ، ما زالت سليمة ، وما زالت بيد قواتنا ، وأن البلاغ الذى أعلن سقوطها كاذب مضلل فأسقط فى أيديهم . . وخاصة بعد أن رأوا ذلك المنظر القبيح ، منظر الفرار الذى سمي انسحاباً . . زوراً وتضليلاً !

ولنا عودة لموضوع هذا البلاغ ، خلال المناقشة المقبلة إن شاء الله ،

٢٢ - وأسدل الستار على تلك المسرحية : ، منذ يوم السبت ١٠ حزيران وبعد إعلان سقوط القنيطرة - كذباً وهتاناً - فغادر دمشق أعطاء الحكومة

والحزب (بقياداته كلها) ، والجيش (بجميع ضباطه البعثيين الجرمين) . .
وأخذت أرتال الآليات (عسكرية ومدنية) ، تتابع وتتدافع على طريق
دمشق - حمص ، حاملة في بطونها ، النساء ، والأطفال ، والضباط ، والقادة
(المسوخ) من رجال حزب البعث تاركين دمشق مفتوحة الأبواب ،
مكشوفة الصدر والظهر والجوانب . . نهياً لكل غاز ، وخلواً من كل
حارس ، وجالت السيارات تحمل مكبرات الصوت تثقل الأسماع بندائها
المشتوم . . « ممنوع التجول . . ممنوع التجول » . . وذلك في صورة جديدة
من صور التآمر ، لتسليم دمشق إلى العدو الغازي . . دون مطلق مقاومة ،
حتى ولو كانت من طفل أو امرأة . .

وفي الوقت نفسه ، اهتبل بعض لصوص الحزب الفرصة ، ونهبوا
ما استطاعوا نهبه من أموال البنك المركزي في دمشق ، بحجة أن نقل احتياطي
الذهب واجب « قومي » لئلا يقع بيد العدو فتفلس الدولة . . وباليتمها تفلس !
٢٣ - « إن المعركة لا تقاس نتائجها بعدد الكيلو مترات التي خسرتها . .
بل بأهدافها وما استطاعت أن تحقق . فقد كان هدف إسرائيل ، ليس احتلال
بضعة كيلو مترات من سورية ، بل إسقاط الحكم التقدمي فيها ، وهذا ما لم
يتم لها ، ولذا يجب أن نعتبر أنفسنا الراجحين في هذه المعركة » .
أحمد سويداني

قائد الجيش السوري قبل وخلال وبعد الحرب
« ليس مهماً أن يحتل العدو دمشق ، أو حتى حمص وحلب . . فهذه
جميعاً أراض يمكن تعويضها ، وأبنية يمكن إعادتها ، أما إذا قضى على حزب
البعث ، فكيف يمكن تعويضه وهو أمل الأمة العربية ؟ » .
« . . . لا تنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلي ، هو إسقاط
الحكم التقدمي في سورية ، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث ، عميل
لإسرائيل . . . » .

إبراهيم ماخوس
وزير خارجية سوريا قبل وخلال وبعد الحرب

آلا لا رعى الله حكماً هؤلاء قاداته ، والمستولون فيه ،

ولا رعى الله حزباً ساهم بتدمير الأمة أكثر مما دمرها أشد الناس عداوة لها « اليهود والذين أشركوا » .

ولست أجد في كل ما ارتكب بحق هذه الأمة من جرائم . . . ولا أرى في كل ما لحق بها من إهانات واحتقار لكرامتها وشرفها أوقع من هذه التصريحات تصدر عن مجرمين ، باعوا الأرض وشعبها لأكثر الأعداء لوئماً . . ثم وقفوا . . . يمتنون على ذلك الشعب . . . بأن من فضلهم وكرمهم عليه ، أنهم استطاعوا أن يثبتوا في وجه العدو الذي ادعوا أنه لم يكن لهجومه من هدف . . . إلا إزالتهم عن (الحكم والتحكم برقاب أبنائه ومقدراتهم . . .) . ولست أجد صورة أستطيع من خلالها إبراز لوئم الجريمة وسوءها ، مثل هذه التصريحات وأمثالها . . . اختتم بها هذه السلسلة من حلقات التآمر والإهمال والجريمة . . . لتكون للقارىء فكرة واضحة عن الذى حدث في حرب حزيران . . . تلك التى سموها حرباً ، تجنباً على الحروب . وبتناً على الجيوش . وما هى والله إلا مسرحية متقنة الإخراج ، حدد فيها لكل ممثل دوره . وكان فيها النظارة المخدوعون ، هم جماهير الأمة المنكوبة ، أمة العرب ، والشعوب الإسلامية في كل مكان .

فالأرض التى سلمت للعدو ، والجيوش التى دمرت ، والحسائر الهائلة التى لحقت بنا ، من سلاح ، وعتاد ، وموئ . والجهود المضنية التى بذلت ، والضحايا التى ذهبت ، وكل ذاك ، وغيره أكثر منه . من كرامة الأمة . وشرفها الذى لوث ، وعقيدتها التى أهينت . . كل ذلك ليس له أهمية ، ما دام الحكم التقدمى الثورى ، ما زال قابلاً فوق رقاب الشعب ، يسوقه إلى هاوية أخرى ، الله وحده يعلم عمقها وخطورة انحدارها .

يا عجباً . . . ! ، أفلم يبق في هذه الأمة أحرار ، تهز ضمائرهم تلك الإهانات الوقحة ؟

من كانت له عينان فلينظر . ومن له أذنان فليسمع . . ومن كان له قلب فليفقه . . .

وإلا فنحن كالأنعام ، بل أضل سبيلاً ،

أعمال العدو .. خلال الحرب

نستطيع أن نوكد ، أن العدو لم يحارب على الجبهة السورية ، ولم يدخلها ظافراً أثر قتال حقق فيه التفوق العسكرى ، أو أبرز فيه البطولة وحسن قيادة القتال ، فتمكن من تحقيق ظفر . . . يدعيه اليوم لنفسه . . وهو ليس له أهلاً .

إن القوات الإسرائيلية قد دخلت الأرض السورية حسب مخطط تأمرى أعد مسبقاً ووضعت مقدماته ونتائج في بعض السفارات ، وأتم إكمال ملامحه وجوانبه في بعض العواصم الغربية .

فالعدو استطاع بدهائه ومغرياته أن يدفع حكام البلاد ليقوموا بتصفية الجيش . . وجعله غير قادر على خوض أية حرب . . وكان له ما أراد ، وأكثر .

والعدو استطاع بوسائل الخداع والمكر والتآمر المختلفة ، أن يضع الجماهير التي هي رديف الجيش ، في حالة من التمزق والتشردم وانحلال روح المقاومة . . بفضل ما فعل بها شركاؤه وجواسيسه . . خلال حكم حزب البعث العربي الاشتراكي . . وكانت الجماهير يوم الحرب كما خطط لها عدوها وشركاؤه .

والعدو حرص على عزل هذه الجماهير عن المشاركة الفعلية في حرب الحفاظ على الأرض والمقدسات . . فاستطاع عزلها . . وبقيت الجماهير طيلة الحرب . . قابعة في الدور والمقاهي . . مشدودة إلى « الترانزيستور » . . تتابع أخبار الهزيمة . . وهي عاجزة كل العجز عن فعل شيء .

هذه وغيرها كثير جداً . . كانت من الأمور التي خطط لها العدو قبل وثبة حزيران العار ١٩٦٧ ، بأعوام طويلة . . واستطاع أن يجد من الشركاء من ينفذها له ، بأكثر مما توقع ، من حرصهم على خلمته وتسليمه ما يريد .

وهذا ليس مجال الحديث الآن . . . فلقد أخذنا على عاتقنا الاهتمام بجانب القوات . . . ما فعلت ، وما فعل بها ، وهذا بيت القصيد من شرحنا هذا .
ولذا . . . فإن أعمال العدو . . . القتالية . . . كانت تافهة وتكاد لا تذكر نسبة إلى ما تقوم به القوات في حروب أخرى . يملك فيها المهاجم تصميماً على تحطيم خصمه والفوز بأهدافه . . . ويتحلى فيها المدافع بعناد وإصرار على طرد المهاجم واحباط آماله ومساغيه . وبين هذا وذاك تبرز صور من الملاحم والبطولات بين أخذ ورد ، تكون على مر الأيام صفحات متتالية في سفر التاريخ العسكري للشعوب . . . كما تصبح في الوقت نفسه معيناً جديداً لحيال الشعراء والأدباء يصور كل منهم جانباً من بطولات شعبه .

. . . وهذا ، كانت حرب المسرحية يوم حزيران ، خالية من عنصر الإثارة ، ومقومات الحروب الناجحة . . . ولم تعد كونها مؤامرة . . . كبرى . . . تكمن عناصر الإثارة في دقة حبكها . . . ولؤم الذين نفذوها .
ولكن . . . لا بد رغم ذلك من التعرض بشيء من الإيضاح ، إلى الأعمال القتالية ، التي قام بها العدو .

١ - لقد كانت أبرز أعمال العدو ، هي أعمال الطيران .

فالطيران الإسرائيلي . . . الذي خلّت له سماء الحرب ، وغاب النور من وجهه . . . قام بتغطية الجبهة برمايات كثيفة منذ صباح الثلاثاء ٦ حزيران وحتى مساء السبت ١٠ حزيران ، واستطاع أن يركز كل قواه وإمكاناته ضد هذه الجبهة . . . وهو ضامن عجز الطيران السوري عن مجابهته . . . فقام بطلعات جوية تكاد لا تحصى ، قصف فيها الجولان (التحصينات ، والمنشآت وتجمعات القوات ، ومرابض الأسلحة ، وتحركات الآليات والأرتال) .
ودمر الطرق ، وقام بغارات متتالية على مطاري المزة والضمير وبعض المطارات (السرية) الأخرى . فدمر عدداً من الطائرات التي لم تستطع الفرار ، وضرب المنهابط والمستودعات وكانت له السيطرة الكاملة في الجو ، حتى بدأ طياروه يقومون بأعمال للتسلية تخرج عن نطاق المهمات القتالية الجادة ، وهم لا يخشون أن يزعجهم عصفور .

ولقد تميزت أعمال الطيران المعادي بنواح متعددة ، نشرحها :

أولاً : ضد التحصينات والمنشآت . وخطوط الدفاع ، استعمل الطيران القنابل المتفجرة الثقيلة من عيار (٢٥٠ ، و ٥٠٠) كلغ بقصد تدميرها وإنهاء فعاليتها .

ثانياً : ضد الحنادق ، وتجمعات القوات المكشوفة ، والأرتال الآلية أو الراجلة ، استعمل الطيران المدفعية الرشاشة من عيار ٢٥ مم ، وقذائف النابالم المحرقة ، لإخراج الوحدات خارج القتال .

ثالثاً : ضد مرابض المدفعية ، وتجمعات الدبابات والآليات المتنوعة ، أو أرتالها . ركز الطيران نيران الصواريخ وقذائف النابالم والقذائف الموقوتة المتفجرة (المنثار) .

رابعاً : تميزت أعمال الطيران الإسرائيلي ضد الأرتال الآلية المتحركة ، بصفة لثيمة تدل على مبلغ حرص العدو على أن لا تفلت آلية واحدة من يده . فلقد كانت الطائرات تحوم حومتها الأولى ، لتحديد حجم الرتل المتحرك واتجاه وسرعة حركته والفواصل بين الآليات والوحدات ، ثم تعود في حومتها الثانية ، وتقوم بالانقضاض ، مبتدئة برأس الرتل ، حتى تأتى عليه ، فتترك الآليات حطاماً تتصاعد منه ألسنة النيران يشوه أحرارها دخان متدرج السواد ، وتترك الأفراد شبه قطيع هاجمته الذئاب ، فتركته بين قتيل ومجروح وهائم على غير هدى :

خامساً : تميزت أعمال الطيران الإسرائيلي بسرعة التدخل ، وكثافة الرمي ، وقد بلغ ذلك مبلغاً لا يكاد يصدق ، فعندما كانت تبدو لرتل أو مجموعة من العدو داخل أرضنا ، مقاومة ما — على غرار ما حدث في حوش الجوزة — ، يلجأ القادة إلى الاستنجاد بالطيران ، فتأتى وحداته وتحرق الأرض وتفلحها لكثرة ما تصب عليها من النيران ، حتى يتم الاطمئنان في نفوس القادة الجبناء ، المحميين بأرتال الدبابات ، وأسراب الطائرات . فيتابعون حركتهم دون خوف من أى إزعاج .

سادساً : ومن أعمال الطيران الإسرائيلي ذات الأهمية ، هي نقل سدنة الدبابات والأسلحة ، لإلحاقهم بوحداتهم بعد إتمام الاختراق على غرار الذي حصل عند الخرق من القطاع الشمالى ، تكما سنبينه بعد قليل .

سابعاً : ولقد ساهمت طائرات العدو مساهمة كبيرة في الحرب النفسية ضد القوات والسكان ، فكانت طائرات الهليوكوبتر تحلق فوق رؤوس الهاربين ، وتخاطبهم بالمكبرات . أن ألحقوا أسلحتكم وانجوا بأنفسكم . . فنحن لا نريد إيلاءكم وإنما نريد تدمير العتاد الروسى . . . !

ثامناً : وكثيراً ما خفت طائرات العدو ، وخاصة الهليوكوبتر ، لنجدة أفراد أو مجموعات صغيرة من العدو ، حين تعرضها لمآزق خطيرة ، وذلك على غرار ما حدث للطيار الذى أسقطته إحدى كتائب جيش التحرير الفلسطينى فى منطقة الرفيد .

تاسعاً : قامت الطائرات الإسرائيلية بأعمال الإخلاء ، ونقلت الجرحى وجثث قتلاهم ، ولقد كان من أبرز الجرحى السوريين الذين نقلتهم طائرات العدو ، ضابط برتبة نقيب ، بعد أن أصيب بشظية مزقت بطنه فنقلته الهليوكوبتر ، وعواج ثم أعيد بعد الحرب أثناء تبادل الأسرى .

٢ - أعمال القوات الأرضية :

أبرز أعمال هذه القوات ، هو الحرق الذى حدث ظهر الجمعة ٩ حزيران من قطاع واسط ، فى اتجاه (القلع - القنيطرة) مروراً بواسط ومن القطاع الشمالى (تل العزيرات - هضبة المغاوير - تل الأحمر) .

ولقد قام العدو بحشد قواته للهجوم على الجبهة السورية ، حسب المعدل الآتى :

- فى مواجهة القطاع الشمالى ، قام العدو بحشد ثلاثة ألوية دبابات ، هى التى قامت بالاختراق ، من القطاع المذكور ، معززة بكتيبة الأقبليات . - فى مواجهة القطاع الأوسط ، قام بحشد لواءين مدرعين . دخلت الأرض السورية بعد إعلان سقوط القنيطرة .

- فى مواجهة القطاع الجنوبي ، تم حشد لواء مدرع واحد ، دخل الأرض السورية كذلك بعد إعلان سقوط القنيطرة .

ولقد تم الاختراق ظهر الجمعة ٩ حزيران ، من قطاع واسط (أضعف القطاعات) ، وفيما بين كفر شامير وكف سلط فى اتجاه القلع ، ومن القطاع الشمالى كما نينا قبل قليل ، وباتجاه زعورد - مسعدة .

وقامت قوات العدو بأخذ تشكيلات الأنساق المتتابعة ، فى كل نسق (١) سرية « ١٣ دبابة » حتى إذا أتمت القوات المعادية ، تنظيف ما فى طريقها من مقاومات ، واستطاعت السيطرة على نقطة (القلع) ، وأصبحت على طريق مسعدة - واسط (أنظر الخريطة) عادت فتجمعت الدبابات ، وانقسمت صباح السبت إلى ثلاث مجموعات :

- الأولى : بقوة كتيبة دبابات (٤٠ دبابة) ، انطلقت فى اتجاه : القلع - واسط - كفر نفاخ ، لتطويق القطاع الأوسط ، وقد اصطدمت بمقاومة ضارية فى (تل شيبان) ، عطلت تقدمها حتى أذيع بلاغ القنيطرة رغم استنجد قائد الكتيبة بالطيران ، الذى أنهك التل المذكور قصفاً بالنابالم والمدافع الرشاشة .

- والثانية : بقوة كتيبة دبابات أيضاً . انطلقت فى اتجاه : القلع - سكيك - كرىز الوادى - مسعدة لتقوم بتطويق القطاع الشمالى .

- والثالثة : هى باقى وحدات اللواء المدرع ، مع قيادته ، وقد ظلت فى وضع الترقب ، وقيادة قتال الكتيبتين ، ومن ثم لمتابعة التقدم فى الاتجاه الأكثر خطراً فى النجاح .

هذه القوة بمجموعها ، هى لواء مدرع واحد من الألوية الثلاثة ، التى حشدت فى القطاع الشمالى ، وقد كان لواء المقدمة ، وهو الذى حقق الاختراق (دون قتال يذكر . سوى المقاومات المحدودة التى نأتى على ذكرها كل فى موضعها) .

أما اللواء الثانى من هذه الألوية الثلاثة ، فالتقد هاجم من قطاع بانياس ، فى اتجاه : بانياس - مسعدة ، واستطاع التقدم دون صعوبات ، حتى إذا ما وصل إلى مواجهة تل الفخار ، اصطدم بمقاومة ضارية ، استبسل رجالها فى وجه عدو متفوق تفوقاً ساحقاً ، وأدت واجبها كأحسن ما يكون الأداء . وقد رافقت هذا اللواء فى هجومه كتيبة الأفليات ، وأتم هذا اللواء الوصول إلى مسعدة ، بعد أن قضى على مقاومة تل الفخار وبمعونة الكتيبة التى طوقت القطاع الشمالى على محور القاع -- مسعدة .

(١) النسق : أحد التشكيلات التى تأخذها القوات فى حالة الهجوم أو الدفاع ، وعند التمرض للاشتباك ، وتكون ينشر القوات عرضانياً على خط الجبهة .

أما اللواء الثالث من مجموعة الألوية هذه ، فقد أبقاه قائد المجموعة تحت تصرفه ليزج به في عمق الدفاع ، لمتابعة تحقيق واجب اليوم لمجموعة الألوية هذه ، والذي كان احتلال القنيطرة .

ولكن القيادة البعثية ، وفرت على العدو كل تلك الجهود و (التضحيات) وسهلت له احتلال القنيطرة ببلاغ فاجر ، استغرقت إذاعته أقل من دقيقة ، فألقى جهود وتضحيات عشرين عاماً ، وضيع إمكانات تفوق حدود التصور بدلت خلال تلك الأعوام ، استعداداً لساعة محنة كهذه .

أما الألوية الثلاثة التي حشدتها العدو في مواجهة القطاعين الأوسط والجنوبي ، فقد ظلت في وضع الانتظار ، حتى حان موعد تنفيذ المؤامرة ، وإذاعة البلاغ المشئوم ، وإخلاء الأرض من كل الإمكانيات والقوى المحشودة فيها ، فتقدمت لتقوم بنزعتها العسكرية ، مستخدمة المحاور الآتية :

بستان الخورى - الجمرك - العليقة - القنيطرة .

عين غيف - الكرسى - البطيحة - الجمرك - العليقة .

عين غيف - الكرسى - سكوفيا - فيق - العال - الرفيد .

وهذا ، تم للعدو - حسبما اتفق عليه مع قيادة البعث - ، إتمام احتلال الجولان ، دونما جهود أو قتال حتى صدر قرار وقف إطلاق النيران . . . وقبله الطرفان ، بعد أن حققت القوات الإسرائيلية سيطرتها على الجولان بأكمله . . . حتى الخط :

مجدل شمس - سحيتا - أوفانية - الحميدية - عين عيشة - الرفيد - جسر الرقاد - كفر ألما - الحمة - مروراً بالسفح الشمالى الغربى لوادى الرقاد .

وشوهد رجال هيئة الرقابة الدولية ، يقومون بتأكيد هذه الحدود الجديدة ، صباح الأحد ١١ حزيران بوضع أعلام خاصة على مسافات معينة ، « لمنع » الطرفين من « اجتيازها » ، أو تسجيل المخالفات على الذين يجتازون . . . !

٣- ولقد لجأ العدو إلى أسلوب يدل على مدى خوفه من المقاومات الضاربة التي قد تعترض سبيل قواته ، - رغم الاتفاقات المسبقة مع قيادة

حزب البعث ، بتسهيل الطريق أمامه - ، فقد ركب في كل دبابة - خلال الهجوم - سائقها وراى مدفعها فقط - لتقليل الخسائر في الرجال - وأما باقى السدنة ، فقد ألحقوا بوحدهاتهم بواسطة الطيران (الهليكوبتر) ، وذلك في سهل المنصورة ، بعد إتمام الاختراق ، وبعد إذاعة بلاغ سقوط القنيطرة ، وبعد أن اطمأن العدو أن مقاومات ما لن تعترضه بفضل دقة حزب البعث في تنفيذ ما اتفق عليه معه .

٤ - لوحظ أن أفراد الجيش الإسرائيلي ، كانوا يطلقون النيران بغزارة هائلة لدى اشتباهم بأية حركة . حتى ولو كانت في حقيقتها صادرة عن ابن آوى أو كلب شارد ، مما يدل على جبن هذا العدو ، وحرصه على تغطية طريقه بكل الإمكانات النارية ، وخوفه من عناد الإنسان العربى وبطولته ، اللذين قد يظهران في وجهه فجأة ، رغم كل الضمانات والاحتياطات التى حققها للعدو ، قيادة حزب البعث .

ولقد وصلت بعض الأنباء من الأسرى الذين عادوا بعد الحرب ، تفيد أن كثيراً من العرب (ومنهم بعض العسكريين) الموجودين في إسرائيل ، قد أبلغوهم أن القوات الإسرائيلية في خلال هجومها على الجولان ، تعرضت أكثر من مرة لنفاد الذخيرة ، واضطر قادة المجموعات المكلفة بالهجوم والاحتلال ، الاستئجاد وطلب الإمداد بالذخيرة ، فاضطرت القيادة الإسرائيلية إلى سحب كميات كبيرة من القوات التى رابطت في سيناء أو في الضفة الغربية لتلبية احتياجات القوات على الجبهة السورية ، بعد أن أفرغت هذه الأخيرة ، كميات هائلة من النيران ، أمامها ، لتضمن قدرتها على التقدم ، رغم ندرة المقاومات التى اعترضت سبيلها .

٥ - ولقد ذكر قسم من أفراد كتيبة الأقليات « للأسرى » ، إن قيادة الجيش الإسرائيلى لا تثق بهم ، وقد صدرت إليهم (قبل الهجوم) أوامر بالانسحاب إلى صفد . ثم عاودت القيادة تلك ، وأبلغتهم أن المظليين قد احتلوا القنيطرة ، وأمرتهم بالعودة للعمل نسقاً ثانياً للقوات التى احتلت الجولان .

ولما عادت السكتية تلك ، لتنفيذ ذلك الأمر ، وجدت أن القيادة قد

خلدتها ، وألفت نفسها وجهاً لوجه - في الدسق الأول - في مواجهة المقاومات الضارية ... ولم تعثر على أى أثر للمظليين المزعومين .

٦ - ولقد صرح بعض عناصر هذه الكتيبة (سراً) إلى بعض الأسرى ، أنهم كانوا على استعداد لضرب القوات الإسرائيلية في مقتلها ، لو أن الجولان صمد ، ولكن أنباء الهزيمة والفرار والتآمر التي سمعوها وشاهدوا بأعينهم آثارها ، أجبرتهم على السكوت على مضض ، والاستمرار في التظاهر بالولاء لهذه القوات ... انتظاراً لفرصة قادمة ... !

٧ - وقد يكون مفيداً في هذا السرد أن نذكر أن شائعة نقلها الأسرى من إسرائيل ، بعد عودتهم ، كانت تتردد هناك على نطاق واسع - ولا ندرى مقدار صحتها - ، وتفيد تلك الشائعة أن (موشى دايان) ، رفض إصدار الأوامر بالهجوم على الجبهة السورية ، خوفاً من ضياع « الانتصار » الذي تم له في كل من « يافا » و « الضفة الأردن الغربية » .

وتتابع الشائعة قولها أن رئيس الأركان الإسرائيلي يومذاك « الجنرال إسحق رابين » هو الذى أخذ على مسئوليته إصدار أوامر الهجوم على الجولان . . . وبذلك أصيبت سمعة موشى دايان العسكرية بلوثة ما زالت تفسد عليه نشوة السمكرة التي وضعته فيها حرب المسرحية .

٨ - لم تثبت لدينا صحة الشائعات التي روجت عن أن العدو أسقط وحدات من المظليين في الرفيد أو سهل المنصورة .

٩ - ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن العدو تسلم الجولان دون قتال ، هو روايات أكثر الذين شاهدوا الوحدات المعادية خلال تقدمها في الجولان ، إذ كانت هذه الوحدات من الدبابات ، تتقدم في تشكيلات المسر ، ودون ما حامية من المشاة ، مما يؤكد اطمئنانها إلى خلو الطريق أمامها من مقاومات قد تعطلها .

خسائر العدو :

لم أستطع الوقوف على رقم مقبول ، أو تقدير معقول لخسائر العدو التي أصابته خلال دخوله الجولان ، ولكنى أستطيع الاستنتاج أن الخسائر عنده كانت قليلة ، وأن أية خسائر منى بها إنما كانت من المقاومات الضارية في القلع ، وتل العززيات ، وتل الفخار ، وتل شيبان ، وحرش الجوزة ، والرفيد ، وقد كانت خسائره في الأرواح قليلة ، أما خسائره في السلاح ، والعتاد ، فلقد كان مجموعها ما يقارب كتيبة دبابات ، بسبب المقاومات التي ذكرت .

خسائرنا :

ضخمة جداً .. وتفوق حدود التصور في قيمتها وهولها .

١ - فأول الخسائر ، هو كرامة الشعب ، وروحه القتالية ، وقدرته على الصمود ، وشرفه الذى ديس واوث .

٢ - وثانى الخسائر ، هو الأرض الكريمة الغالية الحبيبة بكل ما فيها من كنوز وثروات .

٣ - وفيما عدا ذلك فقد كانت الخسائر على الشكل التالى :

- فى الآرواح ، لم يتجاوز عدد القتلى ٢٥٠ قتيلًا ، كما لم يتجاوز عدد الجرحى ٣٠٠ جريح ، بينهم عدد من الضباط ذكرنا بعضهم اسماً ، وحوالى سبعة أطباء .

- وأما الأسلحة : فحدث ولا حرج ، فالمدفعية دمرت بكاملها ، والمدافع المضادة للدبابات والطائرات ذهبت كلها بين مدمر أو غنيمة أخذها العدو بعد أن تركتها القوات ، والأسلحة الأخرى ، تركت كلها فى الأرض فى العراق ، جمع العدو قسماً منها ، وجمع الفدائيون قسماً آخر ، وجمع المهربون قسماً ثالثاً وباعوه ، وقسم رابع وضئيل لا يزال مطموراً أو ملقى على الأرض وقد أكله الصمد .

والمدفعية الصاروخية أصبحت كتلاً من الحديد الأسود المحروق .

وقاذفات اللهب ، تركت سالمة للعدو ليستعملها ضد قواتنا وآلياتنا .

والدبابات .. دمر عدد منها لا يقل بمجموعه عن كتيبتين (٤٠ - ٥٠ دبابة) وغنم العدو كتيبة دبابات برمائية تركها الجيش فى الرفيد .

وأما الآليات .. فواخسرتا عليها .

الآلاف منها دمر ، ابتداء من عربات الجيب .. حتى الشاحنات الكبرى مروراً بعربات الجند المدرعة .. مضافاً إليها عدد كبير من الشاحنات المدنية التى صادرتها السلطة لصالح الحرب ، وأضاف إلى ذلك ، ما لا يقل عن ثلاثمائة صهريج بنزين لا تقل قيمة الواحد منها عن ٧٠ ألف ليرة سورية .

والطائرات .. دمر منها وأعطب عدد لم أستطع الوقوف عليه بدقة ، وخربت مدارج الطائرات فى كل من مطارى المزة والضمير ، وفى عدد من المطارات (السرية) الأخرى .

وأخيراً المستودعات الهائلة الجبارة ، بكل محتوياتها ، من وقود ، أو ذخيرة ، أو مواد طبية أو أطعمة جافة أو ألبسة وتجهيزات ومفروشات ومن أبرز هذه المستودعات وأكثرها أهمية ، هى مستودعات :

تل نخزير ، الحميدية ، جببانا الخشب ، حرش عين زيوان ، بقعاتا ، نخسفين .

الفصل الثاني

الوجه المشرق

« . . . وقد وقع أثناء انسحاب اللواء المدرع السوري حادث طارئ كشف عن مدى الخسائر التي كان يمكن إلحاقها بالمدرعات الإسرائيلية لو قامت الدبابات السورية بالهجوم المعاكس .

لقد تعطلت إحدى الدبابات بالصدفة ، بعد تعطيل جنزيرها وكانت هذه الدبابة في أواخر الرتل السوري المنسحب ، ولم يكن أمام قائد الدبابة إلا أن يحارب ، فأدار مدفعه إلى الخلف واستطاع من مكانه ، وخلال دقائق معدودة أن يدمر ست دبابات ويوقف تقدم الإسرائيليين ، واستنجد العدو بالطائرات فدمرت الدبابة السورية الشجاعة بصاروخ جوى ، ولولا ذلك لاستطاعت تدمير ١٥ دبابة إسرائيلية على الأقل قبل أن تصاب وتحترق . . . » .

(من رواية لضابط لبناني شهد المعركة صباح ٩ حزيران نشرتها مجلة الحوادث اللبنانية ، العدد ٦٠٤ ، تاريخ ٦-٧-١٩٦٨) .

وهو ناصه للبطولة

وقد يعتقد البعض أن هذا الشعب قد فقد كل مقامات الأصالة والبطولة فيه .. وذلك ، بعد الاطلاع على المخازى والجرائم التي حاولنا في صفحات سابقة ، إبراز بعضها ، والذي لم نستطع الوقوف عليه ، أكثر وأدق وأعمق أثراً وأبعد خطراً .

ولكن الأصالة والنبيل .. والشجاعة والرجولة ، الصادقة غير المفتعلة قادرة على إبراز وجودها ، ولفت الأنظار إليها ، وتحقيق فعاليتها القادرة على إصابة الباطل بشروخ خطيرة . مهما علا واستكبر ، ومهما كان زيفه محبوكاً ودقيقاً .. بحيث خيل إليه أنه قد قضى على كل بذرة من بذور الحق والوضاء ، والنور الكامن في النفوس .. القادر على رفع رأسه فوق سحب الظلام المفتعلة .

فهل عدت الجبهة ، رغم كل ذلك اللؤم والباطل .. عناصر وقفت بإباء ورجولة تدفع عنها طغيان ذلك السيل من خيانات المجرمين ، وأرتال العدو الغازى الغريب ؟

أبدأ .. وكما في كل لحظة يأس .. وكما في كل صولة باطل .. يقف الحق ، ليبعث البطولة في صور متعددة الأشكال .. وصيغ مختلفة الأحجام هذه منها بعض النماذج :

١ - لقد كانت في مقدمة تلك البطولات .. التي سبقت الدهر ، مفخرة هذا الشعب .. ورمز كرامة وعزة الجيش هي بطولات وحدات المدفعية م - ط .. التي عملت في أسوأ شروط أتاحت لها .. وحقت أعظم مردود كان يمكن لوحدات أفضل منها تدريباً وإعداداً .. أن تحققه ، وساهمت مساهمة كبيرة في الحد من خطورة وفعالية طائرات العدو .. بعد أن غاب

من الجو نسورنا ، وعزلوا عن الحرب ، ومنعوا من أداء واجبهم ، وتركوا طاقات معطلة تغلى .. وهم يرون طائرات العدو تمرح في سماء البلاد .. وما من نسور تتصدى لها .

فالمدفعية المضادة للطائرات .. رغم حداثة عهدها .. ورغم ضعف تدريبها .. ورغم أن أكثر سدناتها كانوا من الاحتياطيين ، ورغم أن أكثر ضباطها كانوا من غير الاختصاصيين .. فقد كان لها دور بطولى رائع واستطاعت أن تمنع الطائرات المغيبة من تحقيق إصابات فعالة ، فوق كل هدف دافعت عنه وحداتها ، وعملت بدون كلل .. وحققت المدافع أكثر من المردود المطلوب منها في المعدل الزمني الواحد ، حتى احمرت سبطانات الكثير من المدافع لكثرة ما رمت وتشوه بعض هذه السبطانات ولم يكن لدى السدنة وقت كاف لتكوين السبطانات الاحتياطية .. وعجز المدخرون (١) عن حسن تلبية احتياجها ، ووصلت إليهم الذخيرة مطلية بالشحم ، ولكن ذلك لم يثن عزم الجميع ، وقاموا بواجبهم خير قيام .

٢- ومن روائع صور البطولة التي برزت ، المقاومة الجبارة التي تصدت « للهجوم » المدرع الذي شنه العدو ، وذلك حين اصطدم بنقطة استناد القلع :

دافع رجال هذا الموقع ، كأفضل ما يمكن لرجال أن يدافعوا .. وكان القائد على رأس هذه القوة الصغيرة الرائد محمد سعيد يونس ، واستطاعت هذه المقاومة الباسلة أن تحطم ٣٦ دبابة ، ولو نفذ الذي سبق أن قرره خطة العمليات ، وقدمت لهذه المقاومة - وغيرها - الحماية والدعم ، بالمدفعية والهجمات المعاكسة وكل أعمال القوات القتالية .. لتحطم الهجوم ، وارتد المهاجمون ، يلحقون جراحهم كالكلاب ، ويلعنون قادتهم الذين زجوا بهم في وجه أولئك المردة من رجال الجيش السوري .

ولكن ما حيلة البطولة إن كانت وحيدة في وجه موجات متلاحقة من قوى الغزو الباغي ؟ . وكيف يمكن للرجال الأشاوس أن يستمروا في ممارسة

(١) المذخر : هو أحد سدنة السلاح الإجماعي ، وواجبه أن ينقل الذخيرة ويجهزها في الأشرطة أو الخازن ، وتقديمها إلى السلاح جاهزة للرمي .

بطولاتهم .. ما دام قادتهم يمارسون مختلف صور الخيانة والغدر ، بهم ،
وبالبلاد ؟

ولقد استشهد الرائد البطل .. ومعه ضابط آخر ..

فلما هذا الرجل .. وكل الرجال الذين أدوا واجبهم .. سنوذي واجب
الشكر الآن .. وفي كل مناسبة ترجع فيها إلينا .. ذكرى صمودهم ..
ومرارة الجريمة التي نفذت رغم إصرارهم على منع وقوعها .. !

٣ - وليس للبطولة أن تقتصر على الضباط .. أو غيرهم من الرتب ..
فهو جوهر كريم .. قابض في كيان كل كريم .. يبرز باهراً الأبصار ،
متى أتت له البروز .. سواء أكان صاحبه ضابطاً أم جندياً أم مدنياً .. فالبطولة
والصمود ، هما من نتاج الأصل الكريم .. والتربية البيئية الكريمة الأصيلة ..
وليس للاختصاص أو الرتبة إلا تحديد مجال ظهورها ، أو تحديد الحجم الذي
يمكنه استيعابها .

ففي إحدى نقاط الدفاع ، في تل شيبان .. قام مجند واحد .. نعم عسكري
واحد ، ومجند - من أبناء دير الزور - بتحطيم سبع دبابات للعدو .. وبماذا ؟
بسلاحه الفردي المضاد للدبابات ، المسمى (القاذف ر. ب. ج) .

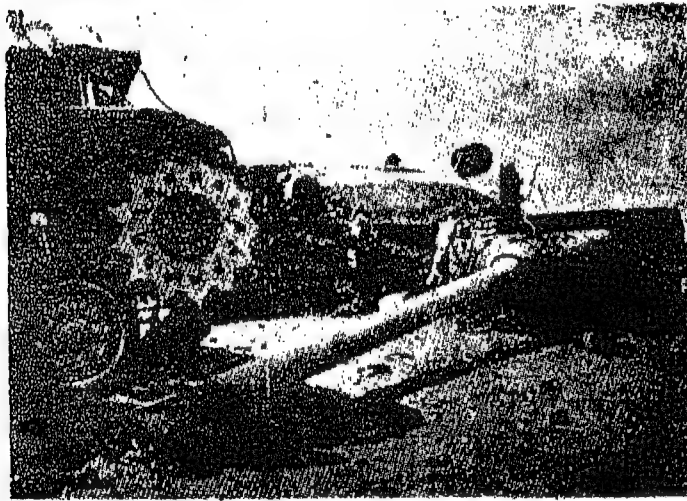
٤ - وفي نقطة تل الفخار .. ذلك الموقع الذي ترك أثراً مبرراً في
قلوب القادة الإسرائيليين ، طفحت به تصريحاتهم التي فاضت على ألسنتهم
أمام مراسلي الصحف الأجنبية المختلفة ...

في ذلك الموقع .. صمد الرجال .. وليت كل الرجال مثلهم .. أدوا
واجبهم بشرف ما فوقه شرف .. وبروا بالقسم الذي سبق أن أدوه لأمتهم
يوم أن ارتدوا لباس الجيش ..

صمد الرجال .. بقيادة ضابطين ، (النقيب نورس طه ، وملازم
أول لم يصل إلى اسمه) ، وقاوموا بعناد لا نظير له ومنعوا قوات العدو
المهاجمة من تخطي مجالات الرمي لأسلحتهم .. وقدمت هذه النقطة بفضل
وجاهة الأبرار .. أكرم وفاء لدين الأمة عليها .. ومات الرجال فيها ، شهداء
أبراراً ، كراماً ، ولم يتم للعدو متابعة احتلال الأرض إلا على جثثهم .. وبعد
لفاد ذخيرتهم .. وانزعاهم وتطويقهم ، وفقدان الاتصال بأي قائد مسئول ..



بطل مقاومات القلع : الراحل الشهيد محمد سعيد يونس



الدبابات الإسرائيلية ، محطمة أمام نقطة استناد القلع مقدمة دليلاً حسيّاً
على أن صمود الرجال ، يفل الحديد حتى واو كان من أحدث طرز
الدبابات

فأطبقوا جفونهم على ترى الأرض الحبيبة ، والأيدى مشدودة إلى الزنادات ..
تشكروا إلى الله ، خيانة الذين أوقفوا رجالها عن متابعة الضرب .. حتى يرند
العدو الدخيل .

هـ - وفي سهل المنصورة ، تصدى شبان من رجال المنصورة لرتل
الدبابات المتقدم نحو القنيطرة ، وأطلقا على عربة القائد ، وعلى تجمعات
القادة حوله ، خلال إصداره أوامر التقدم لدخول القنيطرة .. فإذا كان ؟
دب الذعر في صفوف الجناء المتقدمين لاحتلال القنيطرة .. وتراجع
رتل الدبابات الذى لا يقل عن ٥٠ دبابة مسافة ٣ كم إلى الوراء ، واحتل
الخط (باب الهوى - عين الحجل) ، ثم انتشر بتشكيلة القتال ، وأصدر
قائده أوامر الهجوم .. (الأكاديمية وكأنه سيهاجم موقعاً حصيناً) ، ثم تقدم
مستعملاً كل طرق الحذر والترقب والاستعداد للتدخل ، وقد شمل خط الفتح (١)
المسافة الآتية : يميناً السفح الشمالى الشرقى لتل العرام (انظر الخريطة
وهو شمال غرب تل أبى الندى) ، ويساراً طريق الأوتوستراد الواصل
ما بين المنصورة - الحميدية .. وتابعت قوات العدو زحفها بغاية البطء ..
وقد حيرها صمت المقاومة التى انبعثت فى وجهها فأجبرتها على التراجع .
ولما عادت وأشرفت على المنصورة .. طوقها ، وأخذ قائد الرتل يخاطب
سكانها بمكبرات الصوت ، ويطلب منهم الاستسلام .. ولما أعياه أن يجيب
أحد ، طلب أن يخرج إليه وفد من السكان .. فقابله بعضهم ، وسأله عن
القوات والجيش ، فأخبره أن الجيش انسحب ، ولم يبق فى المنطقة أحد من
القوات .

عندها سأله قائد الرتل الإسرائيلى عن المقاومة التى سببت له أن يتراجع
تلك المسافة ، فضحك المنصورى وأعلمه أن تلك كانت فورة حماس من
شبابين ، حصلا على بندقيتين من أسلحة الجيش الفار ، فأطلقا على الرتل
الإسرائيلى وسببا له ذلك الذعر كله . ولم تهدأ أنفاس القائد الغريب إلا حين
اطمأن إلى أن هذين الشابين قد تراجعا ، وأن البلاد أصبحت خاوية على

(١) خط الفتح ، هو الخط الوهمى على الأرض ، الذى تقوم القوات عليه بأخذ تشكيلات القتال ، انتقالات من تشكيلات المسير .

عروشها ، ولم يبق فيها إلا من لم يستطع الفرار ، أو الذين تشدهم الأرض لها بارتباطات هي أعمق وأقوى من كل خطر ، .. حتى ولو كان خطر الاحتلال الصهيوني .. بلزومه وخسته .

كان ذلك الحادث ، في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر السبت ١٠ حزيران .. وقد استغرق تراجع الرتل إلى خط الفتح عشر دقائق ، بينما احتل تقدمه (مجدداً) ٥ - ٦ ساعات ، اجتاز خلالها مسافة لا تزيد عن (٣) كيلومترات في حدودها القصوى ، وكان ذلك بعد إذاعة بيان سقوط القنيطرة من إذاعة حزب البعث .

وبلغ مجموع الخسائر التي ألحقها بتلك القوة ، رصاصات الشابين المذكورين ما لا يقل عن عشرة رجال بين قتيل وجريح .

٦ - في الساعة الرابعة من مساء الاثنين (بعد الظهر) ١٢ حزيران .. كانت تتقدم كتيبة دبابات إسرائيلية (٤٠ دبابة) ، على طريق (الرفيد - الجوزية - القنيطرة) وباتجاه القنيطرة .. وما أن وصلت مقدمة الرتل (سيارة القائد) إلى مشارف الحرش المحيطة بقرية (الجوزية) ، حتى أصلته نيران المقاومة جحماً أوقف الرتل بكامله ، فتوقف ، وانتشرت الدبابات واستنجد القائد بالطيران ... وجاءت طائرات (الهليكوبتر) وفلحت أرض الحرش كلها برشاشاتها .. حتى اطمأنت إلى إخمد المقاومة ... واستمر ذلك التوقف حتى صباح الثلاثاء ١٣ حزيران .. عندها عادت إلى قائد كتيبة الدبابات الإسرائيلية أنفاسه ، وعاود التقدم لإكمال احتلال القنيطرة .

ولقد قام بعض الذين أعرفهم بسؤال النازحين من أبناء الجوزية ، عن تلك المقاومة ، التي عطلت إكمال احتلال القنيطرة مدة لا تقل عن ١٨ ساعة فعلموا أنه شاب من أبناء القرية ، أطلق من إحدى البنادق التي وجدها كثيرة في الأرض (بندق الجيش الهارب) ، ولما نفذت الذخيرة التي كانت في الباردة ، أكمل تراجع باتجاه القنيطرة .. ثم دمشق .

٧ - وفي فترة الحرب ، حشدت إحدى كتائب جيش التحرير الفلسطيني ، في الرفيد ، وقد تمكن بعض رجال هذه الكتيبة من إسقاط قاذفة إسرائيلية بأسلحتهم الفردية .. ولكن الطيار تحلى عن طائرته وسقط بالمظلة .

هرع بعض رجال الكتيبة لأسر الطيار .. فجاءت أربع طائرات مطاردة وهاجمت الكتيبة ، واضطر الرجال إلى الاحتماء بالأرض تفادياً لنيرانها . عندها استغلت تلك الفرصة طائرة هليوكوبتر للعدو ، وأنقذت الطيار من الأسر أو القتل .

٨ - استطاع أحد ضباط الصف ، من قوات المدفعية م - ط المتمركزة على (تل أبي الندي) ، وهو المساعد عدنان الداغستاني قتل أحد الطيارين خلال هبوطه بمظلته ، بعد إسقاط طائرته ثم استشهد المساعد فعليه رحمة الله ورضوانه .

٩ - وفي حرش الجوزة ، كان واحد من الأبطال (مساعد لم يصل إلى اسمه) يعمل على مدفع مضاد للطائرات ، استطاع إسقاط أربع طائرات ميستير بمدفعه وحده (عيار ١٤,٥ مم رباعي السبطانات) ، ثم فاضت روحه الكريمة بعد أن هاجمته أربع طائرات ميراج بصواريخ النابالم فأحرقته ومدفعه .

١٠ - ولا يفوتنا في حديثنا عن صور البطولة الرائعة التي برزت خلال تلك الأيام العصيبة ، أن ننوه بالروح التي كانت من العسكريين المسرحين .. هؤلاء العسكريون ، الذين سرحتهم سلطات حزب البعث ، في نطاق خططها التي اتفقت عليها مع الإسرائيليين ، تمهيداً لوضع الجيش والشعب والبلاد كلها ، في وضع صالح لتقبل الهزيمة .

العسكريون الذين لم ينج أكثرهم خلال حكم سلطة البعث ، من العنت والأذى ، تسريحاً ثم اتهاماً بالعمالة للأجنبي أو مصادرة للأموال ، أو ملاحقة وحرماناً من الراتب ، أو سجنًا وتعذيباً بلغ حدود التشويه في كثير من الحالات أو حكماً جائراً بالسجن أو بالنفي أو بالإعدام ..

هؤلاء المسرحون .. الذين دربهم الجيش ذخراً له لساعة من ساعات المحنة كالتى كانت يوم المسرحية التي أسموها حرباً ..

هؤلاء العسكريون .. الذين أبعدوا عن حقل فعاليتهم الحقيقي ، وعزلوا عن المشاركة في الحرب .. وحملوا فيما بعد - مع باقي فئات الشعب - أوزار الهزيمة التي لم يكن لهم فيها مطلق دور ، ولم يسمح لهم بأى نشاط لمنعها أو وقفها عند حدود أقل مما كانت ..

هؤلاء المسرحون .. لا لشيء ، سوى أنهم رفضوا الموافقة على صفقة بيع الجولان ، وتحدوا حزب البعث المحرم وحاولوا تنحيته لمنعه عن تأدية ذلك الدور الخطير ..

رغم كل هذا وذاك .. لم ينسوا بلادهم وجيشهم وجولانهم الحبيب ، يوم المحنة .. فتقدم أكثرهم إلى قيادة الجيش ، واضعاً نفسه تحت تصرفها للدفاع عن البلاد ، ولما كان القيادة « شكرتهم » وطلبت منهم البقاء في بيوتهم وكأ أنهم من ذوات الحدود ..

ولقد تنوعت صور البطولة خلال المحنة التي أنست هؤلاء كل جراحهم . فجعلتهم يتقدمون للذود عن حياضهم .. رغم خيانة المجرمين .. أهل السلطة . - فمنهم من تطوع في الدفاع المدني ، للمساهمة في حماية المواطنين ، والتخفيف من خسائر الحرب ، وخاصة في المدن الكبيرة .

- ومنهم من التحق ببعض المنظمات الفدائية ، للمساهمة في العمل على مؤخرات القوات الإسرائيلية ، فيما إذا حاولت متابعة التوغل داخل البلاد . - ومنهم من التحق بإحدى وحدات الاحتياط ، طائفاً مختاراً . وهؤلاء كانوا قلة ، لأن التحاقهم يتوقف على موافقة القيادة ، أولاً وأخيراً .. والقيادة لا ولن توافق إلا إذا اطمأنت إلى الذين يطلبون الالتحاق بالخدمة ، بأنهم لن يعملوا ضدها .

- ومنهم من شكل - ببدايته - مجموعات للدفاع عن المدن . وخاصة دمشق ، بعد أن هجرتها القوات والسلطات البعثية وتخلت عنها ، وتركها مفتوحة في وجه القوات الغازية .

- ومنهم من قابل بعض القادة المسؤولين في دمشق ، وألحوا عليهم بوجوب تناسي الخلافات ، ودعوة كل الضباط للخدمة في ذلك الظرف العصيب .. ولكنهم - هكذا أرى - كانوا يجهلون أنهم يطلبون الدفاع عن البلاد ، من مجرمين يملكون كل التصميم والتخطيط المسبق لتسليمها إلى عدوها . مقابل ثمن بخس قبضوه ، فاستحقوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . - وحتى المشردين خارج البلاد ، الملاحقين المحكومين كانوا يتحرقون ويتميزون غيظاً للقيام بواجبهم ، فمن سبق منهم كان نصيبه السجن والمحاكمة وكان من أبرز هؤلاء الاخوان (عبد الرحمن ، وعلى السعدى) ، ومنهم

من اتصل بالقيادة العامة ، وخاطبوا الضابط المناوب .. وقد سمي نفسه « الرائد شريف » ، وأبلغوه أنهم يريدون العودة إلى البلاد ، والدفاع عنها ، فطلب منهم التريث ، ثم عاود الاتصال معهم ، وأبلغهم قرار القيادة برفض دخولهم إلى الأرض السورية ، التي كانت - تلك القيادة - تسلم منها جزءاً أغلى من حبة القلب إلى العدو الغريب الدخيل .

١١ - وفي ختام عرضنا لنماذج البطولة الصادقة ، التي تأتي إلا أن تجد لها متنفساً في كل لحظة تطبق خلالها سوءات الجريمة ، أو تحيق فيها الأخطار من كل جانب .

في ختام لحظات التسامى فوق مستوى الجريمة التي نفذها الفجار . وفي ساعة التجلي هذه ، التي تبسط فيها البطولة أجنحتها فتظل المنكوبين ، وتتسلل ذكرى الأبطال الذين أدوا ضريبة الرجولة .. فتلمس الجراح لمس الحزن المشبوب بالأمل في أن تعاود هذه الأمة الإنجاب ..

في ختام هذا السرد الموجز ، الذي استطعت الوقوف عليه من ملامح الأعمال البطولية التي أبرزت الوجه الحقيقي لهذه الأمة رغم ركाम الخيانة والجريمة الهائل ..

في هذا الختام .. الذي أراه مسك الختام لهذه الصفحات . لست أجد خيراً من المرور بإجلال واحترام ، قريباً من ذكرى أخى الأبطال .. وكريم الرجال .. العقيد أركان حرب كمال مقصوفة ، مبيناً حقيقة البطولة التي كلفته حياته .

ولم تبرز رجولة هذا الإنسان النبيل في ميدان الحرب ، لأنه لم يرسل للحرب .. بل برزت في ميدان قولة الحق ، الذي هو ميدان لصولات سادة الشهداء ..

العقيد كمال مقصوفة ضابط من الذين عينوا في مراكز التجنيد ، والذين تقع دعوة الاحتياط في حدود مسؤولياتهم .

ولقد استدعى إلى القيادة العامة (مبنى الأركان العامة في دمشق) ، ليشهد اجتماعاً عقده الحزبيون .. ليقرروا سلسلة من الإجراءات والأعمال « للدفاع عن البلاد » وذلك بعد سقوط القنيطرة ، وبعد أن أصبحت دمشق مهددة بالغزو الإسرائيلي .

وفي خلال المناقشة ، طالبوه بدعوة لوائى احتياط من أبناء (دمشق ، حمص ، حماة ، حلب) . فاستغرب العقيد المذكور هذا الطلب .. ونبيه القائد الذى يطالبه إلى أن دعوة الاحتياط لا يمكن أن تتم على أساس هذا التقسيم (أبناء المدن ، ومن الطوائف غير العلوية) ، وأن دعوة الاحتياط عادة تتم على أساس مكلفى الأعوام (مثلاً مكلفى الأعوام ١٩٦٠ - ١٩٦٥) أو على أساس دعوة المعبأة سابقاً (مثلاً : اللواء ٩٠ ، اللواء ٨٠ ، اللواء ٦٠ احتياط .. إلخ) .

أما دعوة الاحتياط من أبناء مدن معينة ، ومن أبناء طوائف معينة . واستثناء غيرهم من أبناء المناطق والطوائف الأخرى ، فهذا أمر فريد من نوعه فى تاريخ الجيش ، ومستحيل التطبيق لأن أجهزة شعب التجنيد ومكاتب النفر ، لا تملك الإحصاءات الجاهزة التى تمكنها من تنفيذ تلك الدعوة المريبة لبعض قوى الاحتياط .

عندها تصدى منطق التعصب والإجرام لمنطق الحق والإخلاص ، فأصروا عليه أن ينفذ ما طلب منه وإلا .. ثم ألحقوه ببعض النعوت التى لا تليق بإنسان كريم .

.. وجاء العقيد المذكور - رحمه الله - أن الأمر مطبوع مسبقاً ، وأن هذه الجريمة الجديدة ، معدة ومهيأة لوضع صفوة شباب هذه المدن فى وجه القوات الإسرائيلية المتفوقة ، بغية تركها للعدو فريسة يقضى عليها ، وبذلك يتم لهم إذلال تلك المدن ، والقضاء على أى أمل لديها بالمقاومة .. وأدرك كذلك أنهم يريدونه لتنفيذ تلك الجريمة .. ليحمل وزرها ، وينجوا - هم - أمام الشعب ، فرفض ، ورد التحدى ، وأفهمهم أن هذه الجريمة لن تتم وهو حى ، عندها عاجله أحدهم بإطلاق الرصاص عليه ، فقتل على الفور ، وصعد إلى ربه مظلوماً ؟ !

ولكن المجرمين .. بعد أن وجدوا البطل أصبح جثة هامدة ، هالهم الأمر وحاروا كيف يغطون جريمتهم ، فحمل وألقى من الطابق الثانى لمبنى الأركان وأشاعوا أنه « انتحر » ، ونقل إلى المستشفى العسكرى .. ثم سلمت جثته إلى ذويه ، ومنعوا من تشريحها ، كما أجبروا على دفنه سرّاً دون أن تكون له جنازة أسوة بأى إنسان آخر .. وذلك - شىء افتضاح الأمر ، وانقلاب الجنازة إلى ثورة ضدهم .

رحم الله كمال مقصودة .. فقد ذهب إلى ربه الذي نسأله أن يكتبه
شهيداً من سادة الشهداء . قال كلمة الحق في وجه سلطان جائر ، فتمنح
بإستشهاده تنفيذ جريمة خطط لها البعثيون .. وفوت عليهم ما دبّروا ..
فجزاه الله عن هذا الشعب كل خير .. وعوضه فسيح جناته ، وجعله قدوة
لغيره من الذين لم تستيقظ فيهم كوا من البطولة حتى اليوم .

رحم الله الشهيد .. ورحم الله كل الشهداء الذين ماتوا ثابتين صادقين ..
ولا رحم الله الذين ماتوا فارين مولين الدبر .. وشلت أيدي المجرمين الذين
نفلوا تلك الجريمة الفريدة في تاريخ الشعوب .

الفصل الثالث

نقّاس الإلّبات

« . . صحيح أننا عملنا حتى الآن على تسهيل الحياة أمام مملكة تعيش بعيدة عن النفوذ السوفيتي ، ولكن ، في النهاية ، تفرض علينا مصالحنا الاختيار . . نجد الآن أنه يوجد في سورية نظام بعثي . . وهو تحت النفوذ السوفيتي .

ولكن الواقع أن هدوءاً كاملاً يسود خطوط وقف إطلاق النار التي تفصل بيننا وبين هذه البلاد . وبتعبير آخر ، وبغض النظر عن المفاهيم العقائدية ، علينا أن ننظر إلى الأمور نظرة واقعية .

من تصريح آبا إيبان لـ « الإكسبريس » ٢٢ نيسان ١٩٦٨ . عن كتاب (المسلمون والحرب الرابعة) .

-١- من الجانب العسكري

... قبيل الحرب وخلالها افتعلت أخطاء عسكرية في غاية الأهمية والخطورة ، كان لها الأثر الذي نراه اليوم ، من فجعية تكاد تذهب بالعقول . والأخطاء التي ارتكبت ، سوقية (استراتيجية) ، أو تعبوية (تكتيكية) ما كان لها أن تقع ، لو أن القيادة البعثية كانت حريصة حقاً على صون البلاد ، لأن هذه الأخطاء ، لا تصدر عن مطلق قائد ، مهما بلغ من السداجة أو السطحية والارتجال في ما يتخذ من قرارات . ونحن نناقش الآن أهم هذه الأخطاء وأخطرها ، وما كان لها من نتائج سببت النكبة .

١ - عدم إعلان التعبئة العامة (النفير العام) : وذلك يعني أن حزب البعث ، لجأ لمواجهة تهديدات بالحرب يطلقها العدو الإسرائيلي ، ويعلن خلالها أنه سيزحف لاحتلال دمشق ..

مثل هذه التهديدات ، وما تلاها من تحركات وأحداث بدأت تتلاحق في تصاعد مستمر ، حتى بلغت نقطة « اللاعودة » ، وأصبح في حكم المحقق الأكيد ، وقوع الحرب ، والصدام مع العدو .

رغم كل ذلك .. بقيت قيادة (السويداني وجديد والأسد وزعين ، ومانخوس وسادسهم الأتاسي ، وكل الشركاء الآخرين في الجريمة) .. هذه القيادة ظلت محتفظة « بهدوء أعصابها .. ! » ، ولم « تؤثر التهديدات في خط سير الثورة » .. تلك التهديدات . . « الصغيرة التافهة » التي يطلقها العدو . . « لتدعيم موقع عملائه من الرجعيين والإمبرياليين (١) » .

(١) الصيغ الكلامية هذه وأمثالها هي من الصيغ التي استعملتها أجهزة الإعلام البعثية خلال فترة التهديد بالحرب . . منذ ٢٧ - ٥ - ١٩٦٧ .

أقول : إن قيادة حزب البعث ، لجأت لمواجهة ذلك الخطر المحقق ، بتظاهره دعائية مجرمة توهم أن القيادة تقوم بالحشد العسكري المطلوب .. بينما تركت الطاقات والقوى الحقيقية الفعالة ، والقادرة فعلا على مواجهة العدو والتصدي له بأمانة وفعالية .. كل تلك القوى والطاقات ، تركتها القيادة « البعثية » معطلة مشلولة ، وكأنها دخيلة على الوطن ، ولأن البعثيين ينظرون إلى هذه الطاقات ، نظرة الريبة ، ويرون فيها - لو جمعت وأطلقت يدها - مصدر خطر على وجودها واستمرارها في السلطة .

إن كل ما قامت سوريا (حزب البعث) ، باستنفاره من طاقاتها لمواجهة الحرب بعد أن تحقق وقوعها ، هو ثلاثة ألوية احتياطية من ألوية المشاة ، هي الألوية (٨٠ ، ١٢٣ ، والثالث لم أقف على اسمه) .. وهذا يعني أن كل ما استنفرت ، لم يتجاوز عشرة آلاف مقاتل .. كان معظمهم من الاحتياطيين بعيدى العهد بالتدريب .. ثم عبثوا في وظائف وأعمال ليست اختصاصاً لهم .. ثم رغم كل ذلك .. كلفوا الهجوم على « صفد » .

لقد استطاعت إسرائيل حشد (١١ ٪) من طاقاتها المقاتلة للحرب ضد العرب (١) ، وأن مبادئ النفير السليم تنص أن من واجب أية دولة لمواجهة الحرب ، أن تعبئ ما لا يقل عن ١٠ ٪ من طاقاتها البشرية للقتال ..

فإذا كان تعداد سكان سوريا لا يقل عن خمسة ملايين شخص . فإن من واجب الدولة أن تستنفر نصف مليون مقاتل وتضعهم في ظروف الاستعداد للحرب ، ليؤدوا الأمانة المطلوبة .

ولزيادة الإيضاح ، نؤكد أن نصف هذه النسبة على الأقل كان في وسع القيادة حشده واستنفاره لأن ما لا يقل عن ربع مليون من الرجال سبق له أن جند ودرب منذ تطبيق نظام التجنيد الإجباري في سوريا وحتى يوم المؤامرة .

إذن .. كان في وسع حزب البعث ، أن يعبئ ربع مليون من المقاتلين في وجه إسرائيل على الأقل وهذا الـ « ربع مليون » فيه من أهل الاختصاص والخبرة عشرات الألوف من الضباط وضباط الصف والجنود ، الذين

(١) انظر كتاب الوحدة العسكرية العربية الطامة الثانية ص ١٣٩ .

سرحوا من الجيش خلال العقود السياسية المتعاقبة ، فلم لم تستنفر هذه القوى لتؤدي دورها في الدفاع عن البلاد ١٩٩!

هنا .. تقع أولى نقاط الاتهام ، بحق المجرمين الذين صنعوا هذه النكبة ، ويدعم هذه التهمة تصريح خطير لقائد الجيش البعثي ، يثبت الجريمة .. ويدين المجرمين ..

فلقد صرح اللواء أحمد سويداني ، رئيس الأركان العامة ، عشية الحرب وبتاريخ ٤ - ٥ - ١٩٦٩ ، خلال زيارته لتفقد القوات في الجبهة ، وأمام جمع من ضباط الوحدات قائلاً : « إن القيادة لا تتوقع الصدام مع العدو .. وإن الذي تروونه يجري الآن ، ما هو إلا تظاهرة عسكرية بالحشد » .

٢ - حشد القوى الاحتياطية غير المدربة ، وتعبئة العسكريين في ملاكات ووظائف ليست من اختصاصهم ، في الوقت الذي تركت فيه العناصر الاختصاصية معطلة الفعالية ، ومعزولة تماماً عن ميدان القتال .. فكانت النتائج المذهلة التي رأينا .

إن أية قيادة ، مهما كان رجالها جهلة أو مغفلين ، لا يمكن أن تقدم على الذي فعلته قيادة حزب البعث ، وإن هذا الرأي الذي فعلته لا نجد له تفسيراً إلا أنه الخيانة المدبرة مسبقاً والمرسوم لها أدق الخطط وأكثر التفصيلات لوئماً وسوء نية .

إن أية مؤسسة (حتى بائع الفول والحمص) ، لا تسمح لغير المتخصص أن يمارس عملاً لا يفقهه أو لا يتقنه .. وهذا أمر طبيعي وبديهي .. فكيف تقدم قيادة جيش ، ومن ورائها قيادة دولة على وضع قوات بكاملها ، في مواجهة العدو - حتى ولو كان ذاك العدو ضعيفاً أو جاهلاً - وتكلفها بأخطر الواجبات القتالية .. وهي تعلم أن هذه القوات ليست إلا جمعاً متناثراً من الرجال - كما رسمت لذلك قيادة البعث - فاقداً لأبسط مستوى من التماسك والتعاون اللذين لا يتشأن عادة إلا بنتيجة التدريب المشترك الطويل ؟ كيف يمكن أن تقدم أجهزة دولة ، وقيادتها ، قوات للحرب عين فيها المتخصص بالهاون ، رامياً للدفع م - ط ، أو الذي أمضى خدمته السابقة حاجباً أو خادماً في بيت أحد الضباط ، رامياً للدفع مضاد للدبابات ؟

لا .. إن الذى حدث لم يكن أخطاء مبعثها الجهل أبداً .. فأجهزة النفير ومكاتبه التابعة لقيادة الجيش السورى لها من الخبرة والاختصاص ما جعلها تحقق - فى أوائل الستينيات - أرفع مستوى فى أعمال النفير وتعبئة الوحدات ، عرفتة دولة عربية على الإطلاق .

والجداول الإحصائية ، والسجلات الذاتية لكل من عاش فى الجيش نضم من المعلومات ما هو كاف وبدقة كافية ، لتعطى من يستعملها أوضح معلومات عن اختصاص كل فرد فى الوطن .. وبالتالي ما يمكنه من تعبئة هذه الاختصاصات فى ميادين عملها ، والوظائف التى تتيح لها أن تقدم أفضل إنتاج . فلم قامت أجهزة النفير خلال عهد حزب البعث بهذا العمل المحرم ؟ :

هذه أيضاً ، النقطة الثانية من الاتهام ضد الحزب وأجهزته المتسلطة على الحكم .

٣ - حشد الألوية والوحدات المختلفة فى حدود ضيقة من الأرض دون توفير الحماية الجوية لها ..

إن المعروف - بديهياً - فى الحرب الحديثة ، أن القوات الأرضية تكون شبه عاجزة عن تحقيق قتال ناجح - إلا فى حدود ضيقة وحالات خاصة كالليل والالتحام مع العدو - إن لم تكن تملك الحماية الجوية الكافية التى تمكنها من إجراء التحركات والمناورة ، دون خوف من ضربات جوية خطيرة . ولقد لجأ حزب البعث إلى حشد مجموعة ألوية فى قطاع ضيق من أرض الجولان . كان يغص أصلاً بالقوات المدافعة ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وازدحمت الأرض بالرجال والسلاح والعتاد والآليات .. كل ذلك ، أجراه حزب البعث ، فى غياب الطيران غياباً كاملاً عن سماء المعركة .. فكان ما كان من استئثار الطيران المعادى وتحقيق الفاجعة ، التى دمرت العديد من وحدات الجيش ، وأذلت رجولته وكرامته وسمعته ؛ وأفقده أجود أسلحته وعتاده :

والسؤال الذى لا بد من طرحه .. لإيضاح الجريمة ، هو عما فعلته قيادة البعثيين بالطيران السورى . هـ
إن من حقنا أن نسأل ، بل واجبنا أن نصر وبلح فى السؤال ، أين كان الطيران السورى فى تلك الحرب ؟

إن كانت قيادة الفلحيين لا تملك من الطيارين الذين تثق ببعثيتهم ، من هو قادر على امتطاء صهوات الميغ والتصدى للميراج التي يقودها جبناء من يهود ، فهل من حق تلك القيادة أن تخلى سماء البلاد من الطيران الذي تملكه وتكسده في العنابر (الهناجر) وتترك الطيارين القادرين على أداء دورهم مسرحين مشردين . يرون الطائرات الإسرائيلية تحرق أجواء البلاد ، وتحرق أرضها ، وتدمر قواها .. وهم معزولون عن التصدى لها ، فكأن الواحد منهم مصارع جبار شلت ساقاه وقيدت بالأغلال رجلاه ؟
هذه من زاوية الطيران الذي غاب عند الحاجة إليه .

وأما من الوجهة الأخرى ، المقاتلة . فكيف تقدم القيادة الفحة على إجراء ذلك الحشد وتحريك القوات في وضوح النهار ، وهي تعلم تمام العلم أنها عاجزة عن تحقيق حماية جوية لها ؟

أوليس هذا وحده دليلاً كافياً على أن تلك القيادة لم تكن جادة في كل ما قامت به من إجراءات هزيلة ادعت أنها قامت بها استعداداً للحرب ؟
٤ - الهجوم الكاذب :

وأما فكرة الهجوم ، ذلك الذي زعموا أنهم قاموا به أو ينوون فلنا عنده وقفة طويلة .

إن ما نود تأكيده ، ولفت الانتباه إليه ، أن سياسة الهجوم لم تكن معتمدة في سوقية (استراتيجية) القيادات السورية ، منذ قامت الهدنة الدائمة عام ١٩٤٩ ، وحتى يوم النكبة .

إن سوق القيادات المتعاقبة في سوريا - مدنية وعسكرية - كان كله مبنياً على الدفاع والتشبث بالأرض ، للحيلولة دون وقوع نكبة جديدة ، لأن الجيش - في تقدير الخبراء العسكريين - لم يكن في يوم من الأيام قادراً على تحقيق تفوق يمكنه من خوض هجوم ناجح على الأرض المحتلة ، لتصفية الكيان الإسرائيلي الدخيل ، إن كل ما بنى من سوق للدولة السورية - حتى خلال أيام الوحدة - كان قائماً على الدفاع وحده ، دون التعرض للعدو بأعمال تتسم بالطابع الهجومي ، مهما كان حجمها أو مداها .. لأن سياسة السوق السوري بنيت على عقدتين أساسيتين كانتا تحكمان العقلية التي تعاقبت على القيادة السورية منذ نكبة ١٩٤٨ وحتى حزيران ١٩٦٧ ، وهما :

أولاً : أن الوضع السياسي الدولي لا يسمح - في زعمهم - بالتعرض للعدو الإسرائيلي بأية أعمال هجومية ، محلية محدودة ، أو عامة تهدف لإزالة الوجود الإسرائيلي الحثيث .

وثانياً : أن القدرة القتالية الفنية (في التسليح والمستوى التكنولوجي وأعمال إمدادات القوات بشكل احتياجاتها للحرب) ، ستبقى دوماً عاجزة عن تحقيق التفوق القادر على دفع الجيش السوري لخوض حرب هجومية - خاطفة أو طويلة المدى - بهدف إزالة إسرائيل . ويتعبّر آخر وأوضح أن فكرة إزالة إسرائيل ، وتحرير الوطن المسلوب وإعادته إلى أصحابه الشرعيين ، لم تكن سوى شعارات تطرح للجماهير بغية الاستهلاك السياسي وكسب الانتصار والأتباع ، بينما كانت العقليات التي حكمت البلاد ، تؤمن وتردد في مجالسها الخاصة والسرية وحتى في مخاطباتها الرسمية (١) أن إزالة

(١) عقب معركة تل النيرب التي جرت بين القوات السورية والقوات الإسرائيلية في ايام ١٦ - ١٧ - ٣ عام ١٩٦٢ ، رفعت تقريراً مفصلاً إلى القيادة العامة ، شعبة المخبرات ، وأوضحت فيه نتائج المعركة ، والخسائر التي مني العدو بها ، ثم ذيلت التقرير باقتراح مؤداه أن نمر العدو إلى مجزرة أخرى نفذه فيها على أرضنا ، وفي منطقة البطيحة بالزلات ، وذلك بإرسال سائمة من التحرشات الصغيرة ، تجعل العدو يقدم على همل انتقامي كبير ضد قواتنا ، بهدف فيه إلى إزالة عار تل النيرب الذي لحق بقواته ، ورفع معنويات سكانه وخاصة في المنطقة الشمالية من فلسطين المحتلة .

ويتابع الاقتراح قوله : إن من واجب القوات السورية أن تكون مستعدة لذلك الهجوم الذي سيجري إليه ، واقتربت لذلك لإنهاء وحسدات من الدبابات والقوات الراكبة في وديان منطقة البعاية ، استعداداً لساعة دخول قوات العدو في الهجوم - الذي سيجري إليه في تلك المنطقة - ، وفي مثل ذلك ، تقوم القوات السورية بتطويق تلك القوات والفدك بها ، بعد أن تمزقها نيران المدفعية من خطوط انسحابها أو نجدها ، وبذلك تكون مجزرة لالعدو جديدة ، نعلم فيها معنوياته ، ونكافئه ضحايا كبيرة جداً ، ونظهره أمام العالم بأنه هو المعتدى - لأن الهجوم يجب أن يتم على أرضنا - ، وبذلك نكسب ضده معركة دعائية جديدة ، تشوه سمعته ، ونكسبنا احترام الأشراف العرب ، وبقاى شعوب العالم .

ذهب هذا الاقتراح ، وغاب أسبوعاً واحداً ، ثم أعيد إلى ، مع كتاب وقعه رئيس شعبة المخابرات - آ.ب.ك. - العقيد أ.ح. محمد منصور ، وفيه يقول :

« يطالب إليكم الكف عن مثل هذه الاقتراحات ، ونحيطكم علماً أن سياسة الدولة لا تبيح القيام بمثل هذه الأعمال » .

هذا ، وسنطلع القارئ على تفاصيل من هذا النوع ، وأكثر خطورة . . في كتاب قادم إن شاء الله :

إسرائيل شيء غير ممكن . . وأن هذا مما لا يصح إعلانه للجهاير . . لذلك فإن أفضل قيادة عرفتها البلاد ، كانت تركز كل اهتماماتها حول صون الحدود ، ورد العدو إذا ما حاول الزحف لابتلاع أرض جديدة ، والتوسع على حساب مزيد من الأرض السورية .

وإننا حين نصر على هذا المفهوم الذي يحكم السياسة السورية العليا ، طيلة سنوات ما قبل حزيران العار ، لسنا متجنين على أحد ، ولا نغمط أحداً . حقه أبداً . . بل ، وإن الذي يؤكد بشكل قاطع ما ذهبنا إليه ، هو إصرار القيادات المتعاقبة على زيادة التحصين ، ورفع مستواه ، حتى بلغ في عام ١٩٦١ ، مستوى من المنعة والقدرة والفعالية ، جعل خبراء الدفاع في العالم ، يصفونه بأنه التحصين الذي يستحيل اختراقه . وأنه قادر على الصمود حتى أمام ضربات ذرية صغيرة ، أو قصف كيميائي تستعمل فيه أنواع متعددة من الغازات أو السوائل الكيميائية الفعالة .

ولذلك . . فإننا حين سمعنا ادعاءات إذاعة حزب البعث ، إنها قامت بالهجوم ، واحتلت ودمرت ، وأن قوتها قد وصلت إلى صنف . . كان الانطباع المنطقي لدينا ، أنهم كاذبون دجالون . . يفترون الكذب على الله وعلى الأمة مجموعها حتى في أدق ساعات الخطر التي مرت بها خلال تاريخها الحديث . :

وقد أكدت الأحداث والأخبار والحقائق التي نشرت أو أذيعت أو تسربت على السنة الصادقين المخلصين الذين كانوا هناك أيام تلك الحرب . . صحة تكذيبنا لهم ، وأوضح لنا أنهم إنما كانوا يزايدون على الأمة حتى في اللحظة التي كانت جيوش العدو تحتل أرضها ، وتشرد مزيداً من أبنائها وتدمر ما يعجز الحصر من عدتها وعتادها وتسليحها .

وفيما اتخذته القيادة السورية البعثية من أعمال وأجرته من تحركات ، من أجل « الهجوم الكاذب » تكمن أخطر نقطة في المؤامرة التي نفذوها . . وبها سلموه جولاننا الحصين ، حبة القلب ونور العين وضياءها .

هذه الأعمال التي قامت بها القيادة البعثية ، تميزت بعملين هما في الحقيقة أهم ما نفذته من إجراءات ، ظاهرهما ضد العدو ، وحقيقتها كانت لصالحه . فالعمل الأول ، هو الهجوم الذي قامت به وحدات هزيلة من الحرس

الوطني - وما أعد الحرس الوطني في يوم من الأيام إلا للإنذار وقتال التأخير - دخلت فيه الأرض المحتلة مسافة ٢ - ٣ كيلومترات ، وهاجت مستعمرة شرياشوف ، فوجدتها خاوية على عروشها ، قد أخلاها العدو منذ عدة أيام سبقت الحرب .

والعمل الثاني . هو تقديم لواءين من الاحتياط ، لاحتلال قاعدة الانطلاق - انظر تحديدها في فصل سابق - بحجة اجراء الهجوم على صفد . فما هي مكامن الخيانة في هذين العاملين ، وما هي حقيقة الأهداف التي من أجلها نفذتها القيادة البعثية ؟

(أ) إن من المعلوم لكل من خدم في الجبهة (الجولان) . أن أكثر القطاعات احتمالاً أن تتعرض للهجوم المعادي ، هما القطاعان واسط ، والأوسط وذلك بسبب قرب المسافة ما بين القنيطرة والحدود في كل منهما .. ! ... ولقد كان قطاع واسط ، أضعف قطاعات الجبهة تحصيناً وتدعياً بالقوات . وذلك بسبب ضآلة المحاور الصالحة لحركة الآليات ، ووعورة الأرض وعدم صلاحيتها لإجراء المناورة الهجومية (بالنسبة للعدو المهاجم) . وأما القطاع الأوسط ، فلقد كان محور جهد الجبهة والجيش ، وكان أكثر القطاعات كثافة بالقوات والتحصينات ، وأفضل القطاعات صلاحية لإجراء قتال دفاعي نموذجي (بالنسبة لنا) ، يقدم العدو خلاله خسائر قد تفوق حدود التقديرات التي وضعت قبل إجراء أى قتال هناك ..

(ب) ويأتى في الأهمية بعد هذين القطاعين . القطاع الشامي . ومحور جهده هو طريق بانياس - مسعدة . وقد قام الجيش لذلك بتركيز فعال للمواقع الدفاعية على هذا المحور ، والمحاور الأخرى . الصالحة للتقدم ضمن القطاع ، بالإضافة إلى الملاجئ التي جهزت لتضيق العدو في موقف هو غاية في السوء ، لا يملك حياله إلا أن يتراجع ، أو يخضع فترة طويلة لنيراننا حتى يمكن له إصلاح التخريبات ومعاودة التقدم . أضف إلى ذلك التركيز الشديد بحقول الألغام التي زرعت في كل ثغرة تصلح لتنفيذ منها آليات العدو حتى بلغ عمق بعض حقول الألغام أكثر من مائتي متر ، وعرضها أكثر من كيلومتر . ومثل هذه المقاييس تعتبر نادرة في حقول الألغام التي تزرع في أرض غير صحراوية .

(ج) ويأتى فى النهاية ، القطاع الجنوبي ، وفيه محوران هامان ، أولهما هو محور الكرسى - (تل - ٦٩) - سكوفيا - فيق العال . وثانيهما هو محور الحمة - كفر حارب - فيق - العال .

ولو أن عدواً ما ، حاول إجراء الهجوم - بقواه الرئيسية - على أى من هذين المحورين ، لاعتبر مجنوناً أو أحمق أو جاهلاً ، لأن أية قوات تحاول التقدم مستعملة أحد هذين المحورين أو كليهما ، ستخضع لنيران من المدفعية - وحدها - كافية لتجعل من الأرض التى تقف عليها مقبرة لها ، لأن المحورين المذكورين هما فى غاية الوعورة والانحدار والتعرج ، أضف إلى ذلك ما حضر عليهما من ملاغم وتخريبات ، عدا المواقع الدفاعية الحصينة وحقول الألغام ، ثم . . النيران المحضرة لكل وحدات المدفعية والمهاون والطيران .

ورغم كل هذا ، وبما أن العدو لا يملك إمكانية تحقيق الكثافة البشرية التى تمكنه من تغطية القطاعات كلها فى الامتدادات الطويلة للحمة ، فلقد توقع القادة المتعاقبون الذين أشرفوا على رسم السياسة الدفاعية للحولان ، توقعوا أن يركز العدو كل همهم على تحقيق خرق خاطف فى أحد القطاعات ، ومن ثم ينطلق من قطاع الخرق هذا إلى عمليات التطويق ، ليشل القدرات الدفاعية للوحدات المتمركزة فى باقى القطاعات ، ويمنع عنها طرق إمدادها بالبنجادات والمؤن .

واتلافى إمكانية حدوث مثل ذلك . . فقد حسبت القيادات المتعاقبة حساب عمليات التطويق هذه فأقامت مجموعة من المواقع والتجمعات القتالية لتتحكم بالطرق التى سيركز العدو جهده للوصول إليها واستعمالها فى عمليات الالتفاف والتطويق . لذلك نرى أن كثيراً من النقاط والتجمعات القتالية قد أقيمت لتسيطر على هذه الطرق وإحباط نوايا العدو .

ومن أهم هذه المواقع والتجمعات :

فى القطاع الشمالى : حوش مسعدة - بقعاتا - القلع ،
فى قطاع واسط : تل شيان .

فى الأوسط : معسكرات كفر نفاخ - نقطة استناد العليقة الشمالية

(على طريق حفر - العليقة) ، معسكرات الحشنية وفيها تقيم كتيبة دبابات القطاع الأوسط التى كان لها واجب الدفاع عن الحشنية فى حال عدم زجها فى المعركة الدفاعية الأساسية :

في الجنوبي : معسكر الجوخدار حيث تقيم فيه كتيبة دبابات القطاع الجنوبي ومنه تنطلق لشن الهجمات المعاكسة في اتجاه القنيطرة ، وفي اتجاه الحشنية .

وأما على الخط العرضاني الأقرب إلى الحدود . والواقع معظمه في منطقة الحيطرة ، فإننا نجد سلسلة من المواقع الهامة واجبهها الدفاع في كل الاتجاهات وإحباط محاولات التطويق أو الالتفاف التي قد يقوم بها العدو . ومن أهم هذه المواقع (من الشمال إلى الجنوب) قنعة ، حفر ، في الشمال و ٢١٧ ، علمين ، تل المشنوق . تل ٦٢ ، تل الأعور . في الأوسط . و - ٦٩ في الجنوبي .

إذن .. نستطيع أن نقول أن القطاعين الهامين . اللذين « يجب إخلاؤهما من القوات المدافعة ليتمكن العدو من التقدم بحرية وراحة هما القطاع الشمالي ، والقطاع الأوسط .

ونظراً لأن العدو ، لا يمكن أن يعطى تفصيلات خطته لعملائه - مهما بلغوا من الأمانة له والحرص على خدمته - لذلك فقد أشار عليهم لإخلاء هذين القطاعين ، من القوات ، فكان له ما أراد . وقامت القيادة البعثية بلبعضها الخطرة ، فأخرجت القوات المدافعة عن أخطر مواقع القطاع الشمالي من مواقعها ، وزجت بها في معركة هجومية صورية ، أنهكتها ، وخيبت ظنونها . فلما عادت لتحتل مواقعها ، وجدت أن الخيانة قد صفت كل شيء ، إذ هرب القادة ، وانهزمت القوات ، ودمرت مواقعها الدفاعية ، فلم يبق أمامها إلا الفرار أو التمزق (١) .. وبذلك خلت المواقع الأمامية الحصينة في القطاع الشمالي من حماها .. وقيل للعدو الإسرائيلي . أقبل فالأرض مفتوحة أمامك .

وأما في القطاع الأوسط . . فلكي تبلغ اللعبة القذرة غايتها ، وتحقق أهدافها ، اخترعت القيادة البعثية فكرة الهجوم على صفد ، وأوكلت أمر تنفيذها إلى الأولوية الاحتياطية الهزيلة ، ثم بحجة ذلك الهجوم ، سمحت القوات الأصلية المرابطة للدفاع ، من مواقعها التي تعرفها تماماً ، وتتقن القتال فيها - بحكم التدريب والإقامة الطويلين - فكان إخلاء الأرض من حماها بذلك الأسلوب المدمر اللئيم ، « أدق » عمل أدته القيادة البعثية ، لخدمة أطماع الغزو

(١) ولكنها صمدت رغم كل ذلك ، وظهرت فيها بطولات حيرت الأعداء .

الإسرائيلي . . التي لا تقف عند حد ، وحتى وضع القوات الاحتياطية في ذلك الموقف ، لم يخل من دقة في التآمر . وحرص على تنفيذ الجريمة بأكثر السبل ضماناً لبلوغها غايتها .

فبالإضافة إلى كل المساوئ التي كانت تشل فعالية تلك الألوية الاحتياطية ، كانت هناك فكرة خبيثة وخفية في هذا العمل . وما يخصها أن القيادة أو أحلت محل القوات المدافعة الأصيلة ، قوات نظامية مدربة ، فإن هذا يشكل خطراً على مخططاتها المشتركة مع العدو لتسليم الأرض الحصينة . . لأن القوات المدربة جيداً ، والمتماسكة في بنيتها ، تعرف تماماً أن من الطبيعي أن ينقلب الهجوم بين لحظة وأخرى ، إلى دفاع ، فيمكنها — بحكم التدريب والمعرفة المسبقة — أن تدير قتالاً دفاعياً ناجحاً ، يرد كيد العدو إلى نحره ، ويخرب مخططات القيادة البعثية في التآمر . . فلجأت إلى إحلال القوات الاحتياطية المتنافرة غير المدربة ، في ذلك الموقف العصيب ، لتضمن عجزها عن خوض قتال دفاعي جيد وفعال في وجه العدو ، وبذلك ضمنت للغزاة إخلاء الأرض ومواقعها من كل طاقة ذات فعالية قد تعترض سبيلهم . ويبقى في هذا الشرح ، وضع قطاع واسط ، الذي فيه أيضاً حصل الاختراق .

ولقد سبق أن قلنا إن هذا القطاع ، هو — من حيث التحصين — أضعف قطاعات الجبهة ، ولكن وعورة الأرض ، وقلة الطرق الصالحة لتقدم الآليات ، كانت البديل الأفضل لهذا الضعف ، ورغم كل ذلك ، فإن المقرر له أن يدافع عنه لواء بكامله مع كل أسلحة التعزيز . . فإذا فعلت القيادة البعثية بهذا القطاع ؟

أولاً : إن اللواء المقرر له أن يحتل قطاع واسط ، ليدافع عنه لم يتقل إلى مكانه ذاك . . واكتفت القيادة بالقوات الضئيلة المستعارة من الحرس الوطني ومن القطاع الشمالي ، لاحتلال نقاطه ومواقع الدفاعية .

وثانياً : نرجح إنه كان في تقدير القوات الإسرائيلية والقيادة البعثية ، أن هذا القطاع لن يصمد طويلاً ، فلا يلبث أن تضعف مقاومته وينهار ، وخاصة أن الطيران سينهك قواته قصفاً وإحراقاً ، مع الضمانات السككية بأن القيادة البعثية لن تفعل شيئاً لنجدته . . وهذا ما حصل فعلاً ، منذ صباح

الجمعة ٩ حزيران . . فتم الاختراق فيه ، وتقدمت القوات لاحتلاله متخذة تشكيلة الأنساق المتتابعة ، خوفاً من بطولات تعترض سبيلها فتردها مدحورة مذمومة ، رغم كل ضمانات حزب البعث ، وأعماله التي كفلت لها تسليمها الجولان بدون قتال .

ونريد الآن أن نسأل : من أين هبطت فكرة الهجوم على القيادة البعثية ، وهي تعلم أن جيشها ليس إلا مؤسسة بوليسية قادرة على قمع الشعب والمهجوم على المقدسات والحرمات . . وليس لها أن تخوض أى قتال هجومى فعال داخل الأرض المحتلة ؟

لماذا قررت القيادة البعثية إجراء الهجوم . . مع إنها لم يكن فى سياستها وسوقها أنها قادرة على ذلك ؟ .

إن الجيش السورى عشية حرب حزيران ، كان فى أسوأ حال عرفها منذ إعادة تشكيله عام ١٩٥٥ ، ولم يكن أحسن حالاً منه خلال أعوام الضعف التى سبقت ذلك العام ، وكانت القيادة البعثية تعلم ذلك . .

أفلا يكفى القيادة السورية البعثية ، علماً بأحوال جيشها وعجزه عن خوض قتال ناجح ضد العدو الإسرائيلى ، أن يعلن لها - منذراً - أحد كبار قادة الجيش السورى البعثى ، اللواء فهد الشاعر ، خلال محاكمته :

« إن جيشاً يشغل فى السياسة ثمانى عشرة ساعة ، ويأكل وينام خمس ساعات ، ويتدرب ساعة واحدة فى اليوم . . إن هذا الجيش لن يرجى منه نفع ساعة المحنة » ؟

القيادة البعثية كانت تعلم أن جيش العدو متفوق على جيشها فى مختلف المجالات ، وخاصة فى حقل الطيران ، وهي تعلم أن طيرانها عاجز عن حماية البلاد حتى من سرب جراد ، لأنها شردت الطيارين ، وخزنت الطائرات فى عنابرها . . خوفاً من أن يستخدمها طيارون غير بعثيين ضدها ، فتفقد مواقع الحكم التى تدير منها التآمر والخيانة لتسليم الأرض إلى عدو لا تقف له أطماع عند حدود . !

فن أين جاءت فكرة الهجوم هذه . . رغم كل علمها بأنها عاجزة عن خوض أى هجوم ؟ هنا سؤال خطير . . ستكشف الأيام تبعاً ، جوانب من الإجابة عنه ، لأن من غير المتيسر لنا كشفها كلها . . ونحن لا نملك

الاطلاع على ما يدار ويحاك في دور السفارات والأقبية السرية . . ولكننا لا بد من أن نشير إلى مسئولية الخبراء الروس . . في تلك الجريمة .

نحن نقول إن فكرة الهجوم - أصلا - كانت مسرحية لتبرير سحب القوات المدافعة الأصلية ، وإخلاء طريق القوات الإسرائيلية من كل مقاومة فعالة .

ولكن . . لماذا أشار الخبراء الروس بوضع ألية الاحتياط في مقدمة قوات الهجوم . . ذلك المزعوم ؟ ؟ !

نحن لا نستطيع تبرئة الخبراء الروس من تلك الجريمة ، لأنهم ليسوا حديثي عهد بالعمل في سوريا ، وقد مضت عليهم سنوات عشر ، يعملون خلالها في الجيش ، يدربونه ، ويطلعون على كل ما يخصه ، حتى أصبحوا على علم بأدق التفاصيل عن سلاحه ، وعتاده ، وتعداداته ، والتغيرات التي أصابته ، ومستويات تدريبه والقدرات القتالية لوحداته .

وما داموا يعلمون كل تلك التفاصيل ، أكثر من كثير من ضباط الجيش ، وما داموا يعلمون أن مستوى الوحدات الاحتياطية لا يؤهلها لخوض هجوم فعال ضد دفاع محصن . . فكيف لهم أن يسيروا بوضع هذه الوحدات في المقدمة بحجة أن من الأفضل ترك الوحدات النظامية للعمل في داخل إسرائيل ، فتكون مرتاحة متياسكة . . ويمكن عندها لها أن تحقق استغلال الفوز ؟ ؟ !

إن الخبراء الروس الذين دربوا جيشنا . . ليسوا أطفالا أو حديثي عهد بالخدمة العسكرية . . إن أقل رتبة فيها كانت رتبة العقيد . . وإن أقل واحد منهم ، كان له اشتراك في الحرب العالمية الثانية عدا مئات المناورات التي خاضها في جيشه اشتراكاً مع جيوش الدول الشيوعية الأخرى . . وهؤلاء هم من الخبرة والعلم العسكري ما جعلهم أهلاً لتدريب جيش ناشئ كجيشنا . . وهم يعلمون أن جميع جيوش الأرض ، تضع أقوى وحداتها ، وخيرة سلاحها وعتادها ، في الهجوم الرئيسي ، لتوجيه الضربة الأولى والرئيسية ، التي إن تمت بنجاح ، ستزول دفاع عدوها ، وتمهد لتشييد قواه ثم تدميرها . .

جميع جيوش العالم . . تزعج بخيرة قواها لتحقيق الفوز منذ الضربة الأولى . . فكيف أشار أو قبل الخبراء الروس الذين يعلمون ذلك أن تزعج القيادة السورية بقوات قليلة التماسك وهزيلة التدريب . . والمعاناة أسوأ تعبئة عرفها تاريخ جيش - ما - في مواجهة دفاع حصين متماسك متين . . بحجة ترك الوحدات العاملة ، مرتاحة لتتابع التوغل في عمق - دفاعات العدو ؟ ؟

إننا لم نجد تفسيراً لهذا العمل ، سوى التواطؤ . . إما لصالح إسرائيل مباشرة وهذا ما لا نملك إثباته فيكفينا إننا ننذره إليه . . وإما التواطؤ المأثورين به من قياداتهم ، لترك الألوية (البعثية الاشتراكية) ، سليمة لحاجة الخط اليساري الثوري ، من أية تحركات شعبية عارمة ضده ، وخاصة في تلك الساعات التي برز خلالها جن و ضعف وتواطؤ الجيش البعثي - ومن ورائه حربه وأجهزته الحاكمة - تجاه العدو الإسرائيلي ، وخطره الآتي عبر الحدود . وإن الذي يؤكد ما ذهبنا إليه هنا - هو ما رأيناه من إصرار وسرعة مذهلة ، قامت بها دولتهم - الاتحاد السوفيتي - في تعويض ما خسرت الدول الثورية العربية خلال مسرحية حزيران ، وخاصة في حقل الطيران ، بسبب فعاليتها في شل قدرة أية تحركات قد تقوم بها الشعوب المنكوبة لإزالة الذين صنعوا لها النكبة . . بينما بقيت دواة من الدول المنكوبة - غير اليسارية - تعاني حتى اليوم من النقص الخطير الذي لحق بقواتها عقب النكبة . . ذلك لأنه ليس في مصلحة روسيا نجدة هذه الدولة غير الثورية . . !

هـ - البلاغ رقم ٦٦ بسقوط القنيطرة :

ومن الأمور الخطيرة جداً . . التي تميزت بها أيام الحرب (المسرحية) ، هو تصرف القوات بعد الإعلان الكاذب عن سقوط القنيطرة . . وهذا ما يحتاج إلى مناقشة وتوضيح .

(أ) لترك جانباً ، - ولفترة محدودة فقط - إصرارنا على أن بلاغ سقوط القنيطرة ، قد أذيع قبل سقوطها بزمان غير قليل ، فلقد سبق أن بينا ذلك بوضوح وأثبتنا أن القوات الإسرائيلية كانت وما تزال تشبك بالمقاومات الفردية المعزولة ، في تل شيبان ، والقلع ، وتل الفخار ، وفي المنصورة وأماكن متفرقة أخرى . . حين أذيع البلاغ الكاذب ذاك . .

ولنفترض جدلاً أن البلاغ كان صحيحاً . . وأن القوات الإسرائيلية قد دخلت القنيطرة وقت البلاغ تماماً أو قبيله بزمان بسيط . . فلماذا تترك الوحدات الباقية مواقعها . وتفر كالفئران ؟ ؟

إن نظرة واحدة إلى خريطة الجولان . . توضح أن سقوط القنيطرة ، لا يشكل خطراً أو تهديداً مباشراً ضد باقى القوات المقيمة فى القطاعات الأخرى . وخاصة الأوسط والجنوبى . .

إن القنيطرة تباعد عن مواقع القوات الرئيسية فى القطاع الأوسط ، عشرين كيلو متراً ، وعن مواقع القوات الرئيسية فى الجنوبى خمسين كيلومتراً . . فهل يمكن أن يسمى احتلال العدو للقنيطرة ، التفافاً أو تطويقاً ضد هذه القوات ؟ ؟ .

إن التطويق لا يكون تطويقاً ، إلا إذا استطاعت القوات عزل الوحدات المطوقة تماماً ، والإحاطة بها من كل جانب ، وقطع طرق انسحابها أو تموينها ونجدها ، ومن ثم تبدأ القوات المطوقة زحفها لتدمير القوة المطوقة ، أو إجبارها على الاستسلام .

وحتى فى هذه الحالة - النادرة فى الحروب - كثيراً ما تقوم القوة المطوقة بأعمال تتسم بطابع العنف والضراوة ، بهدف فك الحصار ، وفتح الطريق إما لانسحابها أو لتأمين وصول النجدة إليها . .

وفى حالتنا هذه التى نناقش ، يرى الناظر إلى الخريطة أن قوات الجولان لم يتم تطويقها ، وأن نجدة الجولان كانت ممكنة - وهذا ما سبق للقيادات أن وضعته فى احتمالها - إما عن طريق قطنا - مزرعة بيت جن - مسعدة (من الشمال) ، وإما من الطرق المختلفة المؤدية من حوران إلى القطاع الجنوبى ثم الأوسط (من الجنوب) ، وإما من الطرق المؤدية من دمشق إلى منطقة القنيطرة مباشرة (من الشرق) .

وكذلك يرى الناظر إلى الخريطة ، أن مجال المناورة كان واسعاً جداً ، فالأرض فسيحة . والطرق متوفرة والليل كفيل بالسماح للقوات السورية بإجراء التحركات اللازمة حتى تتم الالتحام مع العدو ، لطرده ، أو وقف زحفه على الأقل . . !

إذن . . فليس للقوات أى عذر فى تركها لمواقعها ، بحجة أنها سمعت
بلاغ سقوط القنيطرة . . فظنت أنها قد طوقت : . أو أصبحت مهددة
بالتطويق . .

هذا من ناحية . . ومن الناحية الأخرى . . لا بد لنا من التذكير بأننا
نوهنا فى فصل سابق ، أن المواقع الدفاعية — كل المواقع — قد حضرت ،
لتقوم بالدفاع فى كل الاتجاهات (الدفاع الدائرى) . .

فلو عدت معى إليها القارئ ، إلى فصل (الإعداد المسبق) ، لوجدت
أنه لكل سلاح قد جهزت مواقع رعى تكميلية ، وأن الأسلاك الشائكة
والألغام قد أحاطت بكل موقع من كل جانب ، خماية له من نقطة ضعف . .
وتسهيلا له أن يقوم بالقتال فى أى اتجاه يقع منه التهديد .

إذن . . نستطيع القول : إنه حتى واو قامت القوات الإسرائيلية بالزحف
من القنيطرة إلى باقى القطاعات ، لقتالها من أحد الجوانب أو الخاف . .
فإن تلك القوات كان يجب أن تصمد ، وتقاتل . . لأن ذلك من صلب
مهامها . . ولأن أكثر القوات (وخاصة قوات القطاعين الأوسط والجنوبى)
قد دربت مسبقاً ، وخلال سنوات طويلة ، على تلك المهمات القتالية المختلفة .
وأخيراً .. علينا أن نضيف ، أن الأوامر المستمرة ، الدائمة التى كانت
تلقن لكل عسكري يدخل الجبهة (الجولان) ، تنص على أن من واجبه
الدفاع والقتال حتى الموت . . وأن لا انسحاب مهما كانت النتائج ، فكيف
استطاعت الشائعات التى راجت عن أوامر انسحاب أصدرتها القيادة . .
أن تفعل فعل السحر فى تلك النفوس المتخاذلة . . حتى تركت مواقعها
وولت الدبر ؟ ! . .

ومن كل ذلك . . نستطيع أن نؤكد أن أسباب الصمود والاحتفاظ
بالأرض كانت متوفرة ، فالأوامر الدائمة المسبقة بوجوب الدفاع حتى
الموت ، وإعداد المواقع للقتال فى كل الاتجاهات ، وتوفير إمكانية المناورة
والضرب ضد العدو فى كل أرض ، وإمكانية إمداد ونجدة القوات عبر
الطرق المختلفة . . ومناعة التحصين الذى كان قادراً على تأمين حماية كافية
ضد الطيران الإسرائيلى . . ووفرة المواد التموينية من ذخيرة وطعام ومواد
علاج ، المكسدة فى مستودعات القطاعات والوحدات . .

كل ذلك . . لم تستفد منه القوات ، فما أن سمعت البلاغ المشنوم . . حتى بادرت إلى ترك مواقعها — وحتى أسلحتها ووثائقها — . . ثم أسلمت السيقان للريح . . ميممة شطر إربد وحوران أو دمشق أو لبنان وهي تعتقد أنها لن تبلغ الأمن والسلامة إلا بخروجها من حدود الأرض التي تحمل الصبغة القتالية . . أرض الجولان . .

٦ - الهجمات المعاكسة :

ويبدو لي الآن أن الحديث عنها قد أصبح أقل ضرورة مما كنت أعتقد ، لأن ذلك لا يعدو كونه جزءاً من الحديث عن أعمال القوات ، الذي تعرضنا عنه في الفقرة السابقة . . .

ولكن ذلك لا يعنى أننا نغفل مناقشة هذا الأمر الخطير . . وخاصة فيما يتعلق بالقيادة العامة وأعمالها . . فإن نحن سلمنا أن القوات المدافعة التي كانت تحتل الجولان ، قد تحاذلت وجبنت في وجه العدو . . فلماذا لم تقوم القيادة العامة بذلك الواجب . . وتبادر هي إلى الزج بالقوى الرئيسية التي تحت قيادتها ، لسد الخرق الذي حصل ، ورد القوات المعادية ، أو إيقافها عند حدود ضيقة على الأقل ؟ . .

قد يتصدى متنطع وقح ليقول إن الطيران الإسرائيلي كان مسيطراً على جو البلاد كلها . . وهذا ما يمنع تحرك الوحدات لإجراء الهجوم المعاكس المطلوب . .

وأفضل رد على مثل هذا الادعاء ، هو أن الذي يقوله . . جاهل ، يتحدث بما ليس له به علم . . أو منافق مخادع والغ في الجريمة . . ويريد صرف الناس عن خطورتها . .

إن من الأسس العامة لقتال القوات ، أن الطيران — مطلق طيران — يكون عاجزاً عن التدخل ضد قوات عدوه في حالة الالتحام بين الطرفين . . وإن من أبسط قواعد التحركات العسكرية أن الليل يشكل أكبر عامل مساعد لتحرك القوات خفية عن أعين الرصد المعادى . . كما يقدم حماية كاملة للقوات خلال تحركها على الطرقات . . رغم إمكانية الطيران — أى طيران — استخدام المشاعل والقنابل المضئية لكشف أعمال العدو أو تحركاته في منطقة من الأرض . . ولأن ذلك يبقى محدوداً ضمن مساحات معينة ،



بأمثال هذا الـ (...) ، تدعى إسرائيل أنها هزمت «رجال» الجيش السوري ،
واحتلت الجولان ، فهل يصدق عاقل أن ذلك حق ، وأن «رجالا» مقاتلين كانوا
في ميدان الحرب ، قبالة هذا الـ (...) وأمثاله ؟

وفي حدود ثوان أو دقائق معدودات . . وهذا لا يعين الطيران على القيام بهجوم ناجح في الليل ضد القوات الأرضية . .

ومن المعلوم كذلك أن الطرق المؤدية إلى منطقة واسط - القلع (قطاع الخرق) ، أكثر من أن تحصى . . والقوات السورية تعلم تلك الطرق خير علم . . كما سبق لها أن مارست عليها مختلف أنواع التحركات والأعمال التدريبية .

كان من الممكن إذن للقيادة - لو أنها أخلصت - أن تجرى التحركات اللازمة ، وتدفع بالقوات المكلفة لإجراء الهجوم المعاكس ، في الليل ، حتى تصل إلى خطوط الفتح المقررة لها ثم تقوم عند بزوغ أول ضوء ، بتنفيذ الهجمات المعاكسة المطلوبة . . وبذلك تكون قد حققت واجبها وبقيت في مأمن من تدخل الطيران ضدها . . !

ولقد سبق أن بينا أن شعبة العمليات أصدرت تلك الأوامر ، وكان اللواء عواد باغ قد تدخل بنفسه لتحقيق ذلك الواجب الكبير . . وإذ كان ؟ . . لا رأى لمن لا يطاع . . فالسلطة الحزبية قد علمت على السلطة القانونية العسكرية حتى في أسوأ لحظات المصير . . وتطاولت عليها ، ورفضت القادة البعثيون تنفيذ تلك الأوامر ، مستندين إلى سندهم وحماهم في الحزب المحرم . . وبذلك كان مثل اللواء عواد باغ ، كمثل ضابط عربي يصدر الأوامر لقوات سوفيتية مثلاً . . فهل لها أن تطيع ؟ . . !

٧ - الطعام :

ثم موضوع الطعام ، ما حقيقته ، وما هو السر السكّام في اختفائه ، وكيف كان له أكبر الأثر في وقوع الكارثة ؟

إننا نعلم أنه منذ بداية التوتر ، ومع تصاعد احتمالات الصدام مع العدو ، أخذت مظاهر الاستعداد « الكاذب » لذلك الصدام ، تتلاحق ، وتأخذ صوراً أشتى . . حسب كل ميدان من ميادين الاختصاص .

ولقد كان من جملة مظاهر « الاستعداد » . . قصة طعام الطوارئ . . قصة سحبه وما كان لذلك من آثار خطيرة .

ولكن يمكن فهم هذه النقطة ، ومدى خطورة اللعبة الخائنة التي ارتكبتها قيادة الحزب ، لضمان تسليم الجولان ، إلى العدو دونما مطلق مقاومة .

لمكى يكون الأمر هذا واضحاً ، نعود قليلاً إلى الوراء . . إلى نظام الطعام في الجولان . . خلال عمره قبل نكبته ، ونكبة الأمة بضياعه :

(أ) إن إطعام القوات في الجبهة (الجولان) ، كان مؤمناً بواسطة المطابخ ، التي تؤمن الطعام الطازج في وقته ، والتي كانت منتشرة في الجبهة ، على مستويات مختلفة ومتعددة ، بدءاً من المطابخ الميدانية المتنقلة ، ومروراً بالمطابخ الثابتة للوحدات الصغرى المنعزلة . . حتى مستوى المطابخ الكبيرة التابعة للثكنات والمعسكرات ، التي تضم وحدة كبيرة أو أكثر (١) . . ولكن إلى جانب ذلك . . ومع احتمالات القتال - التي ما وجدت القوات في الجولان إلا لمواجهة - المختلفة ، والمتعددة الوجوه . . ومع احتمالات انقطاع التموين - لفترات مقدرة ومحسوبة - لجأت القيادة إلى نظام توزيع أطعمة الطوارئ .

(ب) وأطعمة الطوارئ . . عبارة عن أنواع من الخبز (المحفف أو البسكويت) ، الذي يحتوى على غنى مركز بالفيتامينات الحيوية الضرورية ، مع معلبات من لحم البقر ، أو السردين .

هذه الأطعمة ، خصصت للاستهلاك في حالات انقطاع التموين . . وقد حددت الأوامر الحالات التي يسمح فيها باستهلاك أطعمة الطوارئ هذه أو جزء منها . . ثم علق تنفيذ هذه الأوامر (أى مدى انطباقية حالات تنفيذها ، على الواقع اليومي الذي تواجهه القوات) بأوامر خاصة تصدر لهذا الغرض ، من قيادة الجبهة .

إذن . . نستطيع أن نفهم أن أطعمة الطوارئ هذه ، كانت من مواد التموين التي شدد الحرص عليها حتى أصبحت بمستوى اللذخيرة من حيث الأهمية . . وهذا معلوم سببه . . لأن الجندي إذا جاع . . يصبح صعباً عليه أن يقاتل .

(ج) وزيادة في الحيلة ، ونظراً لأن وحدة القتال الأساسية التي بنيت عليها مواقع الدفاع في الجولان ، هي « نقاط الاستناد » التي تدافع عنها « سرية مشاة » معززة أو مخففة . . وبسبب من طبيعة الأرض التي تفرض على نقاط الاستناد هذه أن تواجه احتمالات العزل أو التطويق ، خلال الصدام المحتمل . . ونظراً لأن هذه الاحتمالات . . تجعل « آلياً » تلك النقاط

(١) سيرد شرح مفصل ومنتع لهذا الأمر في كتاب قادم إن شاء الله .

مطالبة بأن تقاتل اعتماداً على قواها الذاتية ، فترة محدودة ، ريثما تتم نجبتها وكسر الحصار المفروض عليها . . لذلك . . فقد زودت هذه النقاط ، بكل احتياجاتها التموينية . . التي تمكنها من القتال (منعزلة) ، فترة من الزمن ، كافية لإعطاء فرصة للوحدات الأخرى ، لنجبتها . . وقد كان أضعف تقدير لهذه المهلة « ٤٨ ساعة » . . وكانت أطعمة الطوارئ من حملة المواد التموينية التي رودت بها تلك الوحدات . . بل ، وزودت بها حتى المواقع والمخافر الصغرى المنعزلة - بغض النظر عن حجم الوحدات المدافعة عنها - . وحتى في الكثير من النقاط والمواقع . . وخاصة التي كانت تواجه احتمالات الحصار أكثر من غيرها ، بسبب انعزالها أو وعورة الأرض حولها ، مما يسبب تأخر نجبتها . . حتى في تلك المواقع . . لم تترك أطعمة الطوارئ لدى قيادات السرايا أو قيادات تلك المواقع . . وإنما وزعت على المستويات الصغرى ضمنها . . حتى بلغ التوزيع في بعض الأماكن مستوى الفرد . . حيث كنا نجد بعضاً من تلك المخافر والمواقع . . وقد زود الأفراد فيها بكل احتياجاتهم من الذخيرة والطعام (للطوارئ) لمواجهة القتال منفرداً . . مع الاحتفاظ بنسبة معينة من هذه المواد التموينية ، تحت تصرف القائد - على كل المستويات - ليتصرف به حيث تدعو الحاجة .

(د) وحرصاً على بقاء هذه الأطعمة دوماً بحالة ممتازة ، وخوفاً من فسادها وتلفها . . فقد لجأت القيادات المتعاقبة إلى نظام رائع باستبدالها . . . وكانت الأوامر الدائمة قد حددت ذلك النظام كما يلي :

١ - خصصت أياماً معينة من كل شهر ، يكون فيها طعام القوات ، جافاً ، وتقوم الوحدات بالحصول عليه من مخزونها من أطعمة الطوارئ (حسب الجعالة القانونية المقررة) .

٢ - تقوم أجهزة الشؤون الإدارية في الوحدات ، بتعويض ما استهلك فوراً (وفي اليوم نفسه وأحياناً بصورة مسبقة) ، بغية الحفاظ على مخزون الوحدات من هذه الأطعمة متوازياً مع مخصصاتها القانونية - وحسب التعداد. ويكون هذا التعويض للوحدات ، دوماً من مخزون القيادات في مستودعاتها .

٣ - تقوم القيادات - في الوقت نفسه - بتعويض ما استهلك من

مخزونها ، بواسطة وحدات التموين المختلفة ، وأحياناً - وحال الاضطراب - من الأسواق ، وذلك لبقاء مخزون المستودعات متوازياً بصورة دائمة .
هذا ، . . . مع لفت الانتباه إلى أنه كان يؤخذ دوماً بعين الاعتبار في عملية الاستهلاك والتعويض ، الترتيب الزمني لاستخدام هذه المواد وخزنها . . . وأحياناً وقت صنعها - في بعض المجلات التي كتب عليها تاريخ التعبئة .

هذا النظام هو الذي سارت عليه الوحدات وقيادتها المتعاقبة . منذ إنشاء الوضع الدفاعي في الجولان ، وحتى الأيام الأخيرة التي سبقت النكبة . . . في تلك الأيام . . . وبالتحديد منذ حوالى ثلاثة أسابيع قبل الحرب أصدرت قيادة الجبهة (قيادة أحمد المير . . البعثي) ، أمراً بسحب جميع أطعمة الطوارئ . . . بحجة استبدال أطعمة جديدة بها . . . (وهذا وضع انفردت به قيادة البعث بين جميع القيادات المتعاقبة) . . . وبذلك مرت الأيام الأخيرة التي سبقت الحرب . . . دونما تزويد للقوات المدافعة بأى نوع من أطعمة الطوارئ ، واقتصرت تزويدها بالطعام على الأسلوب اليومي المعتاد في تأمين الطبخ الطازج .

ومرت الأيام تشعر بقرب الصدام يوماً بعد آخر . . . وأطعمة الطوارئ الجديدة - التي ادعت قيادة البعثيين إنها ستقدمها بدل الأطعمة السابقة - ، لم تصل إلى الوحدات . . . حتى وقعت الواقعة . . . وحصل الصدام . . . وقام الطيران الإسرائيلي بقصفه المركز المنهك على قوات الجبهة . . . مستهدفاً في جملة أعماله ، المستودعات ، ومراكز التموين . . . ، وأماكن الطبخ ، وآليات التموين المتحركة على الطرقات . . . فانقطع بذلك مورد الطعام الوحيد عن القوات . . . وبقيت طيلة أيام ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، حزيران . . . بلا طعام ولا ماء . . . إلا ما استطاع العسكريون فرادى : الحصول عليه ، إما من قرى مجاورة ، أو من بقايا المخزونات (سابقاً) في مستودعات السرايا والوحدات الأمامية .

هذا عن قوات الوضع الدفاعي . . . الموجودة في الجولان . منذ ما قبل الحرب بزمان طال أو قصر . . .

أما قوات الهجوم (المزعم) . . . فلقد كان الأمر لا يقل سوءاً لأن لم يكن أسوأ . . .

نحن نعلم . . . أن من حملة ما يزود به كل مقاتل في الهجوم ، طعام جاف يكفيه لمدة - ٢٤ - ساعة . . . على أن تتكفل وحدته بأن تؤمن له بعدها وجبة واحدة على الأقل طازجة (ساخنة) ليستطيع الاستمرار في عمليات القتال المنهكة . . .

ولكن القيادة البعيثة ، زجت بالألوية الاحتياطية في واجب هجومي ، (مزعم) . . . وحركتها لاحتلال قواعد الانطلاق تمهيداً لهجومها — (الدجال) . . . دون أن تزودها بأى نوع من أطعمة الطوارئ . . . بل استمر تأمين الطعام حتى صباح ٥ حزيران ، بالأسلوب نفسه الذى كانت به تؤمن أطعمة باقي الوحدات . . . ولكن ما أن ابتدأ القتال . . . وبدأ القصف الجوى المركز على هذه الوحدات وغيرها . . . حتى انقطع التموين . . . وأصبح حال القوات كحال أختها السابقة التى شرحنا عنها . . . وأصبح الجميع فى الجوع والظمأ والتعرض لقصف الطيران الإسرائيلى ، سواء . . . وهنا . . . يمكن أحد الأسرار المذهلة . . . التى تعطى تفسيراً عن السهولة التى دخلت بها قوات العدو ، أرض الجولان المنيع . . . دونما مقاومة تذكر . . . ذلك . . . أن بقاء القوات فى ذلك الوضع الغريب الشاذ . . . مدة تزيد عن أربعة أيام مع اللبالي . . . ، فى حال مريع ، من الجوع ، والظمأ ، إضافة إلى سوء التدريب ، وسوء التعبئة ، وفقدان السيطرة لدى القيادة ، وفقدان الاتصالات ، . . . إضافة إلى الحسائر التى تنزل بها كل يوم من تلك الأيام ، بفعل الطيران المعادى . . . والحيانات التى أخذت تصنى جيوب المقاومة الباسلة من خلفها . . .

إن ذاك كله . . . جعل القوات مشلولة عاجزة عن اتخاذ أى موقف جدى حازم ضد قوات العدو ، لذلك ما أن بدأت الشائعات تسرى عن أوامر الانسحاب . . . حتى بدأ الهرب المذهل المخزى . . . على نحو فصلناه فيما سبق وأعطيناه حقه من الشرح والتوضيح . . . ثم ساهم فى التعجيل بالكارثة البيان الفاجر . . . عن سقوط القنيطرة . . . المزعم . . . ولقد رأيت بعض الذين كانوا فى تلك الأيام هناك . . . وعاشوا المأساة

على مسرحها ، وكانوا من ضحاياها . . . ويا لهول ما وصفوا . . . ويا لهول
ملا لقوا . . .

ولن أطيل في وصف ذلك الهول . . . ولكن يكفي أن أنوه فقط ،
بأن أكثرهم أكل من أعشاب الأرض وخشاشها . . . وأن قسماً منهم سطا
(نعم سطا يسطو سطوا) على بعض القرى أو البيوت . . . والقسم الآخر كان
يعطرق الأبواب (حتى في دمشق) ، بذل وانكسار ، يطلب ، رغيفاً من
الخبز ، يقيم به أوده ، في وقت كانت الرتب تحلى الكتف أو اللراع ،
واللباس العسكري مازال يمتد الجسد والرأس . . . الذي لم يبرز منه إلا الوجه
بعد أن غطت اللحية معظمه ، أو شوهته الحروق ، وغطاه تراكم الدخان والغبار
مجبولين بالعرق والدم . . .

٨ - الخسائر :

ونعود مرة أخرى إلى الخسائر ونبدأ بالحديث عن الأنفس . . . لأن
الذي ثبت أن الخسائر فيها كانت قليلة لا توازي الريح الذي حصل عليه
العدو ، باحتلال الجولان .

إن احتلال الجولان ، لو تم بعد قتال صحيح ، حقق فيه الطرفان أقصى
الجهود ، لفوز كل منهما بهدفه وإنجاز مهماته . . . لسكان اليوم كل من حشد
من القوات الدفاعية للبحيش السوري ، بين قتييل وجريح وأسير ، ولما كانت
الخسائر لدى الطرف الآخر - العدو - تبلغ ضعف الخسائر السورية إن لم
نقل أكثر . . .

فالأوامر الصريحة بوجوب التثبيت بالأرض ، إضافة إلى متانة التحصين ،
وكثرة الموانع . . . ، يقابلها في الطرف الآخر ، إصرار لدى العدو على
تحقيق أهدافه ، تعززه إمكانات نارية هائلة كان أهمها الطيران الذي عمل
بحرية ودقة . . . !

إن هذا وذاك . . . لو أنه جرى فعلاً كما كان يجب أن يجري . . . لغطيت
أرض الجولان بالخشث ، تزيد على ما دمر من سلاح وعتاد ، ويا ليت ذلك
محصل . . . إذ أن لكافة خسارة الأرض أقل فجيعة منها الآن . . . ففي ذلك
عزاء كبير . أن العدو لم يحتلها بسبب جن القوات وتأمر قادتها . . . !
ولكن هل ذلك يكفي ، . . . وهل يريح النفس أن نقول إن القوات قد
انهزمت من وجه عدوها ، ولم تؤد واجبها ؟ . . .

إن ما يلفت النظر ، هو أن القوات الإسرائيلية ، قد ظفرت أكثر من مرة بتجمعات من القوات الهاربة ، أو بأرتال مشوهة متجرجرة تسحب أذبال الخزي والعار في رحلتها هروباً إلى أرض « الأمان » ... : فلماذا لم تقم بالفتك بهذه القوات الهاربة ؟ .

هل هذا نبل من العدو . . . أن لا يفتك بقوات محطمة مشردة بعد أن ألقت سلاحها وغادرت مواقعها مولية الدبر ؟ . . .

إن تصرف العدو هذا . . . يثير التساؤل حقاً ، ويستحق وقفة فاحصة ، للتعرف على الأهداف اللثيمة التي كان العدو يرميها بعمله هذا . . .

وقبل أن نحاول التعرف على تلك الأهداف . . . ومقدمة تقود إلى التعرف المقصود . . . نوكد أن موقف العدو من تلك القوات ، لم يكن أصيلاً في طبعه ، وإنما كان جزءاً من مخطط ذى أهداف بعيدة . . .

ذلك أن العدو . . . يقوم كل يوم في داخل الأرض المحتلة بعمليات الإبادة والتهجير ، ضد كل الآمنين العزل ، ويوقع فيهم أشد أنواع الإرهاب والوحشية . . . مما لم تعرف له الإنسانية مثيلاً إلا في سمون حزب البعث العربي الاشتراكي . . . ، شريك العدو . . . والمنفذ الأول في المؤامرة .

ونحن نرى كل يوم ، ونسمع في اليوم مرات كثيرة . . . عن الوحشية والعنف اللذين يمارسهما العدو ، ضد أية وحدات أو أفراد من الفدائيين ، حين وقوعهم في قبضته . . . كما أننا ما زلنا نذكر بأوضح ما تكون الذكرى . . . وحشية العدو وحققه في القدس والكرامة وقليلية ، وإصراره على إزال أكبر الحسائر بالأرواح ، قبل الممتلكات والعتاد . . .

فلم إذن كان ذاك الموقف العجيب . . . الذي وقفته وحدات العدو من القوات السورية الهاربة الهائمة على وجهها في الاتجاهات الأربع وتفرعاتها؟؟؟
إننا لا نجد لذلك إلا تفسيراً واحداً ، تتفرع عنه أهداف عديدة ، قصد إليها كل من العدو الإسرائيلي ، والحزب البعثي . إن التفسير الوحيد لذلك الموقف . . . هو أن العدو - حين وضعت خطة تسليمه القنيطرة ، - قد قام بإعطاء تعهدات والتزامات مؤكدة ، بأن قواته « الظافرة » لن تتعرض إلى الأشخاص ، شريطة أن تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بسوق هؤلاء الأشخاص ، (ويشكلون بمجموعهم الوحدات المقاتلة) إلى إلقاء السلاح والفرار من وجه القوات العدو المهاجمة . . .

... لقد نفذ العدو التزامه كأدق ما يمكن أن ينفذه آخر سواه ...
وسلم الأشخاص من حقد القوات اليهودية . . ، فكانت الخسائر من القلة
بحيث لا يليق ذكر عددها ، نسبة إلى ضخامة الخسارة التي وقعت في السلاح
والعتاد والأرض ، ... ونسبة إلى ما كان يجب أن يدور على تلك الأرض
من قتال . . . !

ولكن العدو المعروف بغدره ، ونكثه المواعيد والمواثيق ، وخيانة
العهود وضرب الحائط « وغيره » بالالتزامات التي يعطيها ، ماذا كان يهدف
من حفاظه على التزاماته هذه حتى نفذها بدقة وأمانة ؟

هذا ما سنحاول تفصيله من خلال ما نعرف عن حزب البعث وإسرائيل ،
كعدوين لثيمين يكيدان لهذه الأمة في دينها ومستقبلها . . !

(أ) إنه لم يسبق أن جاء حكم إلى سوريا ، قادر على تخريبها وتحضيرها
لتقبل غزو العدو الإسرائيلي مثل حزب البعث ، ... وقد بينا ذلك في كثير
من الإشارات العابرة أو المفصلة إلى هذا المعنى وأثبتناه . . .

(ب) ونتيجة منطقية لهذا . . فإن العدو الإسرائيلي ، لا ولم ولن يكون
أحد أشد منه حرصاً على تثبيت حزب البعث في مواقع الحكم . . . ثم مساعدته
للامتداد حتى يشمل خطره كل جزء يشكل تهديداً — عاجلاً أو على المدى
البعيد — ، للوجود العدواني الإسرائيلي الغريب .

(ج) وإذا ما قام العدو بتدمير القوات ، وإلحاق خسائر في الأرواح
كبيرة . . — خلافاً لما قدم من التزامات مسبقة — ، فإن لذلك نتائج خطيرة
على مخططات العدو للمستقبل ، وأهم هذه النتائج الخطيرة تقع في :

أولاً : إن حزب البعث لن يعود يثق بالعدو الإسرائيلي ، وفي ذلك
خطر كبير على مستقبل العلاقات بينهما ، وإذا خسر العدو مثل هذه الهيبة ،
فإن من الصعب عليه أن يحصل على أخرى مماثلة له ، لا بعد إعداد وجهود
مضنية طويلة قد تثمر ، وقد لا تعطى إلا النتائج المعكوسة .

وثانياً : إن الخسائر الكبيرة في الأرواح ، ستجعل معظم عائلات سورية
منكوبة مؤترة ، بمعدل قتل أو أكثر في كل عائلة . . وفي ذلك ما يشكل
أكبر الخطر على وجود الحزب الحاكم ، لأن الجماهير المنكوبة بأبنائها . .
لا تستطيع نسيان تلك الجراح بسهولة ، فتصبح سهلة الانقياد لكل داع

يدعوها إلى إسقاط حزب البعث الذى تعتقد أنه سبب كل نكباتها ومحناتها...
والتي توجت أخيراً بمحنة حزيران العار .

وثالثاً : إذا تم تدمير تلك القوات وتشتيتها ، فماذا يبقى لحزب البعث
ليحمى نفسه من غضبة الشعب المنكوب ؟ . . .

إذن ، لا بد من الإبقاء على الوحدات سليمة ، شريطة أن تلقى سلاحها
وتفر خارج الأرض التي يريد العدو استلامها . . . وليقم بعد ذلك حزب
البعث . بإعادة تسليحها ليحمى نفسه ويثبت حكمه . . .

(د) إن عودة القسم الأكبر من القوات ، سالماء ، بعد أن رأى فظاعة
القصف المعادى ، وذاق أهوال الحرب ، ثم استمتع بلذة النجاة . . . فإن
لهذا نتائج تفيد العدو على المستقبل البعيد وتقع في :

أولاً : قدرة هذه القوات المهاربة على إشاعة روح الجبن والدلة والرعب
من الحرب بنشرها بين سكان البلاد أخبار الحرب ، وأهوال القتال . . . ومع
ما يرافق ذلك عادة من مبالغات وتهويل ، ينسجها خيال الجبان ، ليبرر -
بصورة غير مباشرة - ، أمام سامعيه وناظريه فراره وتركه مكانه مولياً ذبره .
وثانياً : استعداد هذه القوات نفسها . لتكرار الفرار والهزيمة في أى
صدام مقبل مع العدو على غرار ما حدث في سيناء ، خلال عامى ١٩٥٦ ،
و ١٩٦٧ . . . وهذا لعمرى من أهم ما يحرص العدو عليه . . . ويسعى
لتحقيقه .

وثالثاً : ستبقى هذه القوات في موقف ضعيف تجاه قيادتها . . . التي
ستبقى تهددها بالجزاء والعقاب على الفرار . . . فتضطر للاستمرار في الخنوع
الدليل للقيادة المتآمرة ، وتستمر هذه في تنفيذ ما يرسم لها من أدوار ومراحل
عمل جديدة . . .

وأما عن الأسلحة والعتاد . . . فقد كانت الخسائر فيها كبيرة جداً . . .
ونكّن الذى يلفت النظر ، أن الخسائر وقعت ضمن حالتين لا ثالث لهما :

١ - الحالة الأولى : وتشمل الأسلحة التي دمرت نتيجة القتال ، سواء
منها ما دمرته الاشتباكات مع قوات العدو ، وما دمره قصف الطيران
والمدفعية الإسرائيليين . . . وفي كل منهما . . . كانت الخسائر ذات قيمة
خطيرة . . . ولكن هذا أمر طبيعي ، لا يحزن ولا يستحق منا أن ننفق شيئاً
من الوقت وغيره في الأسف عليه . . .

٤ - الحالة الثانية : وتشمل السلاح والعتاد الذي ترك سليماً على أرض الجبهة . . . فاستفاد منه العدو أو سرقه المهربون ، أو أكلته عوامل التلف الأخرى . . .

هذا النوع من الخسائر ، هو ما يستحق الوقوف عنده ليكشف الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب المسكين المغلوب على أمره .

. . . إن من أهم المبادئ التي يتعلمها كل عسكري حتى تصبح جزءاً من حياته اليومية . . . وجزءاً من ردود فعله الطبيعية عند حلول وقتها . . . هو أن من واجب القوات - أية قوات - تدمير كل سلاح وعتاد لا تستطيع إنقاذه ، حين تشعر أن الوضع أصبح يقضي بالانسحاب من موقع تتركز فيه . . . وذلك حرصاً على عدم السماح للعدو بالإفادة منه . . .

ولقد كان أمام القوات التي انهزمت من الجولان متسع من الوقت ، لسحب أسلحتها وعتادها . . . أو تدميرها إذا هي شعرت أن الطيران الإسرائيلي لن يتيح لها حمل ذلك السلاح والعتاد . . .

فلماذا تركت الأسلحة والعتاد . . . في القسم الأعظم منها . هكذا . . . للعدو ليقوم بجمعها وتشكيل وحدات كاملة من جيشه مزودة بأسلحتنا هذه؟ . . لا بد من إجابة يطالب بها يوماً ما . المشواون عن تلك القوات ، وخاصة الضباط . . . لأن هذا يقع في دائرة واجباتهم خلال أعمال الانسحاب . . . ومثل هذا . . . يقال عن المستودعات . . . وخاصة مستودعات الوقود والذخيرة .

إن تدمير مثل هذه المستودعات ، لم يكن يحتاج لأكثر من يد لا ترتعش ، تقوم بإشعال فتيل معد مسبقاً لمثل هذه الساعة ، ثم تنسحب . . . فترك تلك المستودعات خراباً لا يجنى منه العدو مطلق ربح . . . ولكن تلك اليد ، افتقدت في ساعة الحرج .

وغابت في اللحظة التي تعين عليها فيها الحضور لأداء الواجب .

ويبقى في موضوع نقاشنا للخسائر ، الآليات .

الآليات بكل أنواعها ، بدءاً من عربات الجيب وانتهاء بالدبابات الثقيلة ، مروراً بالشاحنات ذوات الأحجام المختلفة ، وعربات نقل الجنود المدرعة . وقاطرات المدافع ، وحاملات الدبابات . . .

هذه الآليات ، كانت تشكل الثروة الآلية للجيش . . . فدمرت .

ولكن لماذا؟ . وما أسباب حرص العدو على أن لا تفلت منه إحداها؟ .

وماذا كان على سائقها وقادتهم أن يفعلوا للحيولة دون أن يشملها التدمير

بكاملها . . .؟

وهل كان يمكن إنقاذ شيء منها ، وإفلاته من قبضة الطيران الإسرائيلي ؟ ...
هذا ما نحاول الإجابة عليه .

— إن حرص العدو على تدمير كل القوة الآلية للجيش لا يخرج عن
حدود مخططة العام لتدمير الطاقات الفعالة في البلاد الغربية وشل
إمكاناتها ، وإلحاق أكبر ما يمكن من خسائر باقتصادها

إن تدمير تلك الثروة الضخمة من الآليات التي كان يملكها الجيش ،
يحمل في أحشائه إصراراً لثيماً على إنهك الشعب بالضرائب والتكاليف
إن من الطبيعي . أن تلجأ القيادة — أية قيادة — إلى تعويض ما خسرت
في الحرب . وهذا بدوره يحمل الحكومة نفقات هائلة لا مورد قادر على
تغطيتها إلا ما في البلاد من موارد ، وما في أيدي الشعب من طاقات للبدل ،
فتفرض الضرائب الجديدة ، ويطالب الشعب بمزيد من التضحيات .

وما دامت القيادة المعنية هي حزب البعث ومتسلطوه على الحكم ..
فإن ذلك يعني — استنتاجاً — إن مزيماً من الإذلال والإرهاق سينزل بالشعب
كله . وفي هذا ما يحقق المزيد من إطعام الشعب بقوت يومه .. عن التفكير
بقضاياه الكبرى . والمبادرة لممارسة مسئولياته في علاجه ... !

هذا من جانب العدو ، وحزب البعث ...

ولكن ما الذي كان من جانب القوات نفسها من أسباب التدمير ذلك ؟
إن الفوضى التي دبت في القوات .. وسوء استخدام الطرق والأرض
وإصرار القادة على تحريك الأرتال في ظروف سيئة حقق فيها العدو أقصى
تفوق في الجو ، ... ثم روح الهزيمة التي سيطرت على الجميع ، والتسابق
للمخرج من حدود الجولان فراراً من الموت والدمار ... هذا كله كان
السبب الأكبر في نزول الخسارة الماحقة تلك . .

إن من أهم مبادئ الدفاع السلي ضد الطيران ... التي تتعلمها كل
القوات خلال حياتها ... ، ويؤكد في تلقينها وتعليمها — بصورة خاصة —
على الضباط والسائقين ، والمسؤولين عن تنظيم حركات النقل ...

إن من أهم هذه المبادئ هو مبدأ انتشار الآليات .

إن انتشار الآليات ... يعني لكل مسئول عن حماية القوات ... وبالنسبة
للآليات ما يلي :

١ — بخصوص الآليات المتوقفة ... ، فإن ذلك يعني ويوجب نشرها
ضمن أكبر مساحة ممكنة من الأرض ... مع الاستفادة من كل ما فيها من
الخنادق وتضاريس ، تقلل من إمكانية انقضاض الطائرات ... وتزيد
من فعالية الأسلحة المضادة لها ، شريطة أن لا يسبب الانتشار ، فقدان

سيطرة القادة على تلك الآليات ...

٢ - وأما بخصوص الأرتال المتحركة ... فإن واجبها يقضى عليها حين تتعرض للهجمات الجوية ، أن تزيد الفواصل بين الآليات والوحدات ... وتزيد سرعتها ... وتحاول استعمال الطرق الفرعية أو الأرض على جانبي الطريق .. ، كل ذلك من أجل التقليل من تأثيرات الانقضاضات التي تقوم بها طائرات العدو ...

٣ - إضافة إلى كل ذلك ... فإنه علينا أن لا نغفل ما كان على تلك القوات من واجب التمويه والإخفاء وخاصة بالنسبة للآليات المتمركزة ... فهل حصل من ذلك شيء ..

إن النتائج التي حققها الطيران الإسرائيلي ... تدل بوضوح ودقة . على أن تلك المبادئ لم تطبق أو طبقت ولكن بشكل هزيل مخيف ... حتى بلغت الخسائر ذاك المبلغ الهائل .

واستناداً إلى ما لدينا من معلومات عن المدى وقع . واستناداً إلى ما نعرفه من طبيعة الأرض - وخاصة في مناطق الجولان وما حولها من أرض سورية - فإننا نؤكد أن تلك المبادئ والأسس كانت بعيدة من المسؤولين عن الوحدات وآلياتها ... ، بعد السماء من الأرض ...

إننا نؤكد أن الأراضي تلك كانت قادرة على إخفاء القسم الأعظم من الآليات ، بما تحويه من انحناءات وتلال ومناطق مشجرة ... لو أن المسؤولين عن الآليات وقادة الوحدات ، استطاعوا أن يماكبوا أنفاسهم ، ويسيطروا على السائقين ...

إن واجب أولئك القادة ، كان يقضى عليهم إجراء التحركات كلها في الليل .. ، بسبب انعدام الحماية الجوية لها ، ومن ثم ... الانتشار والتركز في النهار ... مستفيدين من كل إمكانية تقدمها الأرض للاختفاء ... ومضيفين إلى ذلك ما يقضيه وأجبهم من أعمال التمويه .

إن الذي سجلته عدسات التصوير ، وأفلام السينما والتلفزيون ، وما نشرته الصحف الإسرائيلية والأجنبية ، عن خسائر الجيش السوري في الجولان ، يثبت - مع أشد الأسف - أن كل الخسائر الآلية تلك ، قد وقعت على الطرقات المختلفة ، ولم يكن على الأرض خارج الطرق ، من الخسائر إلا ما يعادل من الجمل أذنه !

فما حيلتنا بعد ذلك كله ، مع جيش المراهقين .. جيش الجبهة ... الجيش الذي أثبت أنه أسوأ وأجبن المؤسسات التي أنفق عليها الشعب ثلثي موارده خلال عشرين عاماً ... ليحميه من خطر آت عبر الحدود ... فأسلمه لذلك الخطر ، وأسلم «شجعانه» السيقان للريح ؟؟ ...

الخلاصة

.. وبما أن عهد تسليم مفاتيح الممالك أو الدول أو البلاد قد ولى . وأصبح من مظاهر الخور في العصور القديمة (١) . . !
وبما أن التآمر والتواطؤ ، قد بلغ مستويات رهيبة من الدقة والشمول والإخفاء ، والتزويغ عن أعين الشعوب . . !
وبما أن أجهزة التآمر والغدر ، تملك القدرة العجيبة على التضليل . وإخفاء حقائق الأحداث ، وكوامن الدوافع إليها ، وإلباسها صوراً شتى متقنة الصنع . من الزيف الدعائي المضلل ، الذى يهدف تمويه المؤامرات . . وإظهارها للناس على أنها ملاحم بطولات ... !
وبما أن حزب البعث .. قد بلغ مرحلة التفوق بين الأحزاب والهيئات العملية ، فى التضليل الوقح . والقدرة على مجابهة الناس العارفين حقائق الأمور ، بوجه صفيق لا يعرف معنى الحجل .. ثم يلج على أن أعماله كانت غاية فى البطولة والأمانة ونبل القصد ، وسلامة النية . . !
لكل ذلك .. وغيره أكثر منه .. نقول : أن مؤامرة تسليم الجولان . ما كان لها أن تنفذ بشكل فيج وقع مفضوح .. بأن تسحب القيادة جيشها سلفاً أو بعد قتال صورى ، وهو فى كامل عدته وقواه .. ثم تقول للعدو ، أقبل واستلم حصتك عن الصفقة ..

(١) على غرار تسليم مفاتيح غرناطة إلى الأسبان على يد آخر ملوك بني الأحمر ، أبى عبد الله الصغير . والعازيف فى الأمر ، أن عملية تسليم المفاتيح لم تنقرض ، بل تحولت إلى تقليد احتفال يطبق فى احتفالات الاستقبال أو التكريم .. وذلك بتقديم مفاتيح المدينة ، أو الولاية ، أو المقاطعة . أو . . . إلخ ، (وهى مصنوعة عادة من الخشب أو الحديد أو حتى الذهب) إلى الشخص المحتفى به ، وذلك رمزاً للتكريم والحفاوة .

ومن أطرف ما ترينا إياه هذه الأيام ، أن مفتاح مدينة واحدة ، أو مقاطعة أو . . إلخ ، قد يعطى لأكثر من شخص واحد ، فى أكثر من مناسبة تكريم .

وأثر مظهر عشنا من هذه المظاهر ، هو تقديم مفاتيح مدينة القدس ، فى الفترة الأخيرة ، إلى السيدة « فيروز » المغنية المشهورة ، وذلك عرفاناً من « لجنة القدس » بالجميل ، وتقديراً لهذه المغنية ، التى « خدمت » قضية القدس بأغانيها أكثر مما « خدمها » كثيرون من الأسفراء والوزراء والمسؤولين العرب . . ! ! ؟

إن هذا لا يمكن أن يحدث ، وهذه الوقاحة ..
غير أنه حدث .. وكانت الصورة التي حدث بها .. أكثر لؤماً ، وأدق
حبكاً .. وأبرع في التضليل والخداع .

ونظراً لهذا كله الذي ذكرنا .. فإننا نقول أن مؤامرة تسليم الجولان قد
نفذت بواسطة سلسلة من الإجراءات .. اتخذها حزب البعث ، ليضمن وضع
البلاد كلها ، شعبها وجيشها وكل ما فيها من إمكانيات .. على شفا الهزيمة
المحققة .. وبأعمال نفذتها القيادة البعثية .. لتكفل بها عجز الجيش ، والشعب
من ورائه ، عن التصدي للعدو بقوة وضراوة فكان ما كان من هزيمة ،
وكانت النكبة .

ونستطيع أن نلخص الأعمال التي أقدم عليها حزب البعث - متواطئاً -
ليكفل الهزيمة للأمة كلها ، ولسورية خاصة .. بالأعمال التالية :

(أ) أعمال وإجراءات كبيرة على مستوى الأمة العربية :

١ - السعي بكل طريقة ، وبكل وسيلة ، وفي دأب لا يعرف الكلل ،
لتوريث المنطقة العربية كلها ، في حرب غير متكافئة مع إسرائيل ، لتحدد
هذه الأخيرة توقيتها وميادينها وحجم الأرباح التي يجب أن تجنيها منها ،
وكان ذلك .. في حرب المؤامرة (حرب حزيران العار) .

٢ - التهرب من كل عمل مهدف إلى توحيد الجهود العربية ، لصد
خطر العدو ، ونسف كل محاولة قامت بها الجامعة العربية ، أو بعض دولها ..
لإنشاء قوات مشتركة ، أو قيادة مشتركة تعطي الصلاحيات والقدرة على
التصرف بحرية تامة ، بكل ما تحت قيادتها من إمكانيات .

٣ - تسميم الجو العربي - حتى بين الشعوب العربية - بسموم الحقد
والخلافات التافهة التي أورثت فقدان الثقة ، وعمقت في القلوب أحقاداً
لا يغسلها إلا الدم .

٤ - ورغم اندلاع الحرب التي سعى الحزب إليها حتى بأظافره وأنوف
قاداته .. ورغم مطالبة القيادة الأردنية باشتراك الطيران السوري مع طيران
الأردن في قصف المطارات والقواعد الإسرائيلية ، خلال عودة الطائرات
المعادية من هجومها على مصر (صباح ٥ حزيران) ، وهي مجهدة ، وقد
نقد منها الوقود والذخيرة .

هذه المطالبة التي كررتها القيادة الأردنية أكثر من ثلاث مرات ..
وفي كل مرة كان الحزب يتهرب ويدعى أعذاراً واهية غريبة .. حتى أتاحت

بتلكوتها هذا ، لطائرات العدو أن تزود من جديد بالوقود والذخيرة ، وتستعيد سيطرتها المطلقة على سماء الحرب . .

٥ - ورغم كل تبجححات المسئولين في حزب البعث ، وخاصة في طبقة الحكام منه . . عن قواهم وطاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم . . ورغم كل ما أطلقوه من تهديدات لإسرائيل ، بالتدمير ، والطرْد ، والإذلال و . . الخ .

ورغم اندلاع الحرب ، وانشغال القوات الإسرائيلية بكل ثقلها في جبهة سيناء والضفة الغربية .

ورغم بروز الفرصة التاريخية لجيش سوريا ، بالقيام بخرق سريع للقسم الشمالي من فلسطين ، كان - لو نفذ - قادراً على تحويل وجهة الحرب نحو النصر ، أو الإقلال من حجم الكارثة . .

رغم كل ذلك . . فإن سوريا (حزب البعث) ، قد تأخرت عن الاشتراك الفعلي في الاشتباكات مدة ٢٢ ساعة ، كانت حاسمة في تاريخ أمتنا الحديث .

٦ - ورغم كل ما أصاب البلاد المشكوبة من بلايا ، وخسائر ، وهزيمة نكراء ، استمرت أجهزة الإعلام البعثية بإذاعة البلاغات الكاذبة عن « انتصاراتها » - الدونكيشوتية - ، مما كان له أكبر الأثر في ترك المواطن العربي في كل مكان مشلول التفكير ، عاجزاً حتى عن تصور حقيقة الأحداث ، حتى ما كاد يتوقف القتال ، لتنجلي أنباء الكارثة ، فوقع العرب أجمعون في ذهول المفاجأة . . ولولا عناية الله ، لكان ممكناً جداً في تلك الأيام أن تحصل إسرائيل على ما تريد من فرض شروط الغالب على المغلوب « نحن » .

(ب) أعمال وإجراءات على مستوى الدولة في سوريا :

١ - تسريح الجيش ، وإبداله بجيش غير اختصاصي ، وغير مدرب وغير متماسك ولا متمازج . . كانت فيه السيطرة الحقيقية للانتماء الحزبي ، وفي وسطه بوثة من الانتماء النصيري (الطائفي) المتعصب .

٢ - تدمير الاقتصاد في البلاد ، وتشريد رؤوس الأموال والخبرات الاقتصادية والمالية ، حتى عادت سوريا في اقتصادياتها وسمعتها المالية الدولية عشرات السنين إلى الوراء . . إلى ما قبل عهد الاستقلال .

٣ - تشريد كل الطاقات الفعالة المنتجة ، وكل الكفاءات العلمية والفنية (التجارية والصناعية والزراعية) حتى اضطُر كل أصحاب هذه

الكفاءات إلى الحرب من بلادهم . والتفرق في أرجاء المعمورة ، طلباً للأمن (وليس طلباً للربح) . . . وبذلك وضعت قيادة البعث ، البلاد على حافة الحرب . . . وهي في شبه إفلاس كامل .

٤ - عدم إعلان التعبئة العامة ، ومواجهة الحرب باحتياط جزئى غير مدرب ، وترك القوى المدربة ذات الفعالية الممتازة ، مشلولة مقيدة ، ترى بأعينها الفاجعة ، ويلدوى شبابها وهي لا تملك الدفاع عن حدود البلاد ومقدساتها .

٥ - تصنيف سكان البلاد إلى مواطنين من فئات متدرجة ، مما ساهم في تمزيق أواصر المجتمع ، وأشعر الفئات التي عوملت بظلم أنها دخيلة على الوطن ، ففقدت حماسها للدفاع عنه .

٦ - شن الحرب الضارية ، وبكل الوسائل القذرة ، على عقيدة الأمة وإيمانها (وخاصة شعب سوريا) وتربية جيش نافه فارغ الفكر والقلب ، فكان منه ذلك الموقف المتداعى في وقت يطلب فيه الصمود .

٧ - خنق الحريات ، وملاحقة رجال الفكر ، وحملة الأقلام ، واستئجار طبقة من أشباه الكتبة ، وأنصاف المثقفين ، يروجون للضلالات والعيال في حين عزل المفكرين المخلصين عن ميدان الحرب . . فكان وجه من أوجه النكبة .

٨ - إشاعة الفوضى والانحلال في الأخلاق ، وتشجيع السفلة على الاجترار على مقدسات الشعب ، ومعتقداته - وهذا من طبيعة كل حاكم يقوم على الطغيان - في ظل حماية الدولة ، وفي صور شتى . . تراوحت بين التهلك والفجور في ساوك طبقات معينة يرعاها الحزب ، وعلمنا على مرأى من كل الشعب . . ومروراً بالبرامج والمقالات والأغاني والحفلات التي يرعاها الدولة وتنشرها أجهزتها الإعلامية ، الرسمية وشبه الرسمية . . وانتهاء بمفاخرة القادة والحكام والضباط بل وحتى رئيس الدولة . . بسلوكهم الفاجر ولا أخلاقيتهم ، التي بها يحكمون (في كل شأن من شئون الحكم) . .

وليس أبلغ في الدلالة على هذا من مقالة تبجح بها واحد من رؤساء الدولة البعثيين (الفريق أمين الحافظ) أمام مؤتمر صحفي ضم مندوبين عن وكالات الأنباء وعدد من الصحف المنتشرة في العالم كله . . وقف خلالها يدافع عن سلوك ربيب الحزب الماخن . . سليم حاطوم ، وأمثاله من ضباط الحزب ، مع (...) أبرزهن الحزب ورعاهن ، مثل المغنية « لودى شامية » وغيرها

كثيرات (١) ..

٩ - عدم تسليح الشعب ، بل ومحاربة كل محاولة من الشعب للتسلح وتوزيع السلاح بلا حساب على المنظمات التابعة للحزب ، مثل منظمة الحرس القومي ، الذي أسموه فيما بعد : « الجيش الشعبي » ، وهو يضم في صفوفه كل العاطلين عن العمل ، والمنبوذين من المجتمع ، والذين تربوا في الشوارع أو في أوكار الفساد والرديلة ، فكان هذا « الجيش الشعبي » وسيلة إضافية لإذلال الشعب ، وقمع حرياته ، ونهب ثرواته ، والاعتداء على كل مقدس وعزيز عنده .

(ج) أعمال وإجراءات تتعلق بالجيش وبالوضع العسكري في الجبهة :

١ - تعبئة الاحتياط بأسوأ صورة من صور الإهمال والفوضى .

٢ - دعوة الاحتياط دعوة جزئية مبنية على الاعتبار الطائفية أو الطبقية البحتة .

٣ - اختراع فكرة الهجوم ، واتخاذ التحضيرات له بشكل تمثيلي ، لتبرير سحب القوات الأصلية من مواقعها الدفاعية وإخلاء المنطقة من كل الطاقات المقاتلة الفعالة .

٤ - ومحجة الهجوم الكاذب .. وضعت الأولوية الاحتياطية المهلهلة في الأنساق الأولى ، لتتلقى الصدمة الأولى من العدو ..

٥ - سوء حال أجهزة الاتصالات اللاسلكية والهاتفية حتى وصلت الحال إلى درجة انعدام الاتصال تقريباً بين القادة ووحداتهم وجوارهم ، فكانت تلك الفوضى الرهيبة التي عجلت بالكارثة .

٦ - ممارسة أوضح صور عدم الثقة بالقوات ، حين لجأت القيادة إلى تطويق الأولوية الاحتياطية (التي كلفت الهجوم على صفد) ، بكتائب

(١) كان ذلك في عام ١٩٦٤ ، وفي مؤتمر صحفي عقد لإيضاح كثير من قضايا الدولة والأمة ، وقد استشهد الحافظ المذكور - للدفاع عن الضباط الحزبيين الذين لا كت الألسنة سمعهم - بالعديد من الأبيات الشعرية ، مثل البيت :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الفانيات جسر الذبول
وغیره كثير ..

أوليس هذا الذي نراه ، تطبيقاً حرفياً لما أورده حكاء صهيون في (بروتوكولاتهم) ، من : « تحكيم السفلة ، في الشوب الأمية » ليتسنى لأبناء صهيون « القفز على ظهور الحبير ، لإنهاء سلطة البول الأمية » ؟ ؟ .

الدبابات (البعثة الموثوقة) ، لمنع تلك الألوية من أية محاولة لإسقاط الحكم المنحرف القائم في دمشق .

وكذلك . . حين لم توزع الأسلحة على الألوية الاحتياطية إلا قريباً من قواعد الانطلاق (للهجوم » بـ ١ - ٢ كم .

٧ - عدم نسف الملاجئ .

٨ - سوء التكوين بالدخيرة .

٩ - سحب أطعمة الطوارئ بحجة تبديلها . . فكان أن انقطع التوين وجاعت القوات خمسة أيام وعندها حصل انهيار الرهيب .

١٠ - انعدام أعمال الإخلاء ، الذي سبب انهيار المعنويات .

١١ - فقدان المواد الطبية والعلاجية ، رغم توفرها بكثرة لدى الجيش السوري .

١٢ - سحب القوات المدافعة الأصيلة - لإخلاء الأرض لقوات الهجوم - بشكل فوضوي سبب الزحام على الطرقات . . فكانت كارثة تدمير معظم هذه القوات (وخاصة عتادها وسلاحها) .

١٣ - عدم تنفيذ الهجمات المعاكسة على مختلف المستويات ، العدو يتقدم بحرية وراحة بال . وكأنما هو ذاهب إلى نزهة عسكرية .

١٤ - انعدام أعمال الاستطلاع ، التي كانت قادرة لو نفذت كما هو مقرر . على إمداد القيادة بأفضل وأحدث المعلومات ، لتتيح لها اتخاذ قرارات تحقق أفضل النتائج .

١٥ - إجراء معظم التحركات نهاراً ، وبدون حماية جوية ، فكان لطيران العدو فرصة التسلل بضرب هذه الأرتال من القوى المتخاذلة .

١٦ - سحب أسلحة المقاومة الشعبية . وترك سكان منطقة الجولان عزلاً في وجه خصم متفوق .

١٧ - وجود أفراد منتشرين في صفوف الحزب والجيش ، يعملون باتصال مباشر مع شبكات التجسس ، التي كان لها أثر كبير في إعطاء المعلومات الهامة في أوقاتها مسهلين بذلك للطيران المعادي حسن ضرب الأهداف بدقة عجيبة . ولا غرابة في هذا الأمر ، فكوهين وشركاؤه هم خير مثال على ما نقول .

(١) وما يافت النظر هنا ، ويؤكد أن جواسيس العدو وعملاه تشررون في كل مكان ، وعلى أعلى المستويات ، هو أن شركاء كوهين أمثال صلاح الفصل ، وسليم حاطوم ، وأمين الحافظ .

١٨ - ترحيل عائلات العسكريين ، وهذا كانت له الآثار السيئة التي تميزت به :

(أ) تأجيج نار الحقد والحسد والشعور بالكرهية والتمييز بين العسكريين البعثيين ، وبين باقي فئات الشعب .

(ب) إفقاد الجيش قسماً كبيراً من آلياته وقت حاجته إليها بسبب انشغالها بنقل متاع وأثاث البعثيين .

(ج) إفقاد العسكريين ، الحافز الأخير للصمود ، لأن إبعاد النساء والعائلات عن ميدان القتال ، يطمئن المقاتل إلى أن أهله بخير ، فلا يعود يشعر بالخرج من الفرار أو التراجع دون مبرر .

إن هذا العمل مخالف لكل أعرافنا وتقاليدنا القتالية ، التي مارسناها وأعطت نخر النتائج ، منذ جاهليتنا الأولى ، وفي صدر إسلامنا ، وحتى في انسياحنا الفاتح عبر أرجاء العالم القديم .

ففي الجاهلية ، كانت أبرز صورة لوضع النساء والأطفال . ضمن إطار الحرب ، هي معركة ذي قار .

وفي صدر الإسلام ، كانت أبرز صور تطبيق هذه القاعدة . هي اصطحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعدد من الصحابة . النساء في كل غزوة خرجوا إليها .

وخلال انسياحنا الفاتح ، تسكثر الصور وتتنوع ، وليكن أبرزها كان في القادسية . ومن كرام النماذج فيها الخنساء ، وزوجة سعد بن أبي وقاص وغيرهن كثيرات . وفي الرمموك ، وكان من كرام النماذج فيها ، خولة بنت الأزور وصواحبها الثلاثى وقفن خلف الجيش ، رددن الفارين ، ويلهين حماسة الرجال على الصمود ، فكانت تلك الملاحم الفريدة في تاريخ الإنسانية .

حين سقطوا . لم يسقطوا بسبب صلتهم به ، وإنما سقطوا بسبب تكتل أو انثناء سياسى معين ، ضمن أحد أجنحة حزب البعث . . ورغم أن معظم هؤلاء الشركاء قد وقعوا - بعد سقوطهم في يد السلطة الجديدة - عقب حركة ٢٣ شباط - فإنهم لم يحاكموا ، ولم يعد فتح ملف قضية كوهين ، التي لفافها عهد أمين الحافظ ، فالو كان في المسؤولين الجدد ، أقل مستوى من الإخلاص والزهادة ، أفلم يكن من أول القضايا التي يبادر إلى معالجتها بدقة وحذر وسرية ، هي قضية الجاسوس الأول الذى رشح لعضوية القيادة القومية لحزب البعث ، كما رشح أكثر من مرة ليصبح وزيراً في حكومة ذلك الحزب ، ولم يمنعه من ممارسة الوزارة إلا رفض رؤسائه (في إسرائيل) حرصاً على بقائه صديقاً للجميع ؟

أما حزب البعث .. الغريب الدخيل حتى على العربية ، فقد رحل النساء والأطفال ، وأبعدهم عن ميدان الحرب .. ليسهل الفرار على المقاتلين .. !
١٩ - إعلان سقوط القنيطرة قبل سقوطها لتفويت الفرصة عن كل محاولة للصمود والمقاومة .

٢٠ - هروب القادة المسئولين (وكلهم بعثيون) ، وعلى رأسهم قائد الجيش ، وقائد الجبهة .

٢١ - تحرك وحدات الدبابات هرباً إلى دمشق (لحماية الثورة) ، وترك واجبتها في دعم وتعزيز القوات المخاربة في الأنساق الأولى .

٢٢ - إصدار الأوامر الشفهية ، بإجراء الانسحاب (كيفياً) ، مما كان له أكبر الأثر ، في تحقيق الفرار والهروب الكبير ، وترك كل الإمكانات التي كانت قادرة على وقف الجريمة عند حدود أقل مما هي الآن .

٢٣ - عدم سحب الأسلحة والعتاد والوثائق أو تدميرها ، وإنما تركت للعدو سليمة ليستفيد منها فوق كل فائدة حققها باستلام الأرض الحصينة .

٢٤ - وأخيراً .. وما يعتبر أبلى الأدلة وأوضحها وأكثرها إثباتاً لتواطؤ الحزب - كل الحزب - هو عدم محاكمة أى واحد من المسئولين عن نكبة الجولان .

الكل يعرف أن في الجيوش التي تحترم نفسها ، يحاكم حتى الأبطال الشجعان إذا خالفوا الأوامر ، وتفرض بحقهم عقوبات مختلفة ، إلى جانب مكافأتهم على بطولاتهم ، وذلك - فقط - لمخالفتهم الأوامر ، لأن هذا - لو ترك دون محاسبة - فإنه يفتح الباب واسعاً أمام كل عسكري ، أن يخالف أوامر قادته ، أملاً في تحقيق بطولة أو موقف متميز بالشجاعة .. وفي هذا أبلغ الخطر على استمرار حياة الجيوش ، وتحقيق مهماتها ، وخاصة خلال الحروب .

أما في جيش حزب البعث ، فإنه لم يحاكم أحد - وليس فقط الذين خالفوا الأوامر - بل الذين خانوا ، وانهزموا ، أو رتبوا نكبة الجيش والبلاد .

وأكثر من ذلك .. هناك من المحرمين من كوفئ ، وعومل معاملة الأبطال .. وهذا لا يمكن أن يقوم به إلا نظام حكم هو كله متواطئ مع العدو .

إن أحمد سويدانى ، قائد الجيش .. استمر بعد النكبة قرابة ستة شهور ، قائداً للجيش ، ثم أزيح ، لأن القيادة « الخفية » بدأت ترى فيه منافساً خطيراً على السلطة ، ولم ينح ، بسبب مسئوليته عن نكبة الجولان .

وحتى لو كانت إزاحته عقوبة على مسئولية ثبت أنها قسطه من نكبة الجولان .. فهل يجوز توقيع العقاب عليه ، دون محاكمة علنية يطلع الشعب كله على جرائمه وجرائم أمثاله من خلالها ؟ .
أوليس الإعدام عقوبة خفيفة ، بالنسبة لما يستحق هذا المحرم وأمثاله من المسئولين عن النكبة ؟

وأحمد المير .. قائد الجبهة .. ماذا حل به ؟

بعد الحرب مباشرة .. عين عضواً في القيادة القومية للحزب . ثم نقل سفيراً لسوريا في إحدى العواصم .. فهل هذه عقوبة أم مكافأة ؟

إن الحصول على منصب سفير ، في الدولة التي تحترم نفسها - لا يتاح لأي كان .. وله من الشروط والكفاءات والخبرات المطلوبة في الرأى إلى الحصول على هذا المنصب ، ما لا يمكن توفره إلا في القلة النادرة من أبناء تلك الدول .. فكيف يلجأ حزب البعث .. إلى تعيين مجرمين متواطئين مع العدو ، في سفارات سوريا ، لدى دول العالم ؟ .. أوليس هذا جزءاً من مخطط التخريب والتآمر الذي ينفذه حزب البعث على كل المستويات ؟
وزير الدفاع .. اللواء حافظ الأسد .. الذي وقع بلاغ سقوط القنيطرة .. ماذا حل به ؟

لقد رقى إلى رتبة الفريق .. واستمر في وزارة الدفاع .. وعزز سلطته وسيطرته على الجيش ، فهل هذا كله عقوبة له على دوره في نكبة الجولان ؟ وعزت جديد ، الذي رفض تنفيذ الهجوم المعاكس ، وتحرك بلوائه إلى دمشق ، ليحمي فلول الحزب من غضبة الشعب .. ماذا حل به ؟ ..

لقد نقل من قائد اللواء السبعين ، إلى تشكيل فرقة جديد ، وهو يمارس الآن عمله في منصبه ، ويكتب في مجلة جيش الشعب ، والمجلة العسكرية .. ويساهم بدور جديد وكبير في التقييم المضلل لنكبة الأمة ، كما يساهم بدور فعال في حماية السلطة البعثية من الشعب .

ورثيف علوانى .. نقل إلى قيادة تشكيلات (الصاعقة) التي سموها (منظمة فدائية) ، لينتقل بأعماله التخريبية خارج حدود سوريا .. وبين الأشقاء العرب ..

هذا غيض من فيض .. مما ناله بعض المسئولين عن النكبة ، والباقي مما نعرف ، قد لا تتسع له مئات الصفحات ، عدا عن الذي لا نعرف ، ولكن هذا وحده دليل دامغ على سقوط الحزب كله في وحل الجريمة

والتواطؤ ضد مصلحة الأمة والبلاد .. وستكشف الأيام تبعاً ، ملفات هذا التواطؤ ، وإن غداً لناظره قريب .

رأى :

إن لنا في كل ما حدث ، رأياً واضحاً ، سنكشف عنه في مايلي من سطور .
إن رأينا الجازم ، أن الذي حدث لا يمكن أن يكون إهمالاً وراءه نية حسنة ، ولا سببه الجهل ، أو عدم الخبرات ، أو نقص الإمكانيات ، أو .. أو .. إلخ .

إن رأينا الجازم في هذا الموضوع ، هو أن حزب البعث ، بكل أجهزته وأفراده وقادته وأجنحته ، حزب متواطئ مع العدو ، ويعتبر امتداداً للسلطة الإسرائيلية ، داخل الأرض التي لا تحتلها جيوش إسرائيل .

وفيما يلي ، سنقدم الأدلة لإثبات هذا الرأي :

١ - من الملاحظ أن الخيانة والجريمة لم تقتصر على جانب واحد ، أو مجال واحد ، أو شخص أو أشخاص معدودين ، وإنما شملت كل نواحي النشاط العسكري والاعلامي والسياسي والحزبي ، والاقتصادي ، والاجتماعي .. في كل الأعمال التي أقدم عليها حزب البعث ، قبل وخلال وبعد الحرب .
وإذ كانت الخيانة أو الإهمال أو التواطؤ مقتصرين على جانب واحد ، أو شخص أو أشخاص معدودين ، لما كانت الذكبة بهذه السهولة . وهذا الاتساع والهمول ، ولبقيت جوانب أخرى من الجيش والبلاد ، في امتناع عن أن تشملها الجريمة المدبرة .

إن هذا الشمول في التواطؤ يجعلنا نجزم أن حزب البعث ، قد أعمد إدارته الحزبية والقيادية ، نفسياً وسلوكياً وفكرياً ، لممارسة هذه الجريمة وأمثالها .. وهذا ما يضطر مفكرى هذه الأمة إلى إعادة النظر مجدداً بتقييم الحزب ، ودراسة نشأته وتطوره وحياته وسلوكه . وسير قاداته ، من أول يوم برز فيه هذا الحزب للوجود ، وعلى يد مؤسسه الأول ، ميشيل عفلق ، وأضرابه من (مثقفي) الحزب الأوائل . وقاداته المختلفين ، الذين تلقوا - تقريباً كلهم - تعليمهم وثقافتهم (العالية) في دول الغرب المستعمر .

٢ - إن سوريا ، لم تكن تشكو قلة الإمكانيات ، وقلة ونقصاً في الخبرات .. وإن جيش سوريا ، لو أتيحت له قيادة مخلصة صادقة . لكان قادراً على الوقوف برجولة في وجه الطغيان الإسرائيلي ، يحطم غرور جيشه .

ويذل قاداته المتغطرسين ، ويكشف جبن تلك القوات . وعجزها عن المحاربة الصادقة المتكافئة .

(أ) فن حيث التسليح ، كان لدى جيش سوريا أنواع من الأسلحة ، لم تلك تحلم إسرائيل بامتلاك مثيلاتها ، ومن أهمها : « المدفعية (١٢٢ م طويل) ذات المدى الذى يبلغ ٢١ كيلو متراً ، والدبابة (ت ٥٤) ، المزودة بجهاز يتيح لها الرمي أثناء المسير ، ومزودة بمنظار ليلي يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، والدبابات البرمائية القادرة على اجتياز مسافات واسعة من المياه ، والمدفع المضاد للدبابات (ب - ١٠) ، الذى يعتبر من أفضل الأسلحة م - د فى العالم ، وقاذفات اللهب الثقيلة المضادة للدبابات ، والمدفعية الصاروخية المحمولة على عربات ، والتي يتألف كل مدفع منها من ٣٢ - سبطانة ، والقادرة على أن تدمر برشقة واحدة ، مسافة ٦ كم ٢ . والمدفعية م - ط عيار (١٠٠ مم) الموجهة بالرادار ، وقانصات الدبابات (SU 100) إلخ . »

هذه الأسلحة ، التي كان حليماً لدى العدو أن يمتلك مثلها . رغم كل ما يدعونه من تفوق هذا العدو ، لم تستطع أن تحقق شيئاً ، لأنها كانت بأيد غير أمينة .

(ب) ومن حيث القوى البشرية ، يكفي أن نعلم إن تعداد سوريا يزيد عن ضعف تعداد سكان إسرائيل بما يقارب المليون نسمة .

(ج) ومن حيث الكفاءات ، فإن سوريا تمتلك رصيذاً ضخماً جداً من الضباط وضباط الصف والجنود ، المتخصصين والمدرّبين ، وأصحاب الخبرة الطويلة بأمور الجيش . كل هؤلاء سرحهم الحزب ، ووضع الجيش في مواجهة العدو . بشكل غير متكافئ ، ليضمن الهزيمة لجيش البلاد ، ويضمن تسليم الأرض المباعة إلى القوات الإسرائيلية .

(د) وأما الخبرات الأجنبية ، فلم تكن سوريا تشكو نقصاً فيها ، فإن سوريا منذ عام ١٩٤٧ ، استقدمت الأعداد الكبيرة من الخبراء الألمان والروس والتشيكيوسلوفاكيين ، وهؤلاء يدربون جيشها - وخاصة الروس - منذ عشر سنوات قبل النكبة ، وكان لهم إشراف دقيق على رسم خطة تحصين الجولان ، وخطة قتاله ، وكان لهم فضل كبير في تدريب القوات السورية في مختلف الاختصاصات والميادين ، وكانوا كلهم من أصحاب الخبرات الطويلة ، وجلهم من الذين اشتركوا في حرب عالمية أو أكثر .

(هـ) وأما الطاقة المالية ، فإن كل من يقول إن سوريا كانت فقيرة ، فهو مغالط .

إن سوريا تملك من الإمكانيات الاقتصادية مقداراً وافراً ، لو أحسن استغلاله وتوجيهه ، كان قادراً على مد الجيش بكل احتياجاته لرد عدوان إسرائيل مهما كان مدعماً ومعزراً وكبيراً .
إن سوريا هي البلد الوحيد في العالم ، الذي دفع ٦٠ - ٦٥٪ من موازنته العامة ، لأغراض الدفاع وتنمية الجيش ، استعداداً لمثل هذه الساعة .

وفوق كل هذا . . فإن الشعب السوري لم يبخل بتضحية ، فلإنه فوق كل ما يدفع من ضرائب ، كان يتقدم بالتبرعات السخية في كل مناسبة ، بشكل يستدر دموع الإعجاب والفرح ، لأريحية هذا الشعب الطيب واستعداده للبدل والتضحيات . . وخير دليل على ذلك ، هو أسبوع التسليح في عام ١٩٥٦ وحلات معونة الشتاء السنوية ، ولكن كل تلك الطاقات والإمكانيات ، عطلها حزب البعث ، وألغاه ، ودمر القسم الأعظم منها . وشل الباقي . . فهل يمكن أن يكون هذا غير التواطؤ الجماعي ، الذي على أساسه بنى الحزب ، وبنى عناصره . ووضعت تحت تصرفه كل أجهزة التآمر ، لضمان تنفيذ المخطط التآمري الرهيب ؟ !

٣ - ما من عهد من العهود المتعاقبة على حكم سوريا . إلا وكان له مؤيدون ومعارضون ، إلا حزب البعث ، فلم يكن له مؤيدون مطلقاً ، ومنذ اليوم الأول ، الذي برز فيه أن لحزب البعث موقعاً في السلطة التي نشأت عن مؤامرة ٨ آذار ١٩٦٣ ، وقف الشعب كله في جانب آخر . ضد حزب البعث ، ومع مرور الأيام ، وتعاقب الأحداث ، قام حزب البعث بتعميق الهوة بينه وبين الشعب ، وبتأصيل روح العداء ضده في نفوس أبناء الشعب ، حتى أصبح موقفه تماماً مثل موقف الكيان الإسرائيلي الدخيل في فلسطين ، الذي لم يستطع ، (وإن استطاع أبداً) أن يزيل روح العداء تجاهه من قلوب العرب والمسلمين ، مهما طال الزمن وتعاقبت السنين أو القرون .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن حزب البعث ، ضمن المجموعة العربية (على كل ما فيها من تفسخات وتنافر وأحقاد) كان - ولا يزال وسيبقى - أشبه بجسم غريب ، غرس في جسم إنسان ، فما كان من ذلك الجسم إلا أن قوقع الجسم الغريب ، وعزله وكون حوله نسيجاً يحويه من سمومه ، ثم أخذ يطلق الإفرازات بلا انقطاع ، حتى تمكن له طرده والتخلص منه .

أقول : إن حزب البعث ، كان ، ولا يزال ، وسيبقى ، حزباً كريهاً ، دخيلاً ، على الأمة بمجموعها ، غير قادر على تأليف قلوبها نحوه ، واستئالة عطفها عليه وحسبها له . إن حزب البعث كان ، ولا يزال ، وسيبقى ، عدواً من الأعداء الأمة ، ومن أكثرهم حظاً في سعيها للتخلص منه ومن شروره وآثامه ورغم كل ذلك . .

فإن حزب البعث . . استطاع أن يحتفظ بالسلطة ومواقع الحكم ، أكثر من أي عهد سياسي عرفته سوريا منذ الاستقلال وحتى اليوم . . فلماذا ؟ . أو ليس هذا وحده ، دليلاً عقلياً - دونما حاجة للغوص على الوثائق والمستمسكات - على أن هذا الحزب ليس وحده في السلطة ، وإنما هو امتداد لكيانات عدوانية متكاملة على هذه الأمة ، تمده بكل أسباب البقاء والقوة ، لتضمن به تنفيذ مخططاتها الإجرامية ضد هذه الشعوب المسكينة ؟ . هذا الحزب رغم كل ما يتمتع به من عدااء الشعب ، وعداء المجموعة العربية الأخرى له ، ورغم كل المحاولات التي بذلت لإسقاطه ، عسكرية كانت أم شعبية أم اقتصادية ، ورغم دمغه محلياً وعربياً وعالمياً بالتواطؤ وتسليم البلاد إلى العدو ، ورغم كل ما أصابه من تشرذم وتمزق ، ورغم كل ما سفك من دماء أفراده بيد أفراده الآخرين . .

رغم كل ذلك . . فإن هذا الحزب ، ما زال يحتفظ بالسلطة حتى اليوم ، أو ليس في هذا وحده دليل كاف على أنه مدعم بكل قوى البغي المتآمرة على أمتهنا ، وأن إلى جانبه الثقل الأكبر من الإمكانيات التي تملكها أجهزة الدول الاستعمارية ، تمده بالتوجيه والخبرات والمعلومات والطاقت والأموال التي تمكنه من البقاء في السلطة ، كما تمد إسرائيل بأسباب البقاء والنماء والتأييد بمختلف صورهِ وطرائقه . . ؟ . ! وهل يمكن أن يكون هذا التأييد للحزب ، بدون مقابل ؟ .

إن العقل لا يقبل هذا . . وإن الفطرة السليمة ، والتفكير النقي المخلص ، يستطيعان فوراً أن يكشفوا زيف ادعاءات الحزب ، ويبرز لها بوضوح وجلاء . أن هذه الإمكانيات التي تمده بها الأجهزة الصهيونية والاستعمارية . . إنما هي مقابل جهود يبذلها في خدمة تلك المصالح والمطامع التي كان من أكبر صورها ، تسليم الجولان . . !

هذه الأمور الثلاثة ، بما فيها من تفرع ، تشكل أدلتنا على ما أطلقنا من اتهام ، بأن سقوط الجولان كان أمراً متفقاً عليه بين حزب البعث ، والأجهزة الإسرائيلية . . وفي باقي سطور المناقشة (فصل نقاش الإثبات) ، توضيحات لجوانب كثيرة من جوانب المؤامرة ، والله أعلم بحقائق الأمور ، ولما ندعو أن يعين هذه الأمة على ما حل بها من نكبات ومحن .

-٢-

.. ومن الجانب السياسي .. رؤى صنوع المؤامرة ..

١ - . . . ويشاء الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . . . أن يثبت لي وللأمة ، صحة ما ذهبت إليه . . . ويكشف جانباً من المؤامرة على لسان واحد من كبار المتأمرين . . .
ففيما أنا منهمك في إعداد الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب . . . صدر للدكتور سامي الجندى ، كتاب جديد بعنوان « كسرة خبز » . . . يفضح فيه جانباً كبيراً جداً من المؤامرة . . . هو جانب الاتصالات واللقاءات مع المسؤولين الإسرائيليين . . . لإعداد مخطط الجريمة . . . !
والدكتور سامي الجندى . . . حين يصرح بهذا الأمر ، فإن خطورة مثل هذا التصريح ، تقع في كون الجندى هذا ، رجلاً غير عادي ، ومطلعاً على كثير من الخفايا والأسرار . . . في أخطر فترة سبقت تنفيذ المؤامرة ، فترة الإعداد لها ورسم خططها والتفاصيل والأدوار فيها .
سامي الجندى ذاك ، هو أولاً من الشريعة الأولى التي أسست حزب البعث العربي الاشتراكي وساهم في كثير من أعماله التنظيمية ، وصوغ عقيدته ، والدعاية له . . . ونشر أفكاره في المجالات التي يعيش فيها الحقد الطائفي ، متمزجاً بالكره والحسد الطبقين . . . وهما أهم مناخين تربى فيهما قادة حزب البعث . . . وتكونت مقومات شخصياتهم .
وسامي الجندى . . . هو من الأوائل الذين شاركوا في حكم سورية باسم حزب البعث - صراحة - فكان عضواً في القيادة القطرية . . . ثم وزيراً للإعلام . . . ثم رشح أكثر من مرة لرئاسة الوزارة . . . ولا ندرى سبب رفضه .
وسامي الجندى . . . شارك في الأعمال والمؤسسات والمؤتمرات التي

عقدت على مستوى الجامعة العربية ، لمعالجة قضايا الأمة المصرية .. وكان أبرز عمل له هو مشاركته في لجنة المتابعة التي انبثقت عن مؤتمرات القمة العربية . وسامى الجندي أخيراً . . . سفير سوريا في فرنسا . . . في باريس . . . التي شهدت كثيراً من اللقاءات بين مسئولين أو مبعوثين شخصيين غير رسميين ، لمسؤولين عرب . . . وبين جوانب مماثلة من جانب العدو . . . سامى الجندي هذا . . . وبلهجة اله (. . .) الذي خانته شركاؤه . . . فلبس زيفاً لبوس التقوى ، وقرر فضح شركائه تمهيداً لتنصله من المسؤولية . . . يقول في معرض حديثه عن الجولان :

« لقد نهبت حكومتى منذ ١٩٦٥ إلى أنها تنوى احتلاله (١) كنت أعارض دائماً في حرب مع إسرائيل أعرف فيها إننا خاسرون (٢) . . . » .

(١) وزريد أن نسأل الجندي ذاك . . . : « ومن أين لك أن تعلم وحده أن إسرائيل تنوى احتلال الجولان ؟ » .

كيف عرف الجندي بهذه الحقبة المسبقة لإسرائيل قبل تحققها بتمامين ونصف على الأقل ، وفي وقت لم يكن يخفى ببال أكثر الناس إغراقاً في التشاوم ، أن الذي حصل سوف يحصل فعلاً . ؟ والأغرب من هذا أن الجندي إياه . . . تكلم عن نوايا إسرائيل في احتلال الجولان قبل أعوام من وقوع الاحتلال ، تكلم بهذا لرس يلهجة التفيق والتنجم ، بل بلهجة الجد « المحذرة المذبة » ، وفي جلسات رسمية تقدمها حكومته للنظر في تصريف أمور البلاد . . . فن أين لمجتهى هذا ، أن يتكلم بهذا التأكيد المسبق قبل أعوام من وقوع الفاجعة ؟ ؟ .

ثم . . . ألم يكن في حكومته من يسأله عن مصدر معلوماته ليتأكد من صحتها وأهميتها . أم إن حكومته كلها كانت في مستواه من الاطلاع والعلم « المسبقين » ؟ ؟

(٢) وما يزيد في غرابة الأمر وخطورته أن الجندي هذا ، يعترف ، أنه كان يمارض في حرب مع إسرائيل . . . رغم تأكيد حكومته أنها ستحتل الجولان حجباً والله . . . ماذا كان يريد الجندي من سوريا أن تفعل إزاء نوايا العدو باحتلال الجولان ، ودجها عن الحرب للرد عنه . ؟ هل كان يريد أن تدخل إسرائيل الجولان ، دونما أية طلقة تطلق في وجهها - حتى ولو كانت للتفصيل وذو الرءاف في العيون - مادام لا مفر من احتلالها ، ودجها عن حربها ؟ . . .

ريد المزيدي دكتور . . . وأنت الذي تصرح في كتابك أنك من يعرفون الكثير . . . ولكنك لم تتكلم حتى الآن بما يبرقك ، بل وقت في الهخ الذي نصبلم للشركاء . . . فنحن نطالب - نهاية من الأمة كلها - بالمزيد من هذا الذي نعرف . . . في المويدي الذي توضح . . . سيكون توضيح أكر لجوانب المؤامرة وأبعادها . . . وكشف أهم عن الشركاء المستترين . . . ويكون تأكيد جديد على ولوغ في الجريمة . . . أو البراءة . . . من يدري ؟ .

ويتابع الجندى : « آرائى كلها دون استثناء كانت ضد الحرب ، لم أخف أبداً أن الحكم يعد هزيمة ، لا لاسترداد فلسطين . « نعم ! نعم . . » لم تكن هنالك أية بادرة لانصر ، ولا أعنى أنه كان يعد هزيمة نفسه . . وإنما هزيمة العرب الآخرين ، كى يبقى (الثورى) الوحيد ، سيد المناخ الثورى العربى . . » ثم يقول : « وكنت مؤمناً — وما زلت — أن إسرائيل ليست حريصة على الاعتراف بها ، ولو شاءت لحصلت عليه ، لأنه يفقدها مبرر (الدفاع) عن نفسها ، واحتلال أرض أخرى سنة ١٩٧٠ (١) .

(١) وباهجة التنبؤ دائماً . ولكننا — فى هذه المرة — مشاعة على الأمة العربية كلها . . ونست محصورة فى كواليس السياسة . . يتنبأ سائى الجندى . . عن احتلال إسرائيل لأرض أخرى عام ١٩٧٠

. . وما دامت نبوءاتك يا « متنبئ النكبات » . . لا تخيف . . فلم لا تدلنا على الأرض الأخرى التى محتلتها إسرائيل فى عام ١٩٧٠ ؟ . . فتحصنها وتركز عليها الدفاع لمنع نكبة رابعة ؟ . .

إنى لأغان أن هذا غير مباح التفوه به . . بل مطلوب منكم إجتاع العرب والخلع فى قلوب العرب قبل وقوع الأحداث بوقت مناسب . . وما أنت فتكلم عن الاحتلال القادم بلهجة المتر الجازم الذى لا جدال حول ما يقول . . لتعطى لأقوالك فى ضمير العرب ، صورة القدر الذى لا مرد له . . فيستسلم العرب . . ويأسوا . . وينتظروا مصيرهم بذل وخنوع . . حتى يحين موعد الاحتلال القادم فى عام ١٩٧٠ ؟

ثم . . أو لست أنت نفسك ، الذى مهدت فى كتاب سبتى ، وبمد النكبة مباثرة . . « . . بعد كل انتصار إسرائيل يزداد عدد النازحين ، وسيكونون ملايين بعد سنوات ؟ (كتاب عرب ويمود ص ٢٥) » ثم جئت الآن تحدد موعد « ازدياد عدد النازحين . . ونموه فى سنة ١٩٧٠ ؟ » ؟ ثم . . أنت لم تكثف بالإعلان ، بل تقر ، فى الصفحة نفسها : « الأمر الواقع يتطلب منا أن نقبل ما حدث ، وما يمكن أن يحدث ، أو أن نظل نواجه الذبح والتعتيل . . ؟ » (أرجو ملاحظة هذه الـ « ما يمكن أن يحدث » وما بعدها) ثم . . تعلن يا جندى رغم كل ذلك . . « إنى أرفض مع ذلك ، ورغم كل ما حدث ، أن أغمس ريشى فى بحيرة الحقد ! » . .

لا . . وبالطبع أرفض مرة لا يا جندى ويا أمثاله . . أنتم ترفضون « الحقد » على اليهود الغاضبين الدخلاء . . وتماوسون أبشع أنواع هذا الحقد على أبناء أمثلكم . . العرب أمثالكم . . أبناء وطنكم ورفاق صياكم . . زملائكم فى الدراسة والجامعات والعمل . . بل وحتى زملائكم فى النضال الثورى السياسى . . !

. . ضد كل هؤلاء المقربين الأقرباء . . يمارسون الحقد والإرهاب والتشريد وذوؤس الحنات والمقدسات ، ثم . . يرفضون أن « يغمسوا ريشتهم فى بحيرة الحقد . . حين يهاجون قضية المصير الأولى لهذه الأمة . . قضية الصراع بيننا وبين اليهود النزاة الدخلاء . . !

. . هل يمكن أن تروا أمة ما . . بأسوأ من هذا الذى نسمع ونرى كل يوم . . ؟ !
ألا ، خاب العرب . . إن لم يخيبوا غن الذين أو حوا بهذه التنبؤات . . !

« لم إذن اختارني الدكتور ماخوس هذه المهمة ، وهو لم يعدم الأشخاص ولا الوسيلة للاتصال بإسرائيل ؟ ثارت أقاويل في باريس نفسها عن أمن منظمة الحزب التابعة لدمشق . وأنا - وهنا بيت القصيد - متأكد من أن اتصالات جرت عن طريق أكثر من دولة « ثالثة » وفي أكثر من عاصمة . ثم يقول : « عندما نلتبغ فصول معركة الجولان ، نجد أن العسكريين الذين قاوموا ، فعلوا دون أوامر ، أما الذين صدرت إليهم فقد انسحبوا بناء على خطة . . ترى ما هي الخطة ؟ »

تم إخلاء الجولان من السكان منذ حزيران . . لماذا ؟
لست بحاجة للقول إن إعلان سقوط القنيطرة قبل أن يحصل أمر بحار فيه كل تحليل تبنيه على حسن النية . . إن تداعي الأفكار البسيطة ، تربط بين عدم وقف إطلاق النار والحدود سليمة (١) ، والإلحاح بل الاستغاثلة لوقفه بعد أن توغل الجيش الإسرائيلي في الجولان ، ويخلص إلى الاستنتاج بوجود خطة . فوجئت لما رأيت على شاشة التليفزيون (في باريس) ، مندوب سورية في الأمم المتحدة (الدكتور جورج طعمة) يعلن سقوط القنيطرة ، ووصول قوات إسرائيل إلى مشارف دمشق ، والمندوب الإسرائيلي يؤكد أن شيئاً من ذلك لم يحصل (٢) .

إذن . . كانت هناك لقاءات مع مسئولين إسرائيليين . . وبوساطة أكثر من دولة ثالثة . . وقبل حرب حزيران التي نفذت فيها المسرحية اللثيمة . . فما الذي دار في تلك الاجتماعات . . ومن الذي نفذ هذه اللقاءات ؟؟ . . هذا جانب ستكشفه الأيام تباعاً . . وعلى الذين يعون ، متابعتهم وتقصيه . . خشية أن يضيع بين الركام الهائل الذي تقذف به المطابع والإذاعات كل يوم . .
٢ - وتحدث السنة المطلعين في أوساط السوريين . . عن أمر لا يقل خطورة عن هذا الذي صرح به الجندي . .

يقول الملازم الأول : « . . . » (٣) ، عضو الوفد السوري إلى لجنة الهدنة المشتركة . . ما يلي :

(١) قبل حصول الحرق يوم الجمعة ٩ حزيران ، وحيث كانت كل من مصر والأردن قد طلبتا وقف إطلاق النار .

(٢) النصوص هذه منقولة من كتاب « كسرة خبز » للدكتور سامي الجندي ، الطبعة الثانية ، صادر عن دار النهار للنشر ، الصفحات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٣) لم تنجح لي معرفة اسمه . . وأورفته لذكرته ، لأن ذلك ليس سرّاً ، فالعنايط المقصود ، هو الآن موقوف في سجن المزة العسكرية في دمشق ، فلقد سرح عقب الحرب ، ثم أوقف لأنه بدأ يذيع بين الأوساط العسكرية المسرحية . . معلوماته عن هذا الأمر . . !

« إنه استدعى إلى مكتب الدكتور يوسف زعين ، رئيس الوزارة
البعثية ، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٦٧ الساعة العاشرة ليلاً . فوجد عدداً من
أفراد لجنة الرقابة الدولية في مكتب الزعين ، برفقة السفير (. . .) في
دمشق . فكلف الضابط المذكور بالترجمة بين رئيس الوزارة ومخاطبيه . .
قال السفير : إذا لم تسحب القيادة السورية قواتها من الجولان . . فإن
القوات الإسرائيلية لن ترتضى هدفاً يتوقف زحفها عنده إلا دمشق . .
وهنا سأل الزعين : وما هي الحدود التي تريد إسرائيل الوقوف عندها؟ ..

أجاب السفير : هل عندكم خريطة ؟ . .
فأبرز الملازم الأول المذكور خريطته ، وهنا وضع السفير عدداً من
النقاط التي يجب أن يمر بها خط الحدود الجديد . . وتتوقف عنده القوات
الإسرائيلية إذا قامت السلطات البعثية بسحب قواتها خارجاً عنه .
. . وافق الدكتور زعين «يقول الملازم الأول المترجم» . . ووعد السفير
بتحقيق ما طلب . . وغادر الجميع مكتب رئاسة الوزراء على هذا الأمل . .
وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي . . صدر بلاغ سقوط
القنيطرة ، على النحو الذي شرحناه وأوضحناه في أكثر من موضع . .
وفي الوقت نفسه كذلك ملأت جو الجولان الشائعات الخائفة . . عن
أوامر الانسحاب المزعومة . . فكان الهروب الكبير . . ودخلت القوات
الإسرائيلية أرضنا الكريمة . . راكبة إلى نزهة عسكرية . . دونما خوف
من صدام حقيقى يشتها أو يفنيها !

٣ - . . . وتأكيذاً وتوضيحاً لهذه اللفتات السريعة نحو جوانب من
الوجه السياسى للمؤامرة . . لا بد لي من أن أثبت ما قاله بعض المسؤولين
البعثيين . . عقب وقوع الجريمة . .

(أ) فأول هذه التصريحات اللثيمة . . صدرت من الدكتور إبراهيم
ماخوس . . وزير الخارجية البعثية ، وكان ذلك في أروقة مجلس الأمن . .
في دورته التي عقدها عقب حرب حزيران ، لمناقشة ما حدث .

كان المندوبون والمسؤولون العرب يتحدثون بذهول عن الذى وقع . .
إلا ما خوس إياه . . ماخوس هذا . . يقول بلهجة ال (. . .) . . حين
تحاول تهوين المصيبة على عذراء فقدت شرفها في ساعة طيش . . طمعاً في
جرها إلى وحل العهر لتشاركها العيش فيه .

باللهجة هذه . . يقول ماخوس . . وأمام عدد كبير من المسؤولين

العرب . . وجواباً على قول أحدهم : « إنها لفاجعة كبيرة . . ونحمد الله إن إحدى العواصم لم تمس . . » فأجاب ماخوس ، بصفاقة عجيبة . . « . . وهل في ذلك غرابة لو حصل ؟ . . إن الغريب في الأمر أن العواصم لم تسقط . . وإننا من جهتنا - يقصد مسئولى حزب البعث - . . كنا عاملين حسابنا على أن دمشق ستسقط بيد العدو . . » .

(ب) وفي أحد الاجتماعات الحزبية التي أعقبت الجريمة . . يقول ماخوس أمام « الرفاق » . « لاتنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلي هو إسقاط الحكم التقدمي في سورية ، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث ، عميل لإسرائيل . . » .

(ج) وكذلك في أحد الاجتماعات العنيفة وبعد أن هزت الجريمة ضمائر بعض الحزبيين المغرر بهم . . والذين ما زالت فيهم بقية من خير . . طلب بعضهم من المسئولين توضيح ملاسبات سقوط الجولان . . وأصروا على وجوب تقصي الحقائق حول إذاعة البلاغ الفاجر . . .

وفي نطاق تلك التساؤلات . . وجه بعضهم سؤالاً حول هذا الموضوع إلى اللواء أحمد سويدانى ، قائد الجيش البعثى السورى يوم المحنة . . فأجاب : « أنا . . كمسئول لم أستشر فى "بلاغ الذى أعلن سقوط القنيطرة . . وكوالمواطن . . سمعته من الإذاعة كغيرى . . ! » .

فن هى اليد الخفية التى وقعت ذلك البيان وأمرت بإذاعته ؟
ستبدى ذلك الأيام . . مهما طال الوقت . . وإن غداً لناظره قريب !
٤ - « . . ظهر الخامس من حزيران (١) ، اتصل سفير دولة كبرى فى دمشق بمسئول كبير ودعاه إلى منزله لأمر عاجل وهام ! ! وتم الاجتماع فى الحال ، فنقل السفير للمسئول السورى نص برقية عاجلة من حكومته ، تؤكد أن سلاح الجو الإسرائيلى قد قضى قضاء مبرماً على سلاح الجو المصرى وإن المعركة بين العرب وإسرائيل قد اتضحت نتائجها منذ الساعة التاسعة من ذلك الصباح ، وإن كل مقاومة أرضية ستورث خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات لا مبرر لها ، وأن إسرائيل لا تنوى مهاجمة النظام

(١) النص هذا كله ، فنقول عن كتاب (المؤامرة ومعركة المصير) لسعد جمعة ، أحد رؤساء الوزارة الأردنية السابقين ، ص ١٥٩ - ١١١ ، الطبعة الثالثة .

السورى ، بعد أن يستتب لها تأديب جمال عبد الناصر ! وبانتهاء الزعيم المصرى . . تتفتح الآفاق العربية أمام الثورة البعثية من المحيط إلى الخليج ، وأن إسرائيل — من قبل ومن بعد — بلد اشتراكى يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية . . وخاصة البعثية العلوية ، ويمكنها أن تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين فى البلدين . . وقد يكون ذلك منطلقاً نحو تسوية نهائية على أسس الأخوة الاشتراكية ، وهذا من مصلحة سوريا . . مصلحة الحزب ومكاسب الثورة ، أن تكتفى بمناوشات بسيطة لتكفل لنفسها السلامة ! وذهب المسئول السورى ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيادة القومية والقيادة القطرية . . إلى آخر القيادات ؟ وكانت الطائرات الإسرائيلية فى تلك اللحظة تدمر المطارات السورية والطائرات الجاثمة — براحة — فوقها ، مما أضفى على الموقف جو المأساة !

وعاد الرسول السورى ، غير بعيد ، ليلبلغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات ، لمضمون البرقية العاجلة ! وهكذا كان ! . . . غير أن إسرائيل بعد أن أنهت العمليات الحربية فى الجبهتين الجنوبية والشرقية ، اتجهت بثقلها إلى الجبهة الشمالية ، بعد أن مهدت لهذه الحركة المفاجئة بحرب نفسية ، فسقط خط (ماجينو) السورى ، دون قتال ، وسحبت القوات الأمامية لحماية مكاسب الثورة . . وبطولات الحاكمين فى دمشق ! .

. . . وقال معلق راديو دمشق ذلك المساء : « الحمد لله (١) لقد استطاعت قواتنا الباسلة حماية مكاسب الثورة أمام الزحف الإسرائيلى ! الحمد لله الذى أفسد خطة العدو وقضى على أهدافه الجهنمية ! . . إن إسرائيل لن تحقق نصراً يذكر ، مادام حكام دمشق بخير ! » وليت شعرى ، ما الذى كان يعيق إسرائيل عن المضى فى فسحة إلى دمشق ! . . لكنها لا تريد ، ولن تريد ، إذ ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن » .

٥ - « . . . ولما كنت أعتقد أن المبرر الوحيد لغلطة ترتكب هو

(١) عادوا يحذرون الله ويذكرونه بخير ، وهم الذين طالبوا قبل هذا بأربعين يوماً ، بأن يوضع مع الأديان وأمر أخرى ، فى متاحف التاريخ ، انظر الصفحة (٣٢) .

الدرس الذي يمكن استخراجه منها ، يهمني أن أوضح هنا - دون أن أحاول إلقاء مسئولية الفشل المشترك على فريق معين - أن عاملين اثنين ، أوصلانا - والنزاع في مسئله - إلى ما انتهينا إليه ، وجعلانا ندفع أثمن غالياً .

فمن جهة فوت علينا تأخر الطيران السوري في التدخل فرصة ذهبية ، كان يمكن أن ننتهزها لقلب الموقف لمصلحة العرب . فلولا تردد السوريين ، لمكننا قد بدأنا عمليات القصف الجوي في وقت مبكر ، ولاستطعنا اعتراض القاذفات المعادية وهي في طريق عودتها إلى قواعدنا ، بعد قصفها للقواعد المصرية وقد فرغت خزاناتها من الوقود ونفدت ذخيرتها ، وكان بإمكاننا حتى مفاجأتها وهي جاثمة في مطاراتها تملأ خزاناتها استعداداً لشن هجمات جديدة ، فلو قبض لنا ذلك لتبدل سير المعركة وتبدلت نتائجها . .

« الزمن وحده سيعطي تفسيراً لمسائل عديدة ، لكن ما تأكدت منه هو أن الطيران السوري لم يكن مستعداً يوم ٥ حزيران للحرب . . . » .

« . . . لأننا كنا ننتظر السوريين ، فبدون مساعدة طائراتهم الميج لا يمكن أن يسفر قصف قواعد إسرائيل عن نتيجة مهمة ، ومنذ الساعة التاسعة - من صباح الخامس من حزيران - اتصت قيادة العمليات الجوية بالسوريين ، فكان جوابهم أنهم بوغتوا بالأحداث . وأن طائراتهم ليست مستعدة ، وإن مطاراتهم تقوم برحلة تدريبية . وطلبوا إمهالهم نصف ساعة ، ثم عادوا وطلبوا إمهالهم ساعة ، وفي العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين كرروا الطلب نفسه فوافقنا ، وفي الحادية عشرة لم يعد بالإمكان الانتظار فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم إلى سلاحنا الجوي وتساهم في القيام بالمهمة المشتركة المنوطة بسلاح الطيران .

وكان من نتيجة الاستمهال المذكور من جانب السوريين ، أن عملياتنا الجوية لم تبدأ إلا بعد الحادية عشرة صباحاً . . » (١) .

لنقارن بين هذا الكلام . . بل هذه الوقائع الخزية ، وبين ما قاله المسئولون البعثيون ، قبيل الحرب . .

قالوا: « . . إن طائرات سلاح الطيران السوري ، قامت بعدة رحلات استطلاعية فوق إسرائيل ، كانت آخرها في ١٤ - ٥ - ١٩٦٧ وعند الظهر . .

(١) من كتاب « حربنا مع إسرائيل » . أحاديث للملك الحسين ملك الأردن مع اثنين من الصحافيين . ص (٥١ = ٥٢) نشر دار النهار بيروت .

إن طائراتنا توغلت عشرات الكيلو مترات في مهمة استطلاعية ،
وقد انطلقت المدافع المضادة ، وصواريخ (هوك) الإسرائيلية على الطائرات
السورية التي قامت بمهمتها وعادت إلى قواعدها . .
إن سلاح الطيران السوري أصبح في المستوى الذي يمكنه من القيام بواجبه
على أكمل وجه ، وله مهمات محددة ومرسومة بموجب الخطة الموضوعية . .
إن سلاح الطيران السوري تطور تطوراً كبيراً بعد ثورة ٢٣ شباط ١٩٦٦
من حيث الكمية والنوع والتدريب ، وأصبحت لديه زيادة كبيرة في عدد
الطائرات (١) ، وهى من أحدث الطائرات في العالم وأفضلها تسليحاً ، كما
ازداد عدد الطيارين وارتفع مستوى التدريب «(٢)».

كان هذا التصريح قبل الحرب بنصف شهر بالتام والكمال ، فإذا
جرى لسلاح الطيران هذا ، الجاهز ، القوى ، المدرب ، الد . . . إلخ .
خلال نصف شهر ، فقط ، حتى فقد فاعليته وقعد كالأرنب الذى انخلع
قلبه لمجرد رؤيته الثعلب متجهاً نحوه يريد اقتراضه ؟ . .
ولكن . . . تكنى الإشارات العابرة ، التى تصدر من صحافة العالم المطلعة
على أكثر مما نستطيع نحن الاطلاع عليه من بواطن الأمور . .
ولنسمع مجلة « تايم » وهى تقول :

« . . . أنقذ الهجوم الإسرائيلي على سورية ، خلال حرب حزيران ،
النظام البعثى المتطرف فيها . . » (٣) .

٦ - وفى الختام . . لا بد من لفت الانتباه إلى الذى يجرى على خطوط
وقف لإطلاق النار كل يوم . .

فبعد أن استعرضنا أكثر من رواية للمؤامرة ، وبعد أن نقلناها - على
ذمة رواتها - ودونما التعرض لها بالتفصيل وبالإثبات أو النفي ، لأن ذلك
غير ممكن بما لدينا من دلائل وحديثيات . . لا بد لنا من أن نثبت - للتاريخ -
موقف القوات المتحاربة على جبهات القتال ، فى مواجهة العدو .

(١) حقاً إن لديهم زيادة كبيرة فى عدد الطائرات ، وهى مخزنة فى العنابر ، لأن جميع
الإطارات الأصلية والرافدة لحرب البعث لم تستطع أن تقدم له خلال ربع قرن أكثر من عشرة
طيارين ، نصفهم على الأقل ، وقوف عن الطيران لأسباب صحية ، أو لأسباب عدم كفاءة
كالهريق حافظ الأسد . فيما كان ومازال معظم طيارى سوريا مسرحين مشردين ، ولذلك فإن
الطائرات ستزيد حتماً عن حاجة حزب البعث إلى الطيارين !!

(٢) - جريدة الثورة ، العدد الصادر بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٦٧

(٣) مجلة تايم ، عدد ٢٣ حزيران ١٩٦٧ ، (عن كتاب المسلمون والحرب الرابعه) ص ١٦٥

ففي الوقت الذي نرى فيه كل يوم تصعيداً متزايداً للصدام ، وبالأسلحة المختلفة ، وبالمستويات القتالية المتدرجة نحو الاتساع والشمول ، على جبهتي مصر والأردن . . مع إسرائيل (١) .

في هذا الوقت نجد الجو هادئاً هدوء عش زوجي في فترة شهر العسل . بين الإسرائيليين وقوات حزب البعث . . لا يعكّره إلا خلافات بسيطة ، كالاخلافات التي تقع بين عروسين حول ما يجب أن يتعشيا ، أو حول أفضل مكان يقضيان فيه السهرة .

وفي الوقت الذي نجد اليوم - وكل يوم - عشرات الرجال ينطلقون من الجبهات المختلفة ، لضرب الوجود الإسرائيلي الدخيل في كل جانب على أرضنا . . نرى الحدود « الجديدة » بين سوريا وإسرائيل ، مغلقة في وجه كل التنظيمات الفدائية . . ومن يتحدث عن تحرير الجولان ، أو العمل الفدائي على أرض الجولان . . يلتقي مصيره الأسود على أيدي الجلادين من بني النصيرية المتسترين باسم حزب البعث .

وزيادة في التضليل ، الذي برع فيه حزب البعث ، وتمادي في سلوكه سبيله إلى أبعد مما يمكن لأحد أن يعمى . . ناسياً أن تضليله قد عاد عليه بأشع فضيحة ، جعلته يبدو أمام الناس سخيفاً كسخر النعامة حين تدفن في الرغام رأسها لتوهم الصياد بأنها ضلّته . .

بمثل هذه الصفاقة والقحة . . يلجأ حزب البعث الحاكم . . المحرم إلى التضليل . . وإلى مطالبة غيره بمواقف الرجولة والبطولة التي عجز عنها . . حتى بدا مثل (. . .) تطالب الناس بأن يكونوا نساكاً . .

بمثل هذه الروح التي تنز بالحق ، وتفيض بمعاني الإجرام يطالب حزب البعث غيره من الدول بأن تفتح حدودها لحرية العمل الفدائي . . بل ورسل مجموعات من مرزقته ، ليؤدوا بعض العمليات التمثيلية عبر حدود الأردن ولبنان . لذر الرماد في العيون ، ولتحويل الأنظار عن قصوره وفجوره وصفاء عيشه مع قوات إسرائيل التي احتلت الجولان وتمتعت بخيرات . .
بهذه الروح . . يرسل حزب البعث أفراداً من وحداته النظامية مستمرة

(١) وأخيراً لبنان . . .

باسم التنظيمات الفدائية « الصاعقة » ليشوهوا معنى الفداء ، عبر حدود غيره من الدول . . بينما يغلق حدوده مع العدو في وجه كل تنظيم فدائي مناضل شريف ، وكأنه لا يحكم بلاداً احتل العدو جزءاً منها . . وكأن تحرير تلك الأراضي — إن كان وارداً لدى حزب البعث كأمنية ليس إلا — يقع على كاهل غيره من الدول . . بينما هو يتمتع في الواو غ في الدماء والحرمان . . إن مثل هذه الأفعال . . تقع كل يوم . تحت سمع وبصر الأمة العربية المنكوبة . . ثم يبيع دعاة حزب البعث حلوقهم . . يطالبون الأمة العربية بالفداء . . ويدعون أنهم . . أهل الحرب وحدهم . وهم الذين ما حاربوا . . وإن يحاربوا (١) . . بل يسعون لجر الأمة إلى نكبة رابعة تزيدها إذلالاً . . وتضاعف التعداد من أبنائها المشردين . . وتقدم للعدو أرضاً جديدة يثبت عليها وجوده اللقيط . . !

هذا موقف نسجله دونما زيادة في التفاصيل . . فراغب الزيادة قادر عليها ، ويجد ضالته في بطون الصحف . . وفيما تنقله كل يوم أجهزة الإعلام عبر إذاعات العالم هذا موقف لا نجد فيه إلا الحرص على رعاية الوجود الصهيوني على أرضنا . . تباركه قيادة حزب البعث وتسهر على راحته أجهزته العسكرية والمدنية على السواء .

ولكن هذا ليس هو — أبداً — موقف المخلصين من أبناء الشعب . . فلما هؤلاء . . وخاصة الرابضين في الخافر الأمامية والمواقع المتقدمة . . نظير صرخة استغاثة ، ونطلق صيحة إنذار . . أن اقتلدوا بإخوانكم في الأردن ومصر . . واضربوا الوجود الصهيوني . . افتعلوا الحوادث أنتم . . لتجروه إلى مجزرة عقب مجزرة . . لا تتركوا له راحة أبداً . . فإن سكوئكم هذا . . ليس له تفسير أمام الله والأمة . . إلا أنه التواطؤ . . أو الخنوع الدليل ، تفضيلاً لمصلحة الرتبة والراتب . . على كرامة الأمة ومصيرها ومستقبلها . . وفي هذا لعمرى من الجريمة ما يعدل التواطؤ . . إن لم نقل إنه يفوقه !

(١) كما وصفهم الرئيس جمال عبد الناصر في أحد خطابهات بعد حرب حزيران .

القسم الثالث
أُنوار في الطرِيق

. . وبعد المكبة هذه . . وخشية وقوع ما هو أسوأ . . وبعد أن أثبت الجيش « المفدى » عجزه عن صون الأمانة . . أصبح لزاماً أن تعود إلى صاحبها الحقيقي . . الشعب بمجموعه .

فأمانة الحفاظ على البلاد . . وصون مستقبل الأمة . . ومن ثم الانطلاق في سبيل التحرير لإنهاء الوجود الغازي الدخيل - وكل وجود غريب - على أرضنا . . أصبح فرضاً على الشعب كله أن يستردها ويمارس بنفسه كل صور القتال ، ويبدل كل أنواع التضحيات . . ليزول العار . . وتطوى صفحته في التاريخ ، على إنها لحظة من لحظات الضعف الإنساني . . يعذرنا أمام أجيالنا . . إننا بادرنّا إلى التخلص منها ، وعدنا فوراً إلى منطلقات قوّانا ومرتكزاتها . . لمعاودة مسيرتنا « المفروضة » نحو المساهمة في بناء حضارة الإنسان . . وإسعاده . . !

وإيماناً بحقنا - نحن الذين ما كانت لنا يد في نكبتنا . ولا حيلة لدفعها - في الإدلاء بكل ما نراه كفيلاً بهداية الصادقين الذين يتلمسون وسائل استعادة الحق ، ودفع العار . . وإسهاماً بجزء من الواجب الكبير الملقى على عواتقنا . . والمستولين عنه أمام الله والأمة . . وإلى الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا استكباراً . . العاملين بصمت صادق مخلص . . القادرين على تجاوز عقد التخلف المسبب لكل نكبة . .

إلى هؤلاء جميعاً . . سأحاول أن أضع على الطريق بعض الصوى . . فعسى الله أن ينفع بها . . وتكون معالم واضحة لمشكلتنا ، ونهتدى إلى أفضل حل للارتفاع من الهوة التي فيها سقطنا . .

- ١ -

عروف في العراق

« الصهيونية هي العودة إلى حضيرة إلى
قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد » .

تيودور هرتزل ، من خطابه الافتتاحي للـ
الصهيوني الأول في بازل (سويسرا) عام ١٩٧٠
عن كتاب (المسلمون والحرب الرابعة) .

إن أهم ما يجب توضيحه وفهمه ، في موقف العدو منا وحقيقة أمره
هو الكشف عن الأسس التي عليها بنيت جميع مواقفه منا ، والتي تشكل
بمجموعها ، الروح الحقيقية التي تحركه في صراعه معنا لإبادتنا والحوار على أرض
فعلى الرغم من كل التأثيرات التي أحدثتها حضارة الغرب العلمانية
الغرباء الذين حلوا بأرضنا لصوصاً غزاة ، وأقاموا دولتهم على أنقاض
في فلسطين وسيناء والجزولان . .

هؤلاء الدخلاء . . الذين قدم إلينا معظمهم من بلدان سبقتنا في الحض
والازدهار العلمي والمادى . . وعلى الرغم من كل ما خلفت فيهم
الحضارة ، من آثار في السلوك الخلقي والاجتماعي ، أو طراز الحياة اليوم
أو حتى في أساليب التفكير ، وعلى الرغم من كل ما يبدو لنا من مظا
انحلالهم وبعدهم — ظاهرياً — عن الدين . .

إننا على الرغم من ذلك كله . . نرى ونحس بوضوح ودقة ، البرا
الدينية التعصبية الحاقدة ، التي حركتهم ليهجروا مراتع طفولتهم وصبي
ويأتوا إلينا غازين مستنفرين في كل لحظة ، ضاربين بالراحة والسعا
والاستقرار عرض الحائط . . مضحين بكل شيء من أجل إقامة دولتهم
الدينية التي تأمرهم كتبهم المحرفة بإقامتها على أنقاضنا .

وقد لا يبدو هذا واضحاً للمراقب إلا بعد التدقيق في نصوصهم

قدمها وحديثها — فيجد أن دهاقنة اليهود وراسمى أسس سياستهم ومدبرى
خططهم الرهيبة لإقامة دولتهم والتحكم في العالم كله . . إنما ينزعون عن
قوس واحدة ، وينهلون من مورد واحد ، ويتحركون في إطار موحد ، من
الحقد والكراهية التي غرسها في قلوبهم دينهم المحرف ، وتوارثوها جيلا بعد
جيل . ساعدتهم على ذلك العزلة المطبقة التي فرضوها على أنفسهم والتفوق
الذي مارسوه طيلة الآلاف الماضية من السنين . . رغم تشردهم في بقاع
الله الواسعة .

هؤلاء الغرباء إذن ، جاؤونا مدفوعين بروح تعصبية غريبة من نوعها ،
أشاعتها في نفوسهم الفكرة التي أطلقها دهاقنتهم القدماء ، بأنهم هم شعب
الله المختار ، وإن كل من في العالم عبد لهم ، يرثون أرضهم وديارهم .
ويقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم . . تماماً ، كما فعل آل فرعون بهم
في مصر في قديم الزمان . وتتمثل هذه الروح التعصبية اللثيمة في النقاط الآتية :
١ - النقطة الأولى هي الفكرة الخبيثة . . التي بها يؤمنون هي أنهم
دون سواهم « شعب الله المختار » وأن شعوب العالم الأخرى - ونحن منهم -
حبر وكلاب وبهائم ، وإنه لا بد لهذا الشعب « المختار » أن ينال من ملك إلهه
(الذي اختاره) ، ما تجزئه له هذه (المخترة) من حق السيادة والتحكم
والاستغلال ، حتى ولو كان ذلك يستوجب الفتك والولوغ في كل محرم .
جاء في التوراة : « لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار
الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »
وتقول نصوص التلمود : « سأل إسرائيل إلهه قائلاً : لماذا خلقت
سوى شعبك المختار ؟ فأجابه : لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا
أخضرهم ، وتلوثوا ظاهريهم ، وتهدموا عامريهم !! » (٢) .
ويقول التلمود أيضاً : « إن الله خلق غير اليهود بالصورة البشرية إكراماً
للهم ، لأن غير اليهود وجدوا لخدمة اليهود ليلاً ونهاراً بدون ملل ،
ولا يوافق أن يكون خادماً الأمير حيواناً له الصورة الحيوانية ، بل يجب
أن يكون حيواناً له الصورة البشرية (٣) » . .

(١) - رقم المائدة - إصحاح ٧ - الآية ٦ .

(٢) عن كتاب دنانن النفسية اليهودية - محمد علي الزعبي - ص ٢٦ .

(٣) عن كتاب هجيرة التعاليم الصهيونية - ير من حنا مسند - ص ٦٦ .

ويقول الربانى اليهودى (أباربانيل) : « الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبديّة . أما الشعوب الباقية فهائلة للحمير (١) » .

وورد فى التلمود أيضاً : « كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل ، يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يهتموا بعناء العمل (٢) » .

وجاء فى العهد القديم : « وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فى الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيداً وإماء ، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندهم ، منهم تقتنون ومن عشائركم الذين عندكم الذين يولدونهم فى أرضكم فيكونون ملكاً لكم ، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك ، تستعبدونهم إلى الدهر ، وأما إخوانكم بنو إسرائيل ، فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف (٣) » .

٢ - والنقطة الثانية السكامة فى الفكرة الخطيرة . . التى يتحركون وراءها وبها يقسرون . أرض الميعاد فى بلادنا ، مستندين بذلك إلى نصوص هى غاية فى التحريف والباطل . ولو وضعت فى كل لحظة موضع النقاش العلمى المتزن ، لما صمدت . ولبرز فوراً زيفها وبخفها .

وانطلاقاً من هذه الفكرة . وتستراً بهذه النصوص الباطلة ، أصدر دهاقنة اليهود منذ الصرخات الأولى التى أطلقها رواد الحركة الصهيونية الأولى . . أصدروا على أن تكون دولتهم المنشودة فى أرض الميعاد . . (فلسطين) . . رافضين كل العروض التى قدمت لهم فى أما كن أخرى من العالم .

جاء فى العهد القديم : « أما أنا ، فقد مسح ملكى على جبل صهيون - جبل قدسى ، إني أخبر من جهة قضاء الرب ، قل لى أنت يا ابنى - أنا اليوم ولدتك ، أسألك فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إناء خزاف تكسرهم (٤) » .

(١) عن كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود - الدكتور يوسف حنا نصر الله - الطبعة الثانية - ص ٦٨ .

(٢) هجبة التعاليم الصهيونية - ص ٧٧ .

(٣) سفر اللاويين - الإصحاح الخامس والعشرين ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) زواير . نوفمبر ٢ : ٦ - ٩ .

— « في ذلك اليوم قطع الرب من إبراهيم (إبراهيم) ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (١) » .

— « وقال يعقوب ليوسف : الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني ، وقال لي ها أنا أجعلك مثمراً وأكثر وأجعلك جهوراً من الأمم ، وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً (٢) » .

— « الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً : كفّاكم قعود في هذا الجبل ، تحوّلوا وارتحلوا وادخلوا جبل الآموريين وكل ما يابه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ، أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات ، انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم (٣) » .

— « لم نأخذ أرضاً لغريب ، ولم نستول على شيء لأجنبي ، ولكننا ميراث آبائنا الذي كان أعداؤنا قد استولوا عليه ظلماً (٤) » .

وفي العصر الحديث :

— « إن دولة إسرائيل قامت فوق جزء من أرض إسرائيل (٥) » .

— « تتألف كل دولة من الأرض والشعب ، وإسرائيل لا تشد عن هذه القاعدة ، غير إنها دولة لم تأت مطابقة لأرضها وشعبها . وأضيف الآن : إنها قامت فوق جزء من أرض إسرائيل فقط . فالبعض يتردد بصدد استرجاع حدودنا التاريخية التي جرى رسمها وتعيينها منذ بداية الزمان ، وحتى هؤلاء لا يسعهم إنكار الشلوذ الذي تمثله الحدود الجديدة (٦) » .

— « . . . لعلك تذكر يا سيدي الجنرال ، لقاءنا في يونيو سنة ١٩٦٠ ، لقد سألتني حينذاك : ما هي أفكاركم الحقيقية عن الحدود الفعلية لإسرائيل ؟

(١) تكوين . إصحاح : ١٥ - ١٨ .

(٢) تكوين . إصحاح : ٤٨ - ٣ ، ٤ .

(٣) التثنية - الإصحاح الأول - : ٦ - ٨ .

(٤) سفر المكابيين الثاني : ١٥ - ٣٤ .

(٥) ص ٢١٧ من الكتاب الحكومي السنوي لإسرائيل ، للعام ١٩٥٢ ، ' انظر كتاب : ابن غوريون ص ٢٠٢ - تهاى هلسة - من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية .

(٦) ص ٢٠٤ من كتاب ابن غوريون . من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية .

أخبرني عنها ولن أقول لأحد . . ! لقد أجبتك عندئذ قائلاً : « لو إنك سألتني هذا السؤال منذ خمس وعشرين سنة ، لأجبتك أن الحدود التي نريدها ، هي : نهر الليطاني شمالاً ، ونهر الأردن شرقاً . أما جواني على سواك الآن ، فأقول لك : ليست لنا أية مطامع إقليمية في الوقت الحاضر . (١) »

ويقول مرتزل : « المساحة من نهر مصر إلى الفرات ، لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا ، يكون فيها الحاكم يهودياً . . وما أن تصل نسبة السكان اليهود إلى الثلثين حتى تفرض الإرادة اليهودية نفسها سياسياً (٢) . »

وهم بهذه الفكرة الخبيثة ، فكرة أرض الميعاد ، إنما يخفون أطماعاً استعمارية زهية . موجزها أنهم يحلمون بالسيطرة على مفتاح العالم وعقدة مواصلاته ومنبع ثرواته ، ومدفن كنوزه . . هذه القارة العربية الهائلة ، التي حلم بها كل طامع عبر القرون ، وسعى للفوز بها كل من فكر بالسيطرة على العالم كله . واليهود اليوم . . لا يختلفون عن سبقهم من الغزاة — من زاوية التفكير والأطماع هذه فقط — ، ولقد بدأوا مطالبهم بأسلوب خبيث مدروس ، فأظهروا أنفسهم بأنهم الشعب المسكين المسالم الذي لا يحلم بغير دويلة صغيرة في أرض فلسطين ، ذلك الجزء الصغير من الأرض العربية ، التي إن تخلى العرب عنها لهم ، فلن يخسروا شيئاً كثيراً بالنسبة لاتساع الأراضي عندهم وامتدادها ! !

وما أن ثبتوا أقدامهم على أرض فلسطين ، حتى أصبحوا آذان العالم بصراخهم وعويلهم ، يلحون على أسماع الشعوب . . بأنهم لا يريدون أكثر من العيش بهدوء وسلام مع جيرانهم . . هؤلاء المتوحشين الذين حتى الآن ، لم يكفوا عن التربص بهم . . وتحين الفرصة لابتلاعهم .

وهكذا كان . . طيلة العشرين عاماً الماضية . . حتى جاء يوم العار ، فخلع الذئب عن نفسه جلد الحمل ، وكشر عن أنيابه ومخالبه ، وهجم على الحملان المستترية بجلود النمر . . فزقها وشردها واحتل أرضها وديارها ، وداس كرامتها ، ومرغ شرفها . . في الوحل (على الأقل) .

والآن . . وبعد أن تمكنت أقدام العدو في الأرض ، وبعد أن أسكرته خرة الانتصار الخاطف . . بدأت ترتفع عقيرته بالصياح يعلن أن أرض

(١) من خطابات وجهه ابن غوريون إلى الجنرال ديفول عقب حرب حزيران . (عن كتاب : المقاومة ومركة المصير — سعد جمعة — طبعة ٣ — ص ٣٥) .

(٢) عن جريدة (الأنباء) اللبنانية ، ملحق العدد ٨٦٤ ، السبت في ٤ كانون الثاني ١٩٦٩

الميعاد ليست فلسطين وحدها ، بل هي من النيل إلى الفرات (راجع النصوص في الصفحات السابقة) .

وكشف العدو عن جزء آخر من أطماعه . . وأخذ يعمل بجهد ليصل إلى الحدود المقررة للمرحلة القادمة من وثباته . ومن يدرى . . لعله في الوثبة القادمة - إن تمكن - سيطالب بجنوب اليمن ، ومضيق جبل طارق ، وخليج البصرة ومضيق البوسفور ؟ .

٣ - وتقع النقطة الثالثة في اعتقادهم الذي يمكن وراء كل ما يفعلون ومن أجلها ينكولون بالعرب القاطنين معهم . هي أن الأرض التي يحتلون ، يجب أن تكون لهم وحدهم ، لا يعيش عليها معهم غيرهم ، وهم لتحقيق ذلك ، يبيدون وبشردون ، ويفعلون كل ما يمكن ، لتخلو لهم الأرض دون سواهم ، يشهد على ذلك ما نسمعه كل يوم ، وما تنقله إلى أسماعنا مع كل نشرة أخبار ، موجات الأثير . من أنباء الإبادة الجماعية في السجون ، أو في أماكن الاعتصام ، أو حتى في الشوارع ، حين يطلق جند العدو النيران بلا حساب على العزل الآمنين ، وعلى النساء اللاتي خرجن يطالبن بعودة أزواجهن وأبنائهن إلىهن . . وما تنقله وكالات الأخبار ، وصحف العالم الغربي بالذات ، عن الاستفتاءات التي تنظمها المنظمات والمؤسسات اليهودية في إسرائيل وبعض بلدان أوروبا ، يسألون اليهود فيها عما يجب فعله بالعرب ، فيكون الجواب - حتى من الصغار الذين لم يمارسوا الحرب بعد - ، واحداً دوماً ، وهو . . . اقتلوهم . أبيدوهم ، لا يصح أن يبقوا أحياء . هؤلاء المتوحشون ، الهنود الحمر (١) . . إلخ .

وإننا حين نقول هذا الكلام . . نحن على ثقة أن اليهودي - مطابق يهودي - لا يحمل لغيرة من شعوب الأرض إلا العداء والحقد ، ومن لا يصدق فليقرأ نصوصهم . جاء في التوراة : « إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً ، قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى . وفحصت وفنشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عمل ذلك الرجس في وسطك ، فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع

(١) « . . كان من نتيجة ذلك أن ٦٠٪ من طلاب المدارس الابتدائية الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٤ سنة ، يؤيدون الإغناء الكلي للسكان العرب المقيمين في داخل الأراضي المحتلة ، في حالة نشوب حرب مع الدول العربية (مجلة : « نظرة جديدة » الإسرائيلية الشهرية ، عدد كانون الأول ١٩٦٦ ، استناداً إلى استفتاء أجراه بعض علماء الاجتماع في إسرائيل) عن كتاب : المسلمون والحرب الرابعة ص ١٩٨ ، ١٩٩ . »

كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب
إهلك فتكون تلا إلى الأبد لا تبني بعد « (١) .

— « حين تقرب من مدينة لمكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن
أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير
ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها
الرب إهلك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال
والهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتعقنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك
التي أعطاك الرب إهلك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي
ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك
الرب إهلك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحررها محرراً ، الحثيين
والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب
إهلك (٢) » .

فهل نستغرب بعد هذا أن نسمع التهديدات بطلبها موسى ديان وأمثاله
من متطاري اليهود بأنهم سيحرقون نابلس أو غزة أو الخليل . . أو تهديمها على
رؤوس أهلها ؟ .

إن المستغرب أن لا يلجأ العدو إلى فعل ذلك . . وما ذلك إلا بناء على
مخطط مرحلي لثيم وخاصة وإن العدو قد محا من الوجود قرى عديدة . ومن
أهمها قلقيلة في الضفة الغربية وجباتا الزيت في الجولان . . . إلخ .

ولقد ورد في تلمودهم : « حطم الصالحين من بين الأجانب (٣) » .
وجاء في التوراة : « ينزلون نقمته بالأمم ، وتأديباتهم بالشعوب ،
ويأسرون ملوكهم وأشرافهم بأغلال من حديد ، وينفذون فيهم الحكم
المكتوب (٤) » .

— « رنخوا للرب الساكن في صهيون — أخبروا بين الشعوب بأفعاله
لأنه مطالب بالدعاء ، ذكرهم ، لم ينس صراخ المساكين (٥) » .

(١) سفر التثنية . الإصحاح ١٣ .

(٢) سفر التثنية . الإصحاح ٢٠ ، ومعلوم أن العرب هم القسم الأعظم من الشعوب التي
ورد ذكرها هنا وفي مواضع أخرى كثيرة من التوراة ، وهم الذين سكنوا فلسطين وما حولها
قبل إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه .

(٣) خرجية التعاليم الصهيونية . بولس حنا مسعد . ص ٩٣ .

(٤) مزابير . فصل ١٤٩ .

(٥) مزابير . المزمور التاسع ، ١١ ، ٢١ .

— الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب والكلاب (١) .

— « وقال الرب لموسى وهارون ، هذه هي فريضة الفصح ، كل ابن غريب لا يأكل منه . : النزول والأجير لا يأكلان منه » (٢) .

— « احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فحاً في وسطك » (٣) .

ويقول الحاخام أبرابانيل : « ليس من العدل بشيء استعمال الرحمة نحو الأعداء (٤) » .

ويقول تلمودهم : « إذا ضرب أمة (غير يهودى) إسرائيلياً ، فالأمة يستحق الموت » (سندرين ، ص ٢ ، ٥٨) (٥) .

ويقول تلمودهم أيضاً : « إن النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية ، هي نطفة حصان » (تلمود أورشلين ، ص ٩٤) (٦) .

ويقول كذلك تلمودهم : « . . . ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك . . » (٧) .

وتبلغ الوحشية في تعاليمهم ونصوصهم التي تسيرهم في علاقاتهم معنا ، ذروة الإجرام والحقْد الدفين ، انظر إلى تلمودهم يقول لهم : « اقتل صغيراً ، كبيراً ، بقرأ ، جمالا ، حمرأ . اجعل المدينة تلاء . . » (٨) .

أو ليس هذا الذى فعلوه عيناً ، في دير ياسين ، وقبية ، ونحالين ، والقدس ، وغزة ، والضفة الغربية . . ؟

وحتى نصوصهم في العصر الحديث . . لا تخرج عن روح اللؤم والحقْد والإجرام هذه .

انظر إلى أقوال هرتزل : « يجب أن يكون شعارنا : (كل وسائل العنف والحديعة (٩)) » .

— « إن العنف الحقوق وحده هو العامل الرئيسى في قوة العدالة ، فيجب

-
- (١) سفر الخروج ١٢ ، ١٣ .
 - (٢) سفر الخروج - إصحاح ١٢ : ٤٣ - ٤٥ .
 - (٣) سفر الخروج - إصحاح ٢٤ : ١٢ .
 - (٤) هجبة التعاليم الصهيونية ص ٦٨ .
 - (٥) الكنز المارصود في قواعد التلمود ص ٦٦ .
 - (٦) الكنز المارصود في قواعد التلمود ص ٦٧ .
 - (٧) الكنز المارصود في قواعد التلمود ص ٨٤ ، ٨٥ .
 - (٨) دفائن النفدية اليهودية ص ٥٨ .
 - (٩) يروتوكولات حكماء صهيون - البروتوكول الأول

أن نتمسك بخطة العنف والخديعة ، لا من أجل المصلحة وحسب ، بل ومن أجل الواجب والنصر أيضاً (١) .

— « حينما نمكن لأنفسنا ، ومتى ولجنا أبواب مملكتنا ، لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا ، أى الدين الماعترف بوحداية الله ، الذى ارتبط خطنا باختياره إيانا ، كما ارتبط بواسطته مصير العالم بمصيرنا ، فيجب علينا لهذا السبب ، أن نحطم كل عقائد الإيمان . . . » (٢) .

وحتى موسى ديان . . فقد عبر عن هذه النفسية اللثيمة ، فى تصريح له لمجلة « لوك » الأمريكية ، فقال : « إن معظم الإسرائيليين يفضلون أن يتخلصوا من العرب المقيمين فى الأراضى الجديدة المحتلة ، مع الاحتفاظ بهذه الأراضى (٣) . . . » .

ولقد سجل الله تعالى منذ أربعة عشر قرناً ، شهادة دامغة ضدهم ، تصمهم حتى قيام الساعة ، فقال جل شأنه :

« ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل (٤) » .

« أم لم نصيب من الملك ، فإذا لا يؤتون الناس نقيراً (٥) » .

وحكى الله تعالى عن لوئهم وعدم ثقتهم بأحد دون اليهود . فقال يصف حالهم :

« وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله . . . » (٦) .

صدق الله العظيم . . وفقت أعين لا ترى . . وصمت آذان لا تسمع . وطبع على أفئدة لا تفقه ، إن هى إلا كالأنعام ، أو أضل سبيلا .

٤ — والنقطة الرابعة والأخيرة تقع فيما يحرك حقدهم ضدنا ، من خلال حقدهم على الإسلام ، وسعيهم الدائب لإنهائه والقضاء عليه .

نعم . . الإسلام الذى كشف كفرهم وحقدهم وكل مخازيهم وسفالاتهم . الإسلام الذى أخرجهم من الجزيرة أذلة صاغرين ، وأفقدتهم آخر حصونهم ومواقع عزتهم ، فى يرب وخيبر وتيما .

(١) بروكولات حكاه صهيون - البروتوكول الأول .

(٢) بروكولات حكاه صهيون ، البروتوكول الرابع عشر .

(٣) عن صحيفة (الأنباء) الليتوانية ، ملحق العدد ٨٦٤ ، السبت ٤ كانون الثانى ١٩٦٩

(٤) آل عمران الآية ٧٥ .

(٥) النساء - الآية ٥٣ .

(٦) آل عمران - الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

الإسلام الذى كانوا ينتظرون أن ينزل بينهم ، وأن يبعث فيه بنى من بين ظهرانيهم . . فلما وجدوه بعث من نسل إسماعيل . . حقدوا عليه ، وحاربوه . . وتاريخهم معه طويل .

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين (١) » .

ونظراً لارتباط العرب بالإسلام . وارتباط الإسلام بالعربية ونظراً لأن أوروبا الصليبية ، واليهود الحاقدين ، لا يفهمون من العربية إلا أنها الإسلام ، ولا يستطيعون أن يتصوروا أن يكون للعرب كيان بغير الإسلام . . نظراً لأن العرب هم الذين (لطشوا) منهم — كما يعتقدون — ، النبوة الأخيرة ، وأخرجوهم من مواقع عزتهم . وبسطوا سلطانهم على « أرض الميعاد » . نظراً لكل ذلك ، فهم إنما يوجهون كل حقدهم على العرب ، يبغيون إبادتهم ، واحتلال أرضهم ، وإزالة مقدسات المسلمين منها ، وبذلك — كما يعتقدون — يقضون نهائياً على الإسلام . . . ويدكون آخر حصونه ثم يتفرغون للتحكم بالنصرانية رخصية الحساب معها .

هذه النقاط الأربع التى أتينا على ذكرها . تشكل فى مجموعها الكيان الروحى الدينى المتعصب الذى يلف الذات الإسرائيلية ، ويدفع بقادتها إلى التحرك ضمن هذا الإطار ، فى عجز فاضح ، يشل قواها عن التحرر منه ، والتحرك خارجه فى رحاب التسامح ، والإسهام فى رفع حضارة الإنسان صعداً . . . وهذه الروح الدينية الحاقدة الدفينة المتأصلة فى أعماق الإنسان اليهودى — حيثما وجد — هى التى حركت منذ البداية ، طلائع الحركة الصهيونية للعمل الجاد الدؤوب . . . حتى حصلت على حلمها الذهبى . . . وتملكت أرضنا المقدسة ، . . . وهى نفسها الروح التى دفعت بجند إسرائيل لاحتلال ما احتلوه فى حزيران العار ، . . . وهى نفسها الروح التى تحرك اليوم قادة العدو وجنده للتشكيل والاعتداء . . . بغية الحصول منا على فروض الطاعة والدلة والاستسلام . . .

هذه الروح الدينية المتعصبة الحاقدة . . . هى وحدها ، التى كانت وراء التفوق العلمى والفنى والحضارى . . . ثم العسكرى ، لدولة العدو . . . على دولنا وجيوشنا وقادتنا أجمعين .

(١) البقرة - الآية ٨٠ .

ولقد حرصت الأجهزة الفاجرة لدولة البعث . . . على إخفاء معالم هذه الروح عن الشعب . . . وتجهد اليوم لتحجب عن ضمير المواطن كل ما من شأنه أن يذكره بأن العدو يقاتلنا منطلقاً من دينه الذي يؤمن به - على فسادِه وبطلانه ، وإيكنه يؤمن به مطلق الإيمان - ، بل . . . وتكاد تنبج الحناجر الناعقة ، تصر بفجاجة مرة . . . على أن دولة العدو . . . إنما هي قاعدة النفوذ الاستعماري الامبريالي الرجعي الفاشستي النازي الـ... إلخ ، تماماً كما تصر الـ (. . .) بفجورها وتهتكها . . . على إقناع الأشراف أنهم هم الفجرة ، وأنها هي (الظاهرة البتول) .

وطبيعي أن تقف أجهزة التآمر ، ومواقع الخيانة مثل هذا الموقف . . . ومنطقي أن تنكر هذه الزمرة ، كل ما من شأنه أن يجعلها تعترف -- وأوعفويًا بصورة غير مباشرة -- بأثر هذه الروح الدينية وأثر الإيمان في صمود القوات والأخذ بيدها إلى طريق النصر ، وهي . . . هي التي نأبت منذ تعربشت على السلطة فجر الثامن من آذار ١٩٦٣ ، على تدمير روح الإيمان ... وإفساد عقيدة الشعب ، وإذلال كرامة المواطن ، ونسف كل ما من شأنه أن يجعله يعتز بإيمانه وتراثه ، ويدفعه للبذل - مهما غلا البذل - للحفاظ على هذا الإيمان ، وحماية هذا التراث .

مثل هذا الموقف . . . يسوقنا - ولو أطلنا الحديث بعض الشيء - إلى الاستطراد والتذكير - في موقف المحاسبة هذا - بجرائم هذه الزمرة . . . وبأعمالها التي أقدمت عليها ، انتهاكاً لكل المقدسات ، واستهزاء بدين الشعب وعقيدته .

أو ليست هذه الزمرة هي نفسها التي قصفت المساجد في حماة وحمص بئران الدبابات والمدفعية والطيران ، في نيسان من عام ١٩٦٤ ؟ أوليست هذه الزمرة هي نفسها التي أمرت بإهانة المصلين المسلمين والتعرض لهم بالضرب والشتم ، في طرطوس عام ١٩٦٤ ، ووقفت تحمي زمر التخريب الحاقدة ؟ هل يمكن أن ننسى أن هذه الزمرة هي نفسها التي ضربت بالرشاشات أربعة آلاف من المصلين في المسجد الأموي في دمشق ، وهاجمت المسجد بالآليات المصفحة وقتلت على باب الجامع عدداً من المصلين ، واعتقلت الألوف منهم لتتكلم بهم وتذيقهم آخر ما توصل إليه الفن البعثي الحاقدة من أساليب التعذيب والإذلال والتصفية الجسدية ؟

أم إننا ننسى أن الزمرة هي هي . . . نفسها ، التي (دفعت) « عميل
المخابرات المركزية الأمريكية (١) . . . المرشح لإبراهيم خلاص » ، ليكتب
مقاله المشهور « المدسوس على مسيرة الثورة (٢) » . . . والذي يطالب فيه
بـ « خلق الإنسان العربي الاشتراكي الجديد » ، ويطالب كذلك فيه بـ « وضع
الله (٣) - والأديان - والمترفين - والمتخمين - والإقطاع و . . . إلخ -
دعى محنطة في متحف التاريخ » ؟ ؟ .

ومتى كان ذلك . . ؟ . كان قبيل الحرب . . . في الوقت الذي كان
يتحرك فيه حاكمو الجيش الإسرائيلي يتاون المواعظ ويذكرون الجند بدورهم
(التاريخي) ويردونهم إلى حدود التدين والتوبة إلى إله إسرائيل . . . في
الوقت نفسه . . . نتأ إبراهيم خلاص ، يعبر عن حقد وعنف النفوس التي
تتحكم في رقاب الشعب اليوم ، لتكمل دورها (التاريخي أيضاً) ، في التخريب
وتصفية كل جيوب المقاومة الإيمانية التي قد تقف وقفة الصمود في وجه
(الإسرائيليين) . . . القادمين بعد ما يقارب الشهر ونصف الشهر .
لتسلم (الأمانة) التي احتفظ لهم بها وكلاء كوهينها . . . ويذيعوا لهم مسبقاً
عن سقوط القنيطرة . . . لتفويت فرصة الصمود على كل مخلص بقي . . .
شيء من إرادة القتال والمقاومة .

-
- (١) هكذا قالت عنه أجهزة الإعلام الرسمية بعد انكشاف أمره . ونظور القضية نعد
احتمالات الصدام بين الشعب والسلطة . . . وذلك في محاولة منها لستر جريمتها ولتلفيقها بعد إن
أخذت ، دأها في التخريب المقصود والمخطط له .
- (٢) من التماييز التي وصفت أجهزة الإعلام بها ذلك المقال للتوصل من مسؤوليتها فيه .
وقد كان ذلك في العشر الأخير من نيسان عام ١٩٦٧ .
- (٣) جلي جلاله وتعالى عما يصفون .

-٢-

نحن .. والقضية

« ولا تنهوا في لبيتغاء القوم ، إن تكونوا تأملون
فإنهم يأملون كما تأملون ، وترجون من الله ما لا يرجون .
وكان الله عليماً حكيماً » .

(سورة النساء ١٠٤)

« فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ،
حتى إذا أنخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما مناً بعد وإما فداء
حتى تضع الحرب أوزارها . . . » .

(سورة محمد ٤)

(أ) ونتيجة لموقف العدو منا ، ونواياه تجاهنا . واستجابة لأوامر الله
الذى يدعونا إلى رحاب العزة والإيمان . .
واستقراء لشواهد سوابق من أحداث التاريخ . . . في علاقات الشعوب
بالأرض . . .

يتحدد أماننا بأوضح ما يكون . . ما يجب أن يكون عليه موقفنا .
وسلوكننا ، واتجاه حركة الأحداث ، الذى إايه يجب أن نوجه كل طاقاتنا ...
لاسترداد ما فقدنا . . .

هذا الاتجاه . . . الوحيد ، والمحتوم . . . شئنا أم أبينا . هو :

إن هذه الأرض لا تلسع لنا مع الغرباء ،

هذه الأرض ، لا تحملنا مع أغراب دخلاء ، يريدون مقاسمتنا إياها .
والاستئثار بنهراتها ، . . . أبداً . هذه الأرض لنا وحدنا . . . نحن أصحابها
الشرعيون ، ولنا وحدنا مطلق الحق فى أن نقبل عليها من لا يعاديننا ولا يشكل
خطراً علينا وأن نرفض كل دخيل غريب طامع بالأرض وكنوزها .
هذه الأرض . . . هى أرضنا ، شاء العدو أم أبى . . . و شاء العملاء
الاستسلاميون ، أم أبوا . . . و شاء السادة الكبار الاستعماريون أم أبوا . . .

هذه حقيقة يجب أن تتمثلها في كل لحظة من لحظات عمرنا . . . يجب أن نملأ بها قلوبنا وأعيننا . . . وعليها يجب أن تبني آمالنا ومطامحنا . . . هذه الأرض لنا وحدنا . . . واليهود الإسرائيليون هم دخلاء . . . غرباء . . . أعداء . . . نعم أعداء . . . نقولها بملء أفواهنا ، ونصم بها آذان العالم كله . اليهود الإسرائيليون . . . هم أعداء أتوا أرضنا غزاة مجرمين . . . ويجب أن يخرجوا منها مطرودين أذلاء ، . . . أو نقبرهم في أرضنا جيلاً بعد جيل ، أو . . . يتمكنوا من إبادةنا جميعاً . . . والحلول على حطامنا . . . وعندها لن يبقى من يندم على شيء . . . إذ نكون قد أدبنا واجبننا . . . وممتنا كما يموت الكرام .

إن كل غريبان الشوم التي تنعق اليوم ، بنعمة الأمر الواقع (١) . . . وتقبل ما حدث . . . والارتفاع فوق الأحقاد العنصرية و . . . كل هذه الأصوات . . . هي أصوات المجرمين اليساريين الثوريين . . . الذين صنعوا هذه الذكبة لنا . . . ويريدوننا أن نتقبل ما حدث . . . لأن قبولنا إياه ، يعني صرف النظر عن محاسبتهم عما اجترحوا من سيئات ويعني إقرارنا بشرعية جرائمهم التي ساقتنا إلى هذه الذكبة .

ولقد ثبت لكل ذى بصيرة ، أن كل ما أنفقته الدعاية الإسرائيلية خلال السنين الطويلة لإقناعنا وغيرنا ، أنها لا تريد إلا السلم والاستقرار معنا . . . هو كذب كله . وهو ضحك على ذقون السذج البسطاء . . . إسرائيل تريد فناءنا . . . فلنرد فناءها . . . حتى ولو فنيينا عن بكرة أبينا . لنوطد العزم على القتال المرير . . . الطويل . حتى تطهر الأرض ، وتعود إلينا كما كانت . . . صافية حرة حبيبة إلى القلوب . . . مفداة بنور العيون ، محمية بالمهيج والأرواح . وكل غال من المسال والأحباب .

إن كل الدعوات التي توصل إلى قبول العيش مع إسرائيل في بلادنا . . . مرفوضة ، بل هي دعوات مجرمة لثيمة سواء أصدرت من العدو نفسه أو ممن يساندونه من دول الاستعمار والظلم ، أو دعوات خائنة متآمرة إن هي صدرت عن هيئات أو حكومات أو مؤسسات أو أعلام عربية مهما كان البرقع الذي يلف الدعاة هؤلاء ، جميلاً أخاذاً .

(١) إنظار كتاب عرب ويهود . ص ٢٥ . لاه كهور سامى الجندى .

يجب على كل منا . . . نحن العرب والمسلمين . . . أن نفهم ، ونؤمن ونتعلم ، ونعلم ونربي صغارنا على هذه الحقيقة ، ليتابعوا حمل الأمانة إن لم يتح لنا إيصالها إلى مأمنا . . .

هذه الحقيقة ، واضحة ، قوية ، موجزة . تقول : إسرائيل بكيانها السياسى والاجتماعى والعسكرى والاقتصادى هى عدونا . . . ولا عيش لها معنا . . . ولا بد من طردها أو إفنائها حتى تزول نهائياً كل تلك الكيانات الغريبة ونبقى وحدنا على هذه الأرض نفعل بها ما نشاء .

(ب) ويقودنا الاستطراد المنطقي ، في هذا البحث ، إلى أن نهتدى إلى الطريق الواجب ، والوحيد ، لحل أزمئتنا وإنقاذ مستقبلنا ، وشرفنا ، ومصير أجيالنا . . . وهو الذى ليس أمامنا غيره . ، وهو الذى إن لم نفرضه نحن بعزة ورجولة ، فسيفرض علينا ونحن فى أسفل دركات الخنوع والدلة . . . هذا السبيل الوحيد ، هو :

القتال :

نعم . . . القتال . . . بملء الفم نقولها . وبأعلى صوت ننادى بها . . . القتال يا عرب . القتال يا مسلمون . القتال يا رجال . . . إن كان قد بقى فى دنيانا رجال .

القتال . . . بكل وسائله وصوره وأحجامه وأبعاده . . .

القتال بكل وسيلة وبكل سلاح وعلى كل شبر من الأرض . حتى تتحرر . وتتطهر الأرض . وتعود إلينا الأرض . . . حبيبة إلى كل نفس ، وقرة لىكل عين . القتال يجب أن يشن على الأرض المحتلة ، وعلى كل أرض قد يحتلها أعداؤنا أو من يساندهم . . . القتال بنظاميته وشبه نظاميته وبشوريته . القتال جماعياً أو افرادياً . . . لا فرق .

المهم . . . أن نزرع كل شبر من الأرض بالقتال . بالنار . بالموت . والدمار . بالعرب والقتل . المهم أن لا ندع لعدونا لحظة يستعيد فيها أنفاسه . عدونا يجب أن يضرب على رأسه ووجهه وظهره وبطنه وكل أجزاء جسده ، بكل سلاح . وبكل ما يمكن أن يؤدى إلى موته والإجهاز عليه . . . أو يستسلم صاغراً ذليلاً . . . ويتخلى عن كل كياناته التى يتغطرس بها الآن عندها . . . نحن الكرام . . . نوصله إلى مأمنه ، ونعيده من حيث جاء . . . ليبدأ مرحلة جديدة من التشرد والذل . . . أربعة آلاف سنة أخرى من التاريخ القادم . . . لا بأس .

إن بين عدونا وبيننا مراحل طويلة وعميقة من التفوق الحضارى فى العلم
والقدرة على الإنتاج . . . وهذا كله ، لن يتسنى لنا اجتيازه واستباق الزمن
لوقف تطوره نحو مزيد من التفوق علينا . . . إلا بالنار . وبالقتال . . .
القتال بالبنادق . . بالرشاشات . بالمدافع والدبابات والطيران .
القتال بالعصى والخنجر . والحجارة .
بالعصيان والاعتصام .

بالزيت المغلى وزجاجات مولوتوف . . .
الذبح بالسكاكين . وإحراق الممتلكات وتدمير كل إمكاناته الاقتصادية .
إشعال الأرض تحته جحيماً مستعراً .
إملاء الجوع عليه بعقب الموت وروائح الرعب حتى يحنق ويستسلم .
قاتلوهم . . يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم .
قاتلوهم . . ولا تأخذكم بهم فى دين الله رافة . . .
إن عدونا جبان وعديد . . .

إن ما نراه اليوم من غطرسة وانتفاش كالدب . . سببه غياب الصقور من الجو .
إن استئساد الكلاب . . سببه غياب الأسد عن عرينه . . من ذئب
كاسر ، إلى أرنب جبان ، يرتعد فرقاً . . ويختفى من طريق الصيد تحت
كل جبة شوك ، أو نتوء صخر .
ولكن . . . كيف السبيل إلى القتال ؟ .

(ج) هذا السؤال يلج على الأذهان . . وينتظر الإجابة الصريحة .
إن القتال . . واقع لا محالة . هذا أمر تسوقنا إليه الأحداث المتسارعة . .
ويفرضه منطق الحياة . . وتؤكدده سنن الله فى هذا الكون . . ويدل عليه
الاستقراء الواعى لأحداث التاريخ .

ولكن . . . هل نبقى نحن . . ننتظر المصير بذلة ومهانة . . أم نسابق
عمرنا إلى ذلك المصير بكرامة وعزة ، فنكسب شرف الفداء ، ونغرس
فى أجيالنا القادمة نبل التضحية ، وعظمة النضال من أجل عدالة القضية ؟ .
إن من واجبنا . . نحن جيل النكبات ، أن نسارع لاستباق الأحداث ،
وفرض القتال على العدو الإسرائيلى فى الشروط التى نريدها نحن . . لا أن نترك
له فرصة الاستعداد والتدبير ، حتى ينقض علينا كالذئب الجائع فى ليلة باردة
ثم يتركنا فى زهول الحملان . . بعد أن أعملت فيها وثبة الذئب تمزيقاً وتشريداً .
والطريق إلى ذلك واضح . . .

فالحطوة الأولى على الطريق هى فى :

١ - التخفيف من متع الحياة الرخيصة التي نمرتنا بها المنجزات الحضارية
المسادية ، خلال مدها الطاغى على شرقنا المنكوب .

إن مجتمعاتنا بأشكالها ومحتواها كما هي اليوم . . . غير مؤهلة لخوض
القتال - أى قتال - ، فلا بد من تغيير كبير فى ملامح مجتمعاتنا . . . فى
طراز حياتنا . . . فى طرق تعاملنا . . . فى نوعية أكلنا وشربنا ولباسنا وسكننا . .
فى طرق ثقافتنا ومناخ تعلمنا وتعليم أجيالنا . . .

إن هذا التغيير المطلوب ، لا بد آت مهما حاولت قوى التأخير إعاقته
عن أخذ مجراه . . . لإحداث الانقلاب المطلوب فى حياتنا . . .

إننا على أبواب هذا التغيير الحاسم فى صورة مجتمعاتنا ومحتواها ، وإننا
لنلمس بوادر هذا التحول . . . فى أمور أخذت تقع ، وظواهر تتكرر
كل يوم . . . تدل أبلى الدلالة على التغيير الكبير الذى نحن مقبلون عليه .
ولكن واجبنا نحن . . . إن كنا مخلصين لأنفسنا وأولادنا - على الأقل -
أن ندفع بعجلة التطور دفعا حثيثا إلى الأمام لنتمكن من دخول السباق مع
الزمن ، ونتعجل صورة المجتمع المطلوب ، المهيأ لخوض القتال الفاصل مع
قوى العدو المختلفة .

وكيف ذاك . . . وماذا يمكننا أن نعمل لتحقيق التغيير المطلوب بأقل
مهلة زمنية ممكنة ! .

الأمر فى غاية البساطة . . .

لا بد لذلك من الكف عن الجرى وراء المتع الرخيصة من كل جلس
ولون . . . وتوفير أثمانها لشراء السلاح والإعداد للحرب . إن مقاطعة
الكعاليات وأدوات الزينة والأزياء ومجالس اللهو العابث وحانات المحزون . ،
شئ فاصل فى دأبنا تحقيق التغيير المطلوب .

يجب أن يتوقف هذا السباق المحزون للحصول على الثروات وتكديسها
فى البنوك - داخل البلاد وخارجها - ، دونما فائدة نجنبها من تكديسها سوى
السباح لقوى خصمنا باستغلالها والإفادة منها فى مشاريعه للتقوى على حسابنا ،
يجب أن يزول من مجالس سمرنا التفاخر بمقدار الثروات ، أو عندد
البنابات ، أو نوع السيارة أو أثاث البيت ومحتوياته من الرياش والفراش . . .
ليحل محله الحديث عن الحرب . . . عن الفداء . عن فلان الفدائى الذى
ذهب من عائلتنا واستشهد فى مكان كذا . . . عن فلانة المحاهدة التى قدمت
من أولادها كذا للقتال ضد اليهود . . . عن فلان المجاهد الذى عاد مؤخرأ

وفي جعبته إثبات بأنه قتل عدد كذا . . . من يهود إسرائيل . . . هكذا التفاخر
وهذا ليكن حديثنا كل يوم . . . وكل ساعة ، وكل ليلة .

ليكن حديثنا عن أفضل أساليب القتال والنضال ضد العدو الإسرائيلي . . . بدلا
من مناقشاتنا حول أفضل السبل لتجميع الثروات وكسب الأرباح الأكثر فحشا .
هذا التهلك والعرى السافر يجب أن يزول - بأي أسلوب - ويجب أن يحل
محله تفاخر البنات والسيدات بلباس القتال . . . وعدد الرمايات . . . وإتقان
أساليب الإسعافات . . . وأفضل السبل لتربية الأبناء كي يشبوا مقاتلين رجالا .
هذه الصور الفاضحة في صحافتنا للفاجرات الساقطات . . . يجب أن
تختفى . . . وتحل بدلا عنها ، صور المناضلات بلباس القتال . . . أثناء التدريب . . .
أو في أرض القتال . . . أو حتى أمام محاكم العدو . . . لا بأس .

الورق والحبر الذي ينفق والوقت الذي يهدر للتحديث عن الجنس والذيلة
يجب أن نعرض عنه . . . فيكسد ، ولنسع لنحل محله الحديث عن الحرب . . .
تعليم الناس طرق القتال ضد الغزاة . . . شرح المعارك الفاصلة في تاريخنا . . .
الكلام عن أفضل السبل لتحطيم القوة العسكرية المتغترسة للعدو .

وحتى الطعام والشراب . . . يجب أن نتخفف منهما ، ونحن على ذلك
قادرين ، بدلا من أن تفاجئنا الحاجة ونحن لها غير مستعدين . يجب أن
نتخلص من هذا التنوع المضيق للوقت والمال والصحة في الأطعمة والأشربة .
فالأمم لا تبنى حضارتها على بطون الأكلة المتخمين ، بل على عقول المفكرين .
ومنهم من يمضي أياما ناسياً طعامه وشرابه - ، وعلى سواعد العاملين الجبارين
الذين يأكلون ما خفف من الطعام . . . على الماشي دون إضاعة الوقت .

لقد أثبتت لنا حرب فيتنام أن مجد الأمم ، يمكن ، بل وغالباً ما يبنى
على أجساد المناضلين النحيلة ، الغائرة عيونها من الجوع . . . إن أجدادنا
كانوا في معاركهم الفاصلة يقتسمون حبة التمر الواحدة بين اثنين أو أكثر
من المقاتلين . . . ولم يهزموا ويتوقف زحفهم ومدهم إلا حين أثقلهم المتاع ،
وملأ بطونهم اللذيد من الطعام والفاخر من الشراب .

إن بلادنا واسعة . . . وخيرة . . . ويمكنها أن تنتج لنا من الفول والعدس والقمح
والشعير ما يكفي لإطعام الملايين المتعاقبة من المجاهدين الذين يجب أن يتدفقوا
على أرضنا للإسهام في شرف تخليص الأرض المقدسة من أعداء الله والإنسان .
مثل هذه الأمور . . . لا بد أن تحصن ، وهي في متناول أيدينا ، ليست

خيالا ، ولا حلماً في ساعة شروء الذهن . لأنها واقع يمكن تحقيقه . ويمكن
من خلاله تمحيص نفوسنا وتهيئتها لدورها التاريخي الفاصل .

إن هذه الأمور وأمثالها ... لا تحتاج الجهد . حتى يتم تحقيقها ... أمور
ممكنة ... تسوق هي بأدورها نحو مراحل أعلى وأفضل ... من التغيير الجذري
الفعال ... حتى تختفي الصورة الحالية المسوخة لمجتمعنا .. ونحل مكانها
الصورة الماشودة .. المجتمع الحر ، المقاتل .. الذي يجود كل يوم بوجبات تلو
الوجبات .. يدفعها إلى ميدان القتال .. لتحرير الأرض ، وسقيها بالدم الطهور .
إن البداية في طريق التغيير .. لا تحتاج إلا إلى مقدار بسيط من إرادة
التغيير ... والقدرة على التضحية بمقدار ممكن ، من متع اليوم ... ورغاهية
اليوم ... من أجل مستقبل مضمون ، إن لم يكن لنا فلاًجيانا ... ويبقى لنا
نحن طيب الذكرى ... وحسن المثوبة على مقدار إخلاص النية .

٢ - والخطوة الثانية التي يجب أن نخطوها منذ الآن - دونما فارق زمني
بينها وبين الأولى - ، هي الحصول على السلاح .

.. ليلذل كل منا ما عنده .. ليشتري سلاحاً أو أكثر يستعد به لليوم
الفاصل .

أيها الناس .. تبيينوا مواقع أقدامكم .. واعرفوا أين أنتم سائرون .
في الإسلام .. الخطأ والجريمة أن يترك المؤمن سلاحه .. فالسلاح جزء
من جسد المؤمن .. لا ينفصل عنه إلا بالموت .

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة » (١) .

(١) .. أما يكنى من تحذير ؟؟

.. نحن في ربع القرن الأخير .. فقدنا روح القتال .. فقدنا حبنا
وشوقنا للسلاح .. استمرأنا حياة الذل المرفهة الطرية .. ففتنا فالسيارة والشقة
الفاخرة والأثاث الأنيق والديكور الفائق ..

أضعنا وقتنا في التدريب على الرقص والتزلج واستخدام البيانو والكمكان
بدلاً من التدريب على القتال وإتقان استخدام السلاح .

حتى الرياضة ، ملنا عن الأنواع القاسية العنيفة منها ، التي تربي روح

(١) النساء : ١٠٢ .

الرجولة والصبر والإقدام ، و زاد اهتمامنا بالرياضات الطرية اللطيفة مثل
كرة الطاولة وكرة البليارد .. إلخ .

لنعد إلى السلاح .. إلى المصارعة .. إلى التتار ، الرحش .. إلى تسلق
الجبال ، إلى المشي والجري الطويل .. إلى الفروسية ومباريات الرماية ..
إلى كل ما من شأنه أن يبعث الرجولة النائمة في النفوس ..

ولا نسأل من أين يأتي السلاح؟

إن إرادة الحصول عليه .. والإصرار على نيله .. كفيلا بتدليل كل
عقبة تعترض ذاك السعى . مصادر السلاح أكثر من تحصى ..

إن سلاحاً واحداً في يد قادر على استخدامه .. مصمم على الدفاع عن
عن بيته - على الأقل - ليعدل كل مال الأرض ..

.. إن البنايات الفاخرة .. الضخمة .. المتعالية بأراجها تطاول السحاب هي
أعجز من أن تدافع عن نفسها ضد رجل واحد يحمل السلاح ويتقن استخدامه .
لن تنفعنا القصور .. ولن تزيدنا الأبنية الكبيرة .. والأثاث الفاخر
إلا ثقلاً إلى الأرض .. وعجزاً عن الهبوب كالبركان للدفاع عنها .. وعمّا
هو أعلى منها وأبهظ أثماً ..

إن الموائد العامرة .. والأطعمة المثقلة بكل أنواع اللذة .. لا تحتفظ
برونقها إلا مقدار ساعة أو ساعتين .. ثم تمضي في طريقها .. لتصبح فضلات
ترى في أحط الأماكن وأقذرها ... بينما يعيدش السلاح ويحتفظ برونقه
وقيمته وجدواه عشرات السنين .. ما دامت تمسك به يد بطاشة يحركها
قلب مؤمن جسور ..

وبعد شراء السلاح .. لتتدرب على إتقان استخدامه .. أينما كان ..
وكيفما استطعنا .. في البيت .. في الحقل .. في الجبل والوادي .. في كل
مكان .. لا بد من إتقان استعماله ليعطينا المردود الأكبر من رؤوس اليهود
الغزاة في فلسطين .

ولئن سأل سائل . . ماذا يمكن أن يصنع المسدس أو البارود . .
تجاه المدفع أو الطائرة المزودة بالصواريخ ؟ .. فنحن نجيب عندها .. أن
على السائل أن يعود إلى تاريخ العلاقات بين العرب وإسرائيل منذ عام ١٩٣٨
وحتى حزيران العار في عام ١٩٦٧ . . ثم لينظر إلى العلاقات بينهما منذ
وقف النار عقب الحرب المسرحية وحتى اليوم .. وعندها نحن نسأل :
ماذا وجدت ؟

ماذا فعلت الطائرات لدى العرب مقابل الطائرات لدى العدو ؟
ماذا أجدت الدبابات لدى العرب تجاه الدبابات لدى العدو ؟
لقد كنا نملك أحدث السلاح وأفتكه .. أسرع الطائرات وأكثرها مرونة .. أدق المدفعية وأبعدها مدى .. أثقل الدبابات وأكثرها مرونة وقدرة على المناورة .. حتى الصواريخ .. أدق أجهزة الأسلحة .. لقد كنا — على الأقل — نعدل عدونا بالتسليح .. إن لم نسكن نفوقه ، ، فإذا فعلنا ؟ ..
العدو تفوق علينا بما هو وحده الكفيل بكسب الحروب — حتى في حالة عدم التكافؤ القوي — .. الإيمان .. والتصميم .

إرادة القتال .. إرادة النصر .. العزيمة الثابتة التي جعلت العدو لا يضع لحظة من الوقت دون جدوى .. الإخلاص الدقيق لقضية . مما جعله يستفيد من كل إمكانية تحت تصرفه مهما تفهت وصغرت .. لكسب الحرب .. لم يك أحد يتصور أن تنطلق الطائرات في رحلة كسب الحرب منذ ساعتها الأولى من على الطرق (الأوتوسترادات) وليس من على مهابطها في المطارات . لم يك أحد يتصور — حتى القادة الكبار وقد اعترفوا بذلك — .. أن تأتي الطائرات من الغرب .. بدل أن تأتي من الشرق ..

وبعد حزيران العار .. ؟ وبعد أن قبعت الجيوش (القوية الهادرة .. الأقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط .. إلخ) . في مخابها تلحق جراحها وتعيد لم شعها .. وتلمم ثوب الهزيمة الذي جاء أكبر منها فبدا فضفاضاً عليها .. برز في الأرض عمالقة حقيقيون .. رجال ولا نكل الرجال مجموعات صغيرة — وصغيرة جداً إذا قيس إلى الجيوش المهزومة — ولكنها زمر من الجن .. برزت وحدها في الميدان .. تقول لجيش الغزو السكران بخمرة الانتصار .. جاء دورنا .. فتعال نناقشك الحساب .

مجموعة بسيطة .. صغيرة .. ضعيفة في السلاح .. لا تملك منه إلا المسدسات والبنادق وبعض الرشاشات .. صفعت الجيش السكران .. وجعلته يصحو مذهولاً لجراتها .. ويستجمع كل قواه ليستأصلها .. ويعود إلى الخمار .. يتابع الاستمتاع بنشوة النصر .. فإذا كان ؟

خمسة عشر ألفاً من الجنود .. المدربين .. الخارجين حديثاً من انتصار ساحق فاجع .. المدعمن بكل أنواع السلاح الآلى الثقيل .. تقدموا ليؤدبوا أولئك « المخربين » — كما سميتهم دولة البغي — .. فتلقوا الرد المذهل .. بضع مئات فقط من الرجال الذين قرروا أن يموتوا .. فعاشوا

وأحيوا شرف هذه الأمة بعد أن كاد يموت تحت أقدام الغزاة .. وردوا الجيش المنتصر .. إلى مواقعه مهزوماً .. مثل كلب ضخم .. مزقت لحمه مرة تنمرت دفاعاً عن صغارها .. فعاد يلحق جراحه .. ويفكر بحيرة .. كيف لها أن تنال منه ؟

هل نحتاج إلى شواهد أخرى ما زلنا نعيشها ونتحسس أخبارها مع كل نشرة أخبار ؟

هذه فيتنام .. وتلك كانت باكستان بالأمس القريب .. وقبلها كانت الجزائر .. وكلما توغلنا في التاريخ .. عثرنا على أمثولات أكثر .. ونماذج في مثل الروعة ذاتها .. وعلى المستوى نفسه من عظمة التضحية وفعالية التصميم القادر على انتزاع النصر .

٣ - وبعد ذلك .. بعد أن نبدأ في طريق التغيير ونسعى لإحداثه .. وبعد أن نتسلح ونتدرب .. ننتقل إلى المرحلة الأخيرة من رحلة التغيير .. رحلة التاريخ لعبور الهوة التي تفصلنا عن مكاننا الطبيعي تحت الشمس .. بعد ذلك ننتقل إلى القتال .. إلى ميادينه الحقيقية في هضبة الجولان ، وعلى ربى القدس الشريف ، وفي بطاح حطين .. وفي رحاب المسجد الأقصى وعلى ذرى الجليل .. وعلى سواحل عكا وحيفا ويافا وغزة ورفح .. وعلى طول شاطئ قناة السويس ، وعند سفوح الطور ، وفي متاهات سيناء والنقب .

ننتقل إلى أرض الشرف والفداء .. وحداناً ومجموعات .. نشد أزر الذين سبقونا إلى ذلك الفضل ، ونلحق بالركب المتقدم في دروب البطولة .. ونفتح الباب أوسع ، ونمهد الطريق أعرض لمن سيأتى بعدنا .. ليسهم في دوره ، وينال حصته من شرف التحرير .

نعم ! .. إلى هناك .. إلى حيث تقوم في كل شهر من الأرض إمكانية الصدام .. وعلى كل ربوة تبرز فرصة الصمود ومع كل منخفض في الأرض ، يتسع المجال للتسلل في كل وقت .. إلى معازل العدو .. ومواقع قوته ، ومراكز تجمع وحداته .. نصلبها حامي النيران .. ونزرع الذعر في القلوب الواجفة ، ونفقاً الأعين المسمرة من الخوف والرعب .. ونفرض إرادتنا .. على السكاري الغزاة .. وننتزع منهم الأرض والسلاح والمال .. ونردهم إلى مواقعهم أذلة خائبين .. أو نقبل - بهكرم منا وتفضل - أن يعيشوا بيننا مسلمين ..

عمومية القضية :

وليس من حق أحد أن يعترض سبيل غيره .. الذهاب إلى أرض القتال .
وليس أحد أحق من سواه بالتصدي لمهمة التحرير .. بل هو واجب
الجميع .. وعباء على الجميع .. والشرف فيه من حق كل من شارك في
إشعال نار الحرب المقدسة أو تأجيلها .

لنتحرك إلى هناك بجميع العقائد .. جميع الأفكار والفلسفات .. جميع
النظريات والمناهج المتعلقة بمستقبل الأرض وشكل الحكم ونوعية المجتمع الجديد .
لا بأس .. من حق كل منا أن يتخذ ميدان الصراع ، فرصة لإثبات
أفضلية ما يؤدى به .. وقدرته على الصمود وانتزاع النصر ..

الجميع يجب أن يتحركوا .. وهناك .. تحت شمس الصيف اللاحقة في
واديان فلسطين وصحراء سيناء .. وفي مهب الرياح العاصفة وبرد الذرى وثلوج
القيظ .. وعلى اللهب المتصاعد من فوهات الأسلحة .. وفي حر النيران
المنبثقة مع كل صدام .. ستمتحن العقائد .. وتختبر النظريات والفلسفات ..
وتبرز قيمة الأفضل والأكثر قدرة على الصمود .. تماماً .. كما يفتن الذهب
بالنار .. فكما ارتفعت حرارة نار الفتنة .. احترقت الأدران والأوساخ
التي علقت بالذهب .. حتى يبرز وحده متوهجاً صافياً كصفاء اللهب
الذى أبرزه وأتاح له فرصة التحرر والظهور .

الفئات الوحيدة في مراحل الصراع المتعاقبة .. التي تستحق السحق
والتصفية .. هي الفئات المعوقة .. التي لا هم لها إلا أن يكون الجميع جنباء ..
ليتساوا معها ويضيع خزيها وعارها بين جموع المتخاذلين .

إن كل صيحة أو صوت أو قلم أو يد تتحرك لتحاول وقف زحف
الجموع نحو ميادين القتال .. إن هي إلا جيوب من بقايا التخلف ، يجب
إزالتها من الطريق .. ليتسنى لمسيرة الحرب أن تتابع تقدمها بتسارع مستمر
لا يتوقف إلا عند استسلام المؤسسات السياسية والعسكرية لدولة العدو ..
وتصفيتها لحساب عودة الأرض إلينا بلا قيد ولا شرط .. وحماية ذاك النصر
عندما نحصل عليه من كل عدو آخر قد تحركه أطماعه ليحرب حظه معنا ..

(د) وأمر رابع وأخير .. نحب التأكيد عليه ، وإبرازه لكل ذى بصيرة
وهو .. عمومية القضية .. وشمولها حتى تحيط المسئولية عنها كل العرب ..
وكل المسلمين من ورائهم .

ولإننا في هذا المجال ، لنعلن بكل وضوح ، ونصرخ بأعلى أصواتنا

أن القضية ليست مقصورة على أهل فلسطين وحدهم .. وأن كل ما نراه اليوم من خطوات .. أو نسمعه من دعوات .. تهدف إلى إلقاء العبء كله على الفلسطينيين والتوصل من مسئولية البذل لانزاع الحق الغصيب .. إنما هي خطوات ودعوات .. على الأقل خاطئة يجب على أصحابها أن يسحبوها بهدوء .. قبل أن تستبقهم تعقيدات القضية المتزايدة .. وموجات القتال المتصاعدة .. فتكشف خبيث النوايا إن وجدت - وهي موجودة - وزيف هذه الدعوات عن جوهر القضية الحقيقي ..

.. المحاولات التي بدأت منذ الدعوة إلى مؤتمر القمة الأول في ١٣ - ١ عام ١٩٦٣ .. للتوصل من مسئولية القضية .. وحصرها في الفلسطينيين وحدهم في محاولة لعزلهم ووضعهم وحيدين في مواجهة العدو .. في ظروف هي أشبه ما تكون بترك الحمل الصغير في مواجهة الذئب الجائع .. هذه المحاولات وكل ما رافقها من تصريحات وحملات محمومة مسموخة .. يجب أن تتوقف وتختفي إلى الأبد .. ويكسب أصحابها « شرفهم » قبل أن تكشف نيران الحرب .. لوهم المخطط الذي ينفذون .. وعندها لن يجدوا من يصون لهم « شرفهم » أبداً .

.. ولقد دخل اليوم عامل جديد .. واتسعت القضية أكثر فلم تعد فلسطين وحدها .. بل أصبحت قضية التحرير تغطي أجزاء جديدة من الأرض .. أرض سوريا والأردن ومصر .. في الجولان والصفه الغربية وسيناء . فإذا كان العملاء الاستسلاميون .. يريدون سلخ القضية عن إطارها الحقيقي ، وحصرها في حدود الشعب الفلسطيني المشرذم المنكوب .. فماذا سيفعلون في قضية الجولان والصفه الغربية وسيناء ؟

هل سيعزلون الشعوب السوري والأردني والمصري كلا على حدة في مواجهة الغرباء المختلفين ؟؟ ..

وحتى إن حدث هذا .. أفلا تقود وحدة الهدف لدى الشعوب الأربعة « .. هذا إن جاز لنا الاعتراف بهذه التجزئة .. ونحن نرفضها ونحاربها أشد الحرب » .. إلى توحيد الجهود .. والانطلاق بقوة موحدة لتحقيق الهدف الأكبر .. هدف التحرير ؟ .

ألم تتحد شعوب أوروبا كلها - على ما بينها من تناقضات وخلافات .. بل وعداوات .. - ضد نابليون حتى أوقفت زحفه وأنهت خطره عليها ؟

ألم تتحد الشعوب نفسها مرتين في النصف الأول من هذا القرن ،
لوقوف في وجه ألمانيا .. في حربين عالميتين ؟ .. كيف يكون ذلك من حق
غيرنا .. ولا يكون من حقنا ؟

.. أوليست فرصة لنا أن نحقق مجدداً لقاء المصير الواحد .. على أرض
القتال .. ليعود الدم مرة أخرى عامل توحيد وربط وثيق .. ماسحاً عار
الخلافات والتجزئة المفتعلة .. بعيداً عن لعبة المظاهر من قوانين ودساتير
وألوان متغيرة لأنظمة الحكيم؟؟

أولا تكفي هذه الضربات المتعاقبة .. التي يوزعها العدو على الدول
المحاربة .. لتقنع الذين لم يحسوا بالخطر بعد أن بدأ هذا الخطر يهددهم ..
أيها وجدوا ؟

إن الخطر واحد .. يواجهه الذين لم يحسوا لفتحهم بعد .. كما واجهه قبلهم
أبناء النكبات ..

وإن القضية واحدة .. لكل الذين يواجههم ذلك الخطر .. أحسوا
بمره أم لم يحسوا بعد ..

إن القضية هي ملك لنا جميعاً .. واجب علينا جميعاً حملها وأداؤها ما تستحق
من بذل وتضحيات ..

إن فلسطين هي ملك لنا .. كلنا .. نحن العرب .. ونحن المسلمين .
إن فلسطين هي ملك لأبناء القاهرة ودمشق وصنعاء .. والجزائر ..
وكل الأرض العربية .. بمقدار ما هي ملك لأبناء حيفا ويافا والقدس وصفد
وكل فلسطين .

وإن فلسطين هي قضية كل المسلمين .. أتراكهم وأكرادهم وهنودهم
وصينهم .. شرقيهم وغربيهم .. شماليهم وجنوبيهم .. بمقدار ما هي قضية
العرب .. سوريهم وفلسطينيهم ، يمنيهم وجزائريهم .. وكل العرب .. من
المحيط إلى الخليج .

إن الفلسطينييهم هم مليونان من ٦٠٠ مليون — إن لم يكونوا أكثر — هم
أصحاب القضية الحقيقيون .. وهم المسئولون جميعاً أمام الله عن كل تقصير
في حقها .. وكل تأخير في انتزاعها من الغرباء الذين سرقوها .. وردهم إلى
حيث جاءوا ..

إن ما يميز الفلسطينيين عن باقي حملة مسئولية التحرير .. هو ضخامة العبء الذي وقع على أكتافهم .. في بعث روح الاستشهاد ، وتقديم الدفعات الأولى من وقود الحرب .. لتساهم في تسخير نارها .. ولانضاج روح المواجهة لدى المستسلمين الغافلين .

إن الدور الذي يجب أن يلعبه أبناء فلسطين .. إنما هو دور أهل بدر .. الذين وقفوا في وجه العدو العاتي ووجهوا إليه أول ضربة محكمة أصابت منه مقتلاً .. فزلزلوا كيانه .. ومرغوا كرامته .. وأفقدوه توازنه فارتد من حيث أتى .. كالثور الجريح .. ومهدوا ببطولتهم الطريق أمام المجموع المترددة لتتجمع وتطلق فيما بعد كالأمواج .. في رحلة النصر الكبرى .. يوم الفتح .

فلمنأ الفلسطينيون بهذا الشرف الكريم الرفيع .. الذي منحهم الله .. تعويضاً لهم عما فقدوه من ضحايا وممتلكات .. وليس لأحد أن يشاركهم فيه .. إلا أن يعيش معهم .. معارك التحرير .. وقتالها المرير .. في مهمة انتزاع النصر .. وإثبات الأحقية في الحياة بين الشعوب .

الرأى العام العالمى

« . . . يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ،
والله أعلم بما يكتمون » . (آل عمران ١٦٧)
يحسبون حسابيه . . .
ويخشون غضبه . . .
ويأملون على يديه الخير ؟ ؟ . . .

خداع للنفس ، وتضليل فى جر ، ومكر السيء ،
لصرف أنظار المتلهفين للحرب ، عن مواقفهم الجبانة . .
وخطواتهم نحو الاستسلام الذليل الخنوع . .

وهؤلاء .. والذين يقتنعون معهم ، نقول : ومن هو الرأى العام العالمى ؟
وأية قوة هى الرأى العام هذا .. وماذا حققنا من احترام لأنفسنا عنده
بمواقفنا الاستسلامية .. من خلال ادعائنا احترامه ؟؟
هل المقصود بالرأى العام العالمى .. حكومات الدول المنتشرة فى بقاع
المعمورة .. وممثلها فى منظمة الأمم المتحدة وما يتفرع عنها من مكاتب
وهيئات ؟ .

إن كان هذا هو الرأى العام العالمى . . الذى تحتزمون ، فهل نسنتم أن
كل حكومات هذه البلدان ، هى ألعبوبة بيد اليهود وأن كل منظمة الأمم
المتحدة بفروعها ووكالاتها هى فى أصبح اليهودية العالمية مثل خاتم سليمان ؟
ورد فى حكماء صهيون : « وحين تقف حكومة من الحكومات موقف
المعارضة لنا فى الوقت الحاضر ، فإنما ذلك أمر ضرورى ، متخذ بكامل
معرفةنا ورضانا (١) » .

« . . . وإننى أستطيع فى ثقة أن أصرح اليوم ، بأننا أصحاب التشريع ،
وإننا المستلطون فى الحكم ، والمقررون للعقوبات ، وإننا نقضى بإعدام من

(١) البروتوكول التاسع .

نشاء ونعظو عن نشاء ، ونحن - كما هو الواقع - أولو الأمر الأعلون في كل الجيوش ، الراكبون رؤوسها ، ونحن نحكم بالقوة القاهرة ، لأنه لا تزال بأيدينا الفلول التي كانت الحزب القوى من قبل ، وهي الآن خاضعة لسلطاننا (١) » . .

أوليس هذا كافياً لأن نقنع بأن الرأي العام العالمى .. أضحوكة ومهزلة يضحكون بها على عقول الأغبياء ؟ أو .. كما يسمونهم في بروتوكولاتهم : « العميان » ؟؟

وأما إن كان الرأي العام العالمى .. الذى تحرمون وتجاوز .. هو شعوب تلك الحكومات .. فالأمر هنا مختلف . أن الشعوب .. لم تحرمنا طيلة عشرين عاماً من العمل الدئى والعسكرى السياسى .. لسبب واحد بسيط ، إننا مهازل صفاء .

عشرون عاماً مضت .. كنا فى نظر الشعوب . عملاقاً من قش ، يترنح لأدنى ضربة .. وتعبث فى رأسه صغار العصافير .. فتشير عليه سخرية العقبان والنسور . حتى كانت الحرب .. يوم حزيران العار .. وثبت للرأى العام العالمى هذا .. أننا حقاً عملاق من قش .. فازداد احتقارهم لنا .. وجرحت قلوبنا نظرات الشماتة .. أكثر مما جرحتها أسلحة الاحتلال .

.. الذين يزورون أوروبا وأمريكا بعد حزيران العار .. شاهدوا أن كثيراً من الفنادق والمطاعم والمحلات العامة .. كتب عليها لافتات تقول : « لا مكان للعرب والكلاب .. ممنوع دخول العرب واصطحاب الكلاب .. إلخ . » وحتى الذين تربطهم ببعض العرب صداقات أو مصالح عميقة يصعب عليهم التحلى عنها دفعة واحدة .. أمثال هؤلاء .. كانوا يسألون الأصدقاء بحرارة فيها روح السخرية والشماتة :

« لم لم تصمدوا أكثر من - ٧٢ - ساعة .. ؟ إننا نعلم أن لديكم أسلحة كافية للصمود .. كيف يمكن للمليونين أن يتغلبوا عليكم وأنتم مائة مليون .. ؟ » . كيف ؟ ولماذا ؟ . وهل ؟ . وأليس .. وألم يكن من الممكن .. إلخ من عبارات الحسرة ، مشوبة بالسخرية المريرة .. تنطلق بها الحناجر فى كل بقاع الأرض .. تعبيراً عن الدهشة ، أو الشماتة ، أو الحسرة ، أو

الاستهزاء .. وكل المشاعر التي يمكن أن يحظى بها الضعيف .. من أمثاله
الضعفاء .. أو أعدائه الأقوياء .

.. حتى جاءت قلة من الرجال .. — وما أقل الرجال — وصمدت ..
ووجهت إلى السكران الخمور ضربات ملوِّها العزة والعنف .. فأذهلته ..
وأفقدته توازنه .. وطاش صوابه .. واندفع كالكلب المسعور .. يعض
هنا وهناك دونما بصيرة وتمييز إن كان يعض خصومه أم نفسه .

.. وتغير موقف الرأي العام هذا .. وبدأت نظرات الإعجاب ..
فعباراته .. فالمقالات .. في أكبر صحف أوروبا وأمريكا .. وعلى لسان
مشاهير تلك البلدان .. تشيد بالرجال .. وتدين العدو الخمور ..
ومن الذي غير الموقف ؟ أجهزة الإعلام الرسمية . أم جهود السفارات
الموزعة هناك ؟

أبدأ .. إن الذي غير الموقف .. هو ممارسة الرجال رجولتهم في أسمى
صورة لها ... : الفداء .

إن الشعوب .. كل الشعوب .. تحترم الأقوياء ، تحب الشجعان
البطاشين — حتى ولو كانوا ظلمة — إن لإنسان القرن العشرين .. الذي
مسخته الحضارة وأذابته الرفاهية .. ليحترم البطولة حتى وأو تمثلت في
شخص مجرم .

شعوب العالم مستعدة للوقوف إلى جانب القوى القادر على انتزاع حقه ..
مهما كانت الصورة التي يمارس بها انتزاع هذا الحق .. ومهما بلغت من
القسوة والعنف والضرارة .. بل .. كلما ازدادت الضرارة .. ازداد إعجاب
الشعوب بها .. وتقديسهم لها ..

فهلا كنا أقوياء .. ضواري في استرداد حقنا .. لنحقق لأنفسنا أعمق
إعجاب لدى الشعوب .. وأبلغ احترام عندها ؟
وثمة أمر آخر .. نستطيع به كسب احترام الرأي العام العالمي .. ووقوفه
معنا .. وتأيينه حقنا .. إن نحن أفلحنا في تحقيق هذا الأمر .

.. إن من المقطوع به أن اليهود يشكلون خطراً على كل شعوب الأرض وأن
مؤامراتهم للتحكم في العالم كلة أصبحت معروفة لكل ذي بصر .. وعقل .
وأن من المقطوع به أن شعوب العالم .. وبالذات أوروبا وأمريكا .. غافلة
ككل الغفلة عن هذه المؤامرة .. لشدة ما سيطرت الدعاية اليهودية على كل
وسائل النشر والإعلام .. في تلك البلدان .

فأواجه الآخر إذن لحربنا مع العدو .. والذى لا يقل أهمية وخطورة
عن القتال .. هو فى إقناع العالم بهذا الخطر وجعل الشعوب تحس به وتتحرك
لوقف زحفه وتقليص امتداداته .. حتى يسهل استئصاله .. وإبادته .
.. المهتم فى الأمر .. أن نعرف كيف نشرح للمواطن فى كل دول
العالم .. وخاصة العالم الغربى (رأسماليه وشيوعيه) .. الخطر المحدق به ..
ماذا يفعل اليهود .. وما ينوون فعله لتمزيق العالم والسيطرة عليه .

.. يجب أن ندفع الإنسان العادى .. هناك .. للتحرك دفاعاً عن نفسه
ودفاعاً عن مستقبل أولاده .. لا دفاعاً عن حقنا نحن ..

إننا لو بقينا نصرخ حتى تتجرح حاوقنا وتتورم حناجرنا .. فلن نستطيع
تحريك ضمير الإنسان الغربى للدفاع عن حقنا هكذا .. لله فقط .. ودفاعاً
عن المظلومين !!

أبدأ .. إن هذا غير ممكن .

الممكن فقط .. هو تحويل اتجاه الحرب الإعلامية مع العدو .. وتركيز العمل
على نقطة الحساسية لدى كل إنسان .. مطلق إنسان .. الخوف على مستقبله
ومستقبل أولاده .. ثم دفعه للدفاع عن ذلك المستقبل .. بكل سلاح ممكن .
والسبيل لذلك .. هو كشف مؤامرات اليهود على العالم .

إلقاء الأضواء على دسهم المتواصل .. لإيقاع العداوات بين الدول ..
وتوريثها بالحروب لإنهاك قواها وإجبارها على الاستسلام للحلادين .. اليهود .
تبصير المواطن هناك .. بدور اليهود فى تحطيم كل القيم التى كان يجب
أن تستمر .. لتصون وحدة الشعوب فى وجه مؤامراتهم ومكائدهم التى
لا تعرف الرحمة .

إقناع الإنسان هناك .. بأن ما ورد فى بروتوكولات حكماء العدو ..
هو فعلاً ما يقومون بتطبيقه فى كل الأرض .

سيطرتهم على المال .. تشويهم للعلم .. تحطيم القيم والروابط المقدسة ..
إنهاك الإنسان يومياً فى الجرى وراء لقمة العيش .. سيطرتهم على الصحافة
وتشويهم لواجبها فى نشر الحق ..

دورهم فى نشر المبادئ الهدامة والنظريات العلمية الباطلة ، لتحطيم
العقل الإنسانى .. وشله عن الوصول إلى الحقائق العلمية الثابتة .. ماذا نقول
بعد ذلك .. إن الحديث ليطول .. ولكن ، الواجب الكبير الآن .. أن
تؤلف لجان فى الدول العربية .. تضم مختلف الاختصاصات .. وتعكف
على دراسة كل ما خططه اليهود .. حسب ما ورد فى مخططاتهم الذى أسموه

بالبروتوكولات .. ثم نشر ذلك مدعماً بالبيانات والوقائع والوثائق الممكنة ..
لإقناع الإنسان هناك .. بحقيقة المؤامرة .. فيشعر بالخطر يتهده ، ، ومن ثم ..
يتحرك ليضربه ويشل أيديه الخربة ..

إننا إذا نجحنا في هذا الاتجاه .. نكون قد خطونا أشواطاً واسعة جداً
في مراحلنا ضد عدونا .. ونستطيع بذلك أن نختصر عشرات من سننى
المجاهدة المريعة .. لأننا إن نجحنا بهذا العمل .. سنكسب قوى جديدة ..
تتحرك في الأجزاء الهامة القوية من العالم .. لتضرب احتياطات عدونا ..
وتعزله عن معين امداداته .. الخطيرة ..

وحتى إذا لم ننجح في تحريك القوى الأخرى ضد عدونا .. وأنا أرجح
أن النجاح ممكن إن نحن أحسننا العمل وواصلناه بصبر وأمانة ، فإننا على الأقل
سننجح في شل قدرة العدو على تحريك تلك القوى لتقف معه ضدنا .. وهذا
وحده إن حصل ، فهو نصر رائع وجد كبير .

هكذا .. نستطيع كسب احترام الرأى العام العالمى .

بالقتال أولاً .. وتحقيق البطولات التى يتعطش لرويتها إنسان القرن
العشرين .

وبالعمل الإعلامى الكبير ثانياً .. لإقناع الإنسان الآخر فى العالم ..
بأن الخطر يتهده هو ... فى بيته وبلده ومستقبله وأولاده .. وإننا بدفاعنا
عن أرضنا إنما ندافع عنه أيضاً .. لنحميه ونصون الإنسانية كلها من شرور
المؤامرة اليهودية العالمية . إنه لعبء كبير .. وواجب خطير جداً فى حربنا
مع العدو .

ولقد تصدى رجال الفداء للشق الأول من هذا العبء ..

فهلا تصدت الحكومات والمؤسسات الرسمية للشق الثانى من هذا العمل
الكبير .. إن كانت غير قادرة على مبادرة القتال .. وإن كان ما زال فيها
بقية من خير ؟

السلام العالمى ...

« فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم ، وأنتم الأعلون ،
والله معكم ولن يتركم أعمالكم » . (سورة محمد ٣٥)

ومسخرة أخرى .. يحاول بها دعاة الاستسلام ،
تخدير الشعوب ، وتثبيط عزائمها عن الانطلاق إلى
ميرالآت حبيبها وفعاليتها . . ميادين القتال . وهم
يصوغون حجبتهم تلك . . في تسلسل غريب ، كالآتي :

١ - اليهود متغلغل في أكثر دول العالم ومتمكن من السيطرة
على أجهزة القيادة فيها وخاصة الدول الكبيرة .

٢ - وتبعاً لذلك . . فإن هذه الدول - ونحت تأثير السيطرة اليهودية
الخطية - . . . لن تسمح بإبادة اليهود .

٣ - .. وإذا تحركت دولة ما .. لتمارس هذه الإبادة .. فإن القوى الكبيرة
أو بعضها ستدخل ضدها ..

ويختمون المناقشة - الانهزامية ، بالجملة التقليدية . . « وطبعاً .. لسنا
قادرين على احتمال تحركات القوى الكبرى ضدنا . . » .

حجة غريبة .. في تسلسل أغرب .. يقود إلى نتيجة أكثر غرابة .. عمارسها
فكر انهزامي تحركه نفوس عاجزة حتى عن مجرد التفكير بإمكانية المواجهة .

١ - فن حيث تغلغل اليهود في مختلف الشعوب ، وتسلمتهم على مواقع
السلطة ومرتكزات القوة في المعسكرات الكبيرة . . هذا صحيح . .

ولكن .. لماذا يقاؤون هذه الحقيقة لنا .. نحن وحدنا الذين نريد انتزاع
حقنا .. ولا تقال هذه الحقيقة نفسها .. إلى تلك الشعوب .. لتبين هي أيضاً
جيوب الخطر الكامنة في كيانها .. وتبادر إلى تصفيتها ؟ فترى نحن من شروها ؟
أو ليس من الأجدى لنا . . والكل الشعوب ، أن نقوم بدور المنبه
نحو ذاك الخطر ونكشف للشعوب الأخرى ، ما نراه خطراً علينا وعليها ؟ .

ما الذى يشل قدرتنا على التحرك فى هذا الاتجاه ، سوى عداوتنا لأنفسنا ..
من خلال ممارستنا للسلبية المفرطة تجاه كل وضع يشكل خطراً علينا ؟
هذه واحدة .. لا نبغى الإطالة فيها .. فلقد حاولنا أن نفهم حقها فى
صفحات سابقة .

٢ - والثانية .. وهى الأخطر ..
فلقد وضعت نتيجة مغلوطة .. لافتراض خاطيء من أساسه ..
الدول ، وخاصة الكبرى .. لن تسمح بإبادة اليهود فى فلسطين .
ولكن من قال إننا نريد إبادة اليهود .. فقط لأنهم مجرد يهود ؟
هل نحن بحاجة للتذكير مرة أخرى بإننا نريد استرجاع حقنا .. وأن
ذلك لن يتاح لنا إلا بتصفية كل المؤسسات العسكرية والسياسية (وتوابعها)
للكيان الإسرائيلى الذى تركز على أرضنا دخيلاً غريباً .. بعد أن استأصل
منها شعبها الأصيل .. واقتلعه من جذوره ، بكل ألوان التنكيل والإرهاب ..
وحتى الإبادة الجماعية ..

الذى نريده .. هو زوال ذلك الكيان الدخيل .. ولهذا الغاية ..
علينا أن نبيد - نعم نبيد بكل وسائل الإبادة - كل من يقف فى طريقنا ..
مهما كانت صفته أو لونه أو جنسه أو دينه .

وأما اليهود .. الذين يقفون مسالمين .. بعيدين عن الوقوف ضدنا فى
هذا الصراع .. هؤلاء مقامهم يبقى كريماً .. وحقهم يبقى مصنوعاً .. بل ،
ونحن مسئولون عن حمايتهم ضد كل من يحاول زجهم فى حمأة الصراع هذا ..
نعم .. هذا ما يأمرنا به ديننا .. وهذا الذى ما رسناه خلال القرون
التي كنا بها سادة الأرض .. وهذا ما نصر عليه الآن .. ونعتبر أن كل
دعوة لتغيير هذا المفهوم .. إنما هى لخدمة العدو .. والمكيد لحركة التحرير .

٣ - والثالثة .. وهى التى لا حل لها إلا بالتحلل وضمحلل النفسية
المريضة العاجزة التى تنز بذلك الفكر الجبان . فالقتال يجب أن يقع ..
ويستمر .. ويتوسع .. ويتصاعد حتى يشمل كل شبر تبقى عليه سيطرة
للكيان الغريب الدخيل .. ولترتفع روح المجاهدة وإرادة الصدام ،
حتى فى وجه القوى التى ستحاول حماية كيان إسرائيل .. مهما كانت
كبرى أو صغرى .. ولنا من تأييد الله لنا وشموخ عقيدتنا .. ومشروعية
مطلبنا .. واتساع أرضنا .. وضخامة الطاقات المخترنة فينا ولدينا .. ما هو
كفيل بتحقيق النصر لنا .. ولنا وحدنا .. مهما طال الحرب .. ومهما
كبرت التضحيات ، إن نحن أردنا النصر ، وسعينا له سعيه الجاد الدؤوب .

ثم . . نحن لا نطالب الدول ذات الارتباطات والاتفاقات والمعاهدات
الظاهرة والمستترة . . بأن تقدم هي على هذا العمل . . أبداً .

نحن نطالب الشعوب . . الحرة من كل ارتباطات واتفاقات ومعاهدات
ظاهرة أو مستترة .

الشعوب التي لا تعترف بأية ارتباطات تقف ضد سعيها لنيل حقها . .
هذه الشعوب هي المطالبة بالتحرك لإزالة الخطر . . ونحن لم نأمل في يوم
من الأيام . . أن يأتي النصر إلا على أيدي هذه الشعوب . . وبسبب من نضالها
وتضحياتها . . بعيداً عن أية ارتباطات . . سوى ارتباطات التحرر . .
وانتزاع الحقوق المسروقة في غفلة من غفلات الأيام . . حتى ولو كان ثمن
ذلك ، جبالاً من الجثث . . وأنهاراً من الدم .

هذا جانب من البحث أردنا به أن نرد حجج الانهزاميين . . وتأجيج
روح الصدام فتخبو روح الذل والانهزام .

وهناك جانب آخر . . بخصوص السلام العالمي . . هذا الذي يتحدثون عنه .
فلئن كانت قوى البغي . . حريصة على صون السلام العالمي . . على
حسابنا نحن المستضعفين . . فكيف نبيع نحن لأنفسنا أن نقبل بذلك ؟
السلام العالمي . . على حسابنا نحن ؟ . أعلى حطام شعبنا ، ودماء شهدائنا ،
وبالبغي علينا ، وطردها من أرضنا ، وسرقة ممتلكاتنا . . وتشريدنا في بلاد
الله الواسعة تحت كل سماء ، نصون السلام العالمي ؟ .

ولماذا لا يصان السلام العالمي بفعل ذلك وممارسته ضد عدونا ؟ .
إن كان لا بد من ضحية تمزق . . ليصان سلام السادة الكبار . .
وينعموا بالراحة والأمن وكل أنواع الملذات والفجور ، فلماذا نقبل لأنفسنا
أن نكون تلك الضحية . . صوناً لسلام الدثاب . . عفواً . . السادة الكبار ؟؟
إن المثل العامى الدارج عندنا يقول : «ألف أم تبك ولا تبك أمي» . . وهذا
صحيح هنا . . نحن مجرمون إن قبلنا أن ينعم الكبار بخيرات البكون . . يتقاسمونها
على حساب جوعنا وتشردنا وعرينا . . وهيامنا في كل شظية من الأرض .
إن كان لا بد من صون للسلام العالمي . . فليس على حسابنا . . ليكون
على حساب غمرنا . . أمريكا ، روسيا . . بريطانيا ، إسرائيل . . لا يهم . .
المهم ، أن لا يكون على حسابنا نحن .

وإن كان أولئك يرفضون . . فعلينا أن لا نسمح لهم بالأمن والسلام . .
وإن كان لا بد من أن تكون بسببنا حرب . . فيها دمار العالم . . فليكن ذلك .

ولتعم المصيبة كل أعدائنا .. بدلا من أن تنزل بنا وحدثنا .. ويسلموا هم .. !
نحن لا نقبل أبداً أن يباد شعبنا لتصان سلامة ورقة الشعوب المحترمة
الأخرى .

أبدأ .. لا سلام إلا بسلامنا نحن أولاً .

ولا أمن إلا بأمننا نحن أولاً .

ولا راحة للعالم إن لم يعد إلينا حقنا ، وضاء نقياً مثل شمس حزيران
الساطعة . يوم وقعت الجريمة .

ولئن كان السادة الكبار .. حريصين على السلام .. فليتكروا هم ..

بجمع تلك الخثالة .. وإعطائها قسماً من أراضيهم ..

نعم .. ولاية من ولايات أمريكا .. « شو فيها ؟ ! » أو جزءاً من
روسيا البيضاء .. أو اسكتلندا .. وما في ذاك من ضير ؟ .

ليتكروم السادة الكبار .. ويمارسوا إنسانيتهم .. ويعطفوا على ذلك الشعب

المشرّد .. المسكين ، ويقدموا له بكرم وأريحية .. جزءاً من أرضهم ..

ويريحونا وأنفسهم من شرور الحرب .. ما داموا حريصين على السلام العالمي ..

ووجه ثالث للبحث في السلام العالمي .. هذا .

ذلك الوهم .. (البعبع) الذى يخوفوننا به كلما بدرت منا بادرة جد

لتحرير الأرض .

المجابهة النووية بين العملاقين ..

وزريد أن نسأل .. هل صحيح أن مجابهة نووية ستحدث بين العملاقين ..

إن نحن أصررنا على حرب التحرير ؟ .

أولاً : نحن نشك في ذلك .. بل وننفي بإصرار إمكانية حدوثها ..

ونؤكد أن ذلك إنما هو وهم خدعونا به وخدعنا أنفسنا بتصيدية .. خدمة

لأغراض الغزو الكريه الذى يسعى لتثبيت جذوره على أرضنا .

ونحن حين ننفي إمكانية حدوث المجابهة النووية المزعومة .. إنما نعتمد

في ذلك على سوابق في تاريخ العملاقين .. خلال فترة امتلاكهما لوسائل

المجابهة النووية .. والهيدروجينية و... و.. إلخ من أسلحة الدمار الجاهى الرهيب

فأمريكا حين شعرت أن الخطر يهدد أمنها المباشر .. وضعت العالم على حافة

حرب ثالثة يباد فيها ثلثا أهل الأرض ، وكان ذلك على حساب شعب كوبا الصغير .

وأمريكا أيضاً .. تتدخل اليوم بكل وسائل العنف والدمار .. في

فيتنام .. فاتحة بذلك المجال في كل لحظة لقيام المجابهة النووية .. كل ذلك

لأنها اعتقدت أن أمنها - وراء البحار - قد أصبح معرضاً للخطر . . وعلى حساب الشعب الفيتنامي الصامد . . شمالياً كان أم جنوبياً .

وروسينا كذلك . . حين شعرت أن مصالحها فقط . . - لا أمنها - أصبحت مهددة . تدخلت بكل وسائل القمع والوحشية . . في المجر ، واحتلت تشيكوسلوفاكيا بعملية جيمسبونديه . . مغطية أرضها بسلاسل الدبابات ، ومستعدة بذلك لمواجهة لمحاولات الخطر الذي يخيفوننا به كل يوم « المواجهة النووية » . . وعلى حساب الشعبين المغلوبين على أمرهما . . في تشيكوسلوفاكيا والمجر .

هاتان مهاتين . . في خلال « دزينة » من السنين . . وليس « دزينة » من القرون . . فهل حدثت المواجهة النووية ؟

. . كفانا ضحكاً على أنفسنا . . وكفانا تصديقاً لضحكهم علينا وإعجاباً « بغيرهم على السلام العالمي » .

وثانياً : إن كان حقاً ما يقولون إنه سيقع . . المواجهة النووية . . فلم نحرص نحن على عدم وقوعها . . ؟

إذا وقعت المواجهة الخفيفة هذه . . فما الذي نخشى عليه نحن ؟ موسكو . . أم واشنطن . . أم لندن وباريس وروما وأمستردام ؟

لم نحرص على سلامة أوروبا وأمريكا . . متخليين بذلة عن حقنا وأرضنا وتكرامتنا وشرافتنا . . وهم الذين لم يحرصوا على سلامتنا وأمننا . . وأسلمونا لعدونا يقتك بنا وينكل كما يحلو له ذلك وبطيب ؟ .

إن كان لا بد من الدمار والفناء . . فلماذا نقبل أن نكون نحن وحدنا ذاك الوقود والحطام . . ويسلم أعداؤنا . . ليرقصوا على حطامنا . . ويصنوا « سلام العالم » ؟ .

هل نحن الآن إلا أغنام ؟ . . تتقدم للذبح بغباء . . كى يتلذذ الإنسان بلحمها ويتعم ويسمن ؟ .

هل سمعتم يوماً من الأيام أن أسداً أو نمراً . . أو حتى ثعلباً . . قبل مختاراً أن يكون ذبيحة ينعم بلحمها السيد الإنسان ؟ فهلا كنا أسداً ضواري . .

أو نموراً كواسر . . نتزع حقنا . . ثم نعلم العالم كله معنى الإنسانية —
المكريم ؟؟ .

وثالثاً : . . لم يبق إلا أمر واحد . . وهو احتمال تدخل الدول الكبيرة —
بعضها أو مجتمعة ضدنا — وهذا ما يجعلهم يبللون ثيابهم — من تحت — خوفاً
وفرقاً . . فيسارعون لطلب السلام . . حرصاً على « السلام العالمي . . في هذا
الجزء الهام من العالم » .

. . إن التدمير والتشريد ثم الإبادة ضدنا . . مخطط لها من قبل عدونا . .
وهو يسعى جاداً لتحقيقها . . ما في ذلك من ريب .

ولكن . . ما دام ذلك عزمه وتصميمه . . فكيف نقبل أن ينفذه فينا . .
وحده وهو أقل منا عدداً . . وأخط مناشأناً . . وأجن منا في حقيقة أمره ؟ ؟
إن هذا الاحتمال . . الذي يرعب الأنهزاميين . . لمو أبعد عن واقع
التطبيق . . من احتمال المحاربة النووية المرعبة . . ثم ، وحتى إذا وقع ذلك . .
أو لا يكون أكرم لنا وأشرف . . أن نموت دفاعاً عن حقنا ، ضد قوى
البغي العالمية الكبرى ، مجتمعة كلها أو بعضها . . من أن نموت جوعاً
ومرضاً وذلاً وقهرأ . . على أيدي فئة قليلة من الحاقدين ، بلغ من قلتهم
إننا لو اجتمعت كلمتنا وربحناهم بالأحجار فقط . . لأحدثنا تغييراً جغرافياً
بارزاً في خريطة الأرض . . ودفناهم في جوف ذلك التغيير ؟

هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى . . هل نسينا كلنا . . أن تصميم
الشعوب على القتال . . لا تقهره قوة في الأرض ، حتى ولو كانت قوة
هيئة الأمم المتحدة (١) . . بأكثرية دولها ، أو قوة حلف الأطلسي بكل
جيوشه (٢) ، أو حلف جنوبي شرقي آسيا . . بكل ما عنده من أساطيل ،
وجحافل . . متعاوناً مع أضخم قوة في الأرض . . أمريكا الباغية (٣) ؟ .

. . لقد أطلنا في الحديث عن هذا . . « السلام العالمي » . . وما يستحق
كل هذا . . ولكن لابد من التوضيح الدقيق ، فعسى أن يصحو النائمون . .
والسكارى .

(١) الحرب الكورية .

(٢) حرب التحرير الجزائرية .

(٣) حرب فيتنام الآن .

القادة ...

« فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ،
يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي
بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا في
أنفسهم نادمين » . (سورة المائدة ٥٢)

.. وكلمة حق .. نشعر أن من واجبتنا ، بل من حقنا أن نقولها لكم ..
أيها السادة القادة والزعماء ..

إن عهد الصراع على السلطة يجب أن يزول .. لأننا مقبلون - بل
وبدأنا - الصراع على المصير .. مع عدو لا هدف له إلا إلزالتنا - لا إزالة
كياناتنا السياسية ولا إسقاط أنظمتنا الثورية وإقامة بديل لها .. بل إزالة
وجودنا البشري من فوق هذه الأرض .

وإن مفهوماً جديداً بدأ يتبلور في ضمائر الناس أيها السادة .. هذا المفهوم
هو إن الحب والتلاحم بين الحكم والشعب يتناسبان طردأً مع تصدى الزعامة - أية
زعامة - للمسئولية المصيرية الملحة .. مسئولية تحرير الأرض .. كل الأرض .
اعلموا أيها السادة .. أنه لم يعد في ضمير المواطن اليوم أى سبب يمنع
حبه وتقديره لحكامه ، إلا أن يرى هؤلاء الزعماء يتحركون فعلاً في الاتجاه
الواجب ، والوحيد .. نحو تحرير الأرض .. واستئصال العدو الدخيل .

فهلاً بادرتم أيها السادة .. بالتصدي لهذه المسئولية .. وجعلتم ميدانها -
وحده فقط - ميداناً للتسابق نحو اكتساب محبة الشعوب وتأييدها ؟

إن الشعوب مستعدة لتغفر كل أخطاء الماضي .. شرط أن ترى بأكثر
ما تكون الروية وضوحاً وإشراقاً .. إن الذين أخطأوا في الماضي القريب ..
قد اتجهوا فعلاً وجدياً لحشد كل الطاقات تصحيحاً لأخطاء بدرت منهم ..
وإعداداً لاستعادة الحق والأرض .

تقدموا أيها السادة . . ولا تخشوا شيئاً . . فالعمر محدود . . والرزق مقسوم ، والوجاهة والزعامة اليوم هي في قيادة القوى والطاقات كلها . . في حرب التحرير .

المجال مفتوح لكم كأوسع ما يمكن أن يفتح في يوم من الأيام . . هذه فرصتكم لتحقيق الأجداد . . واكتساب محبة الجماهير . . التي ستفديكم بالمهج والأرواح . . إن أنتم تقدمتم . . ولو خطوة حقيقية واحدة . . وبعدها سترون أن الجموع والحشود ، ستمضي معكم إلى نهاية الشوط .

إن هذا هو المستوى المطلوب من كل القادة . . القتال ، بكل القوى ، وبكل الوسائل ، وبمختلف طرق وعقائد وشرائع القتال ، أما الذين لا يستطيعون - ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها - ولا قبل لهم بهذا العبء . . فمطلوب منهم شيء آخر .

إن المطلوب من هذا النفر من الزعماء . . الذين لا يستطيعون . . . شيئا اثنان : أولهما : ما سبق أن طالبنا به . . وهو حمل مسئولية الحرب الإعلامية . . ونشرها في كل الدنيا ، لإقناع الإنسان هناك . . بأن الخطر لا يهددنا نحن وحدنا . . بل ويهدده هو . . في بيته وبلده . . في مستقبله ومستقبل أولاده ، وهذه لن نطيل بها . . فلقد تحدثنا عنها كفاية في سطور سابقة .

وثانيهما : وهو الحد الأدنى . . لصون ماء الوجه ، وحفظ الشرف . . وهو أن تتجاهل الحكومات تحركات النشاط الفدائي على أرضها وبين شعوبها . نعم . . تتجاهله . . تغض الطرف عنه . .

أتركوا رجال الفداء . . يصفون الحساب مع الأعداء الغزاة . . نخلوا بينهم وبين العدو ، فهم قادرون على تسديد ضربات القاتلة إليه . . فتستريحوا أنتم وتأمينوا على مصيركم ومصير أولادكم .

إن هذا الحد من التضحية ، مطلوب من كل القادة والزعماء . . غير القادرين على ممارسة المستوى المطلوب من عبء القضية . . فهلا ترينا الأيام القادمة أوجه الخير لدى السادة . . وتطوى صفحات الماضي على ما فيها من خزي وسوء . . وتصبح في ذمة التاريخ . . ليذكرها لأجيالنا القادمة بإنها إنما كانت ، اجتهادات خاطئة . . لم يكن وراءها إلا إخلاص النية ونبل القصد ؟

والفرايرون ...

« ومن نخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله
غفوراً رحيماً » . (سورة النساء ١٠٠)

.. ومنذ أمسكت القلم ، موطئاً العزم على كتابة هذا الكتاب .. لم أشعر
لحظة بالتهيب يلف كل كيانى .. مثلاً أحسست به وأنا مقدم على مخاطبة الرجال .
وذلك حق .. ومنطقي .. لأن توجيه الكلام إلى أهل الفداء .. ورجال
البطولة .. ليس كالتحدث لغريم .. من عادى الناس .
إنك حين تقف لمخاطبة واحد من هؤلاء .. تشعر بأنك أمام طراز آخر
من الرجال .. نموذج غريب على مجتمعاتنا الممسوخة .. إنسان يواجه الموت
كل لحظة من لحظات عمره القصير .. رجل تسامى فوق ارتباطات العائلة
والصدقات .. فوق عواطف الأبناء والآباء .. وفوق كل نداء يشده إلى الحياة ..
واتجه بكل كيانه نحو ما هو أسمى من الحياة .. وما فى سبيل تحقيقه
تهون وترخص الحياة .. جهاداً فى الله تعالى وإعلاء لكلمته .. وإحفاقاً
لحقه .. وإبطالاً لباطل الأعداء الغزاة .. سالكاً لذلك أوعر الطرق .. وأشدها
اكتنافاً بخطر الموت .. أو التشويه .. أو الاعتقال .. مصمماً على طردهم
وتصفية باطلهم مهما امتدت به الأيام .
إن مثل هذا الشعور بالهيبة .. المليئة إعجاباً وفخراً .. ليأمس كيانك
كله .. وأنت أمام واحد منهم .. فتحس عجزك .. وتجزع الحسرة المريرة ..
لأنك « لا تستطيع » أن تكون مثله .. فإن لك « أولاد .. وعائلة » .
فكيف بك إن جربت أن تخاطبهم جميعاً .. وأنت تشعر أن عيونهم كلها
عليك .. يستغربون منك الثرثرة .. وتحس طيف الابتسام على أفواههم ..
إشفاقاً على ضعفك ، وبخيرية من عجزك ؟
ورغم كل ذلك .. فسأتحدث إليهم .. لعل فى ذلك ما يريح النفس - على
الأقل - ولعل الله ينفع بما أقول .

أما الرجال .. ويطيب لى أن أخطبكم دوما بالرجال .. لأن الرجال فى دنيانا اليوم قليل .. لقد تقدمتم مختارين .. لأصعب مهمة .. وأسمى واجب .. وأشق عمل .. ولقد أخذتم على عاتقكم العبء بكل ثقله وغرمه .. دونما مطمع بمغنم أو انتصار سريع .. وهذا لعمري .. هو فرق البطولة .. وقمة نكران الذات .. ولست أجد فى كل ما أعرف ، أفضل ولا أكرم من تذكركم بمقام أناس سبقوكم ، وكانوا فى مثل ما أنتم فيه الآن ، فنزلت بحقهم الآية الشريفة : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير (١) » . وأنتم اليوم تقاتلون فى مثل ما قاتلوا .. من قبل الفتح ومن قبل أن تنطلق الجيوش والجموع .. تقاتلون وحيدين .. قلة مؤمنة .. وأنسكم والله لأضيق من جند طارق على سواحل الأندلس .. وليس لىكم إلا الصبر ، فالنصر .. وإنه لآت .. بإذن الله .. وليكن .. لا بد من وقفة معكم .. ولو يسيرة ، قبل أن تمضوا صعداً فى دروب بطولاتكم .. مخلفين وراءكم جموع الكسالى .. تشدهم روابط الحياة إلى مواقعهم على الأرض .. فى المسكاتب أو المناصب .. أو البيوت والسيارات وبين الأموال والأولاد . فى هذه الوقفة البسيطة أقول لىكم أمرين هامين :

١ - أولاً .. إنكم تموتون .. وكلنا سيموت . وهل تدرون ما معنى ذلك ؟ معناه إنكم تخسرون هذه الحياة .. تقدمون على هذه الخسارة بمحض اختياركم .. وأنتم تعلمون بها قبل وقوعها .. فقابل أى شىء أنتم تفعلون ذلك ؟ إنه والله فى هذا الكون كله ما يستحق أن يجود الإنسان من أجله بحياته .. بوجوده ، بذاته كلها .. إلا الجنة .. والطريق إليها واضحة ، مثل شمس الضحى .. وإنه بالنسبة لىكم لى غاية السهولة ، ولا يصعب سلوكها إلا على العتاة الكفرة .. غلاظ القلوب ، أو الضعاف العجزة .. صغار النفوس ممن يتعلقون بهذه الحياة ، أكثر من تعلق الطفل بأذيال أمه .

الطريق إلى الجنة .. هذا الثمن الكريم .. لحياتكم التى تبدلونها بمختارين مسرورين .. هو الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله .

ومعنى أوضح .. اجعلوا قتالكم الذى تمارسون .. خالصاً لله وحده .. وابتغاء إعلاء كلمته ، وهذا لا يحتاج منكم كبير جهد ، وقد أقدمتم على الأصعب والأشق والأخطر .. أقدمتم على القتال .. فأقدموا على إخلاص النية وصدقها .. تفوزوا بالجنة ونعيمها .

(١) الحديد الآية (١٠) .

ولنردد معاً قول واحد من رجالنا وسيد من سادات أبطالنا ، عبد الله
ابن رواحة :

يا حبيدا الجنة واقترابها طيبة وبارد شراها
٢ - وثانياً .. كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قائد جيشه في
العراق ، سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، وصية مطوأة جاء فيها :
« أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد ، بتقوى الله على كل حال ،
فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك
ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب
الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ،
ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ، ولا عدتنا كعدوتهم
فإن استوينا في المعصية كان فم الفضل علينا في القوة ، وإلا فنصر عليهم
بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون
ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ،
ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فإن يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم سلط
عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله ، كفرقة الخووس .
» . . . فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » ، واسألوا الله ألعون
على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، اسأل الله ذلك لنا ولكم » . .
ولقد أردت سوق هذه الوصية لكم يا رجال .. لعل الله ينفعكم بها . .
فإليكم هي .. بدون مطلق تعليق .. فهي بغنى عنه .. وهي أقرب إلى قلوب
المؤمنين .. من كل شرح مهما عظمت بلاغته ورقته عبارته .
فعليناكم أيها الرجال بتقوى الله .. وليكن جهادكم لله تعالى وحده ،
ومنه تستمدون القوة .. وإليه تسلكون أموركم وهو وحده كافل النصر لكم ..
وأنسكم والله إن صدقتم النية لله وحده واتبقيتموه لفائزون بإحدى الحسنين ..
شهادة كريمة .. جزاؤها مقام كريم عند رب كريم ، مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين .. أو نصر عظيم .. وفتح مبين .. فيه تحقيق لكل
الآمال العراض .. وفيه شفاء لما في الصدور .
و بعد ذلك .. أخبراً :

لا يهمنكم ماذا سيحل بالزوجة والأولاد .. فذلك أمر ليس في مكنة أي منا
أن يوجهه كما يريد .. ولا حتى الذين خلفوا .. بحجة أن لهم ذرية ضعفاً خافوا عليهم .
.. كنا نتحدث مرة .. ولم يك - كالعادة - من حديث لنا إلا فلسطين
والأعداء ، والقتال .. جهاداً في سبيل الله ، لرد الأعداء الغزاة .

ونحنس أحد الحاضرين.. فسأل: وما الحل؟ فأجابه آخر: إن الحل الوحيد هو أن يتحرك كل قادر على القتال منا إلى أرض القتال.. ويباشر القتال.
ولقي الحديث صدى طيباً في نفسه، ولكنه ما لبث أن ارتطم بنداء الحياة الدنيا.. فقال: ولكن.. والأولاد؟
ولم يحبه الثاني.. بل بادره بالسؤال فوراً: .. أو ليس ممكناً أن يقبضك الله إليه، الآن.. في هذه الجلسة وقبل أن تذهب للقتال؟
فوجيء الرجل بالسؤال.. فأجاب: طبعاً. عندها بادره بالسؤال المفحم: طيب.. والأولاد؟

فأجاب جواب المؤمن الصادق: (أن لهم الله).
وهنا أحكم عليه الطوق وقال له: «وكيف يكون الله لهم إن أنت مت الآن.. ولا يكون لهم إن أنت مت هناك.. مقاتلاً مجاهداً؟»
.. بلغ منه التأثير حداً مفرطاً.. وانفض اللقاء.. وذهب الشاب.. ليسكل أجازته.. ويعود من جديد.. إلى مجال السعى على الزوجة والأولاد.. إلى إحدى دول الخليج.

هذه أسوقها لكم أنتم.. الذين تساميتم، فوق هذه العواطف والروابط وأجبت داعي الله.. يدعوكم إلى الحياة.. الحياة الحققة.. التي عرفتم طريقها فسارعتم رغم كل ما في الطريق من محن وآلام.

وأما الأولاد.. فدعوهم فعلاً الله.. ولكن علموهم أن ينشدوا كلما ذكروكم:
قل للذي ليحور القدس انبرى
يسقى ثراها بالنجيع وما ارتضى
أنا لست أبكي إذا فقدتك يا أبى
سأصبح في الدنيا أسعر للصدام
يصلى الغزاة النار في صلي سديد
عيش الأذلة قد نضى ثوب العبيد
بشهادة قد نلتها إني سعيد
وإني ماض بقصدي لن أحييد

أماه قسوى فالبسى حسن الثياب
وتزني، وتشددى، لا تجزعى
لا تفسدى فرح الرجال بعبرة
ودعى البكاء يكون يوم فجيعه
فإنه قد جاءنا نعيش الشهيد
لا تدرى الدمع السخن، فلن يفيد
للمدح قد ولى زمان، لن يعود
فيه أنزما غفالة، لا يوم عيد

عهد علينا يا أبى، وبقة-ادر
أنا على درب الشهادة سائر
وغداً إذا عاد الضياء لقد سنا
هوت الرجال حياتهم إن هم هضوا
وعند المجاهد جنة، أو أن يسود
ن لحربهم، نشد ذلك، كالأسود
لا تسألى يا أم، أين ثوى الشهيد
يغيثون نصر الله من كيد اليهود

وفئانا ...

و بعون الله تعالى ...
تم هذا الكتاب ...
والله وحده خالص الشكر .. وعظيم الامتنان ..
وإلى الله وحده .. الذى لا غيره يسأل فيعطى بدون حساب ..
وإلى القاهر فوق عباده .. سيد الجبارين .. والقادر وحده على إذلال
العنة من عباده ..
أجأز بالدعاء - وما أملك اليوم سواه - ...
أن يجعل كتابي هذا ... سهماً قاتلاً ..
يصيب من المخبرين مقاتلهم ..
فيكون سقوط الحزب المخبرم ..
وتكون فرحة أولى وكبيرة ..
ثم يكون زوال الديكان الدخيل من أرضنا ..
وتكون الفرحة الأكبر ..
وبالبشر تهلل الوجوه ..
وبالشكر تلهج الألسنة .. وتختلج القلوب ..
تمجد الله الذى لا رب غيره ..
وتكون مرحلة جديدة من الإشراق فى عمر هذه الأمة ..

المصادر والمراجع

- (أ) الكتب
- المرجع
- ١ - القرآن الكريم
 - ٢ - أخبار عمر
 - ٣ - المسلمون والحرب الرابعة
 - ٤ - الوحيدة العسكرية العربية
 - ٥ - مذكراتي عن فترة الانفصال في سورية
 - ٦ - السياسة السورية والعسكريون
 - ٧ - الصراع على سورية
 - ٨ - المؤامرة ومعركة المصير
 - ٩ - اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس
- المؤلف
- ١ - علي الطنطاوي
- ٢ - ناجي الطنطاوي
- ٣ - زهدي الفاتح
- ٤ - اللواء الركن محمود شيت خطاب
- ٥ - الفريق عبد الكريم زهر الدين
- ٦ - جوردون . ه . توري . ترجمة محمود فلاحه
- ٧ - باتريك سيل ترجمة سمير عبده - محمود فلاحه
- ٨ - سعد جمعة
- ٩ - منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث
- معلومات أخرى
-
- الطبعة الأولى - دار الفكر بدمشق
- الطبعة الثانية - دار الإرشاد بيروت
- الطبعة الأولى - دار الاتحاد - بيروت
- الطبعة الثانية - دار الجماهير
- الطبعة الأولى - دار الأنوار - بيروت
- الطبعة الثالثة - دار الكاتب العربي - بيروت
- بيروت
- من ١٩٦٦-٧ إلى ١٩٦٧-٦-٣٠
- ٣١٦

المرجع	المؤلف	معلومات أخرى
١٠ - أعمدة النكبة	الدكتور صلاح الدين المنجد	الطبعة الثانية - دار الكتاب الجديد - بيروت .
١١ - هانوى تحت القنابل	ويلفورد بورشيت تعريب أكرم دري والمقدم أهيم الأيوبي	الطبعة الأولى - دار الإرشاد - بيروت .
١٢ - الكتاب المقدس (العهد القديم)	-	جميعات الكتاب المقدس المتحدة ساحة النجمة - بيروت .
١٣ - الكنز المروود في قواعد التلمود	ترجمه من اللغة الفرنسية - الدكتور يوسف حنا نصر الله	الطبعة الثانية - بيروت ١٩٦٨
١٤ - همجية التعاليم الصهيونية	الإب بواس حنا مسعد	منشورات المكتب الإسلامي - بيروت .
١٥ - دلائل النفسية اليهودية	الدكتور محمد علي الزعبي	الطبعة الأولى - مؤسسة الزعبي للتأليف والنشر - بيروت .
١٦ - الخطر اليهودي أو روتوكولات حكماء صهيون	حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي	الطبعة الرابعة - دار الكتاب العربي - بيروت .
١٧ - حربنا مع إسرائيل	حديث صحفي مع الملك حسين ملك الأردن ، أجراه صحافيان فرنسيان	الطبعة الأولى - دار النهار - بيروت .
١٨ - عرب ويهود العداء الكبير	الدكتور سامي الجندي	الطبعة الأولى - دار النهار - بيروت .
١٩ - كسرة خبز إيللى كوهين	الدكتور سامي الجندي بن يهودات	الطبعة الثانية - دار النهار - بيروت .

المرجع	المؤلف	معلومات أخرى
٢٠ - جاسوس من إسرائيل	يورى دان	الطبعة الأولى بيروت - دار العلم للملايين .
٢١ - الخدمة العسكرية من أجل السلام	الجنرال كارل فون هورن	دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة
٢٢ - بن غوريون	تعريب خيرى حماد تهاى هلسة	من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت .
٢٣ - المنطقة الجنوبية الغربية-الحرمون	نور الدين شهيد الهندى-بإشراف الدكتور عبد الرحمن حميدة	رسالة جامعية . العام الجامعى ١٩٦٦ - ١٩٦٧ - دمشق
٢٤ - جغرافية القطر العربى السورى	إبراهيم حلمى الغورى . أنسور عقاد-قاسم حجوج	إصدار الكتب المدرسية . وزارة التربية فى الجمهورية العربية السورية-العام الدراسى ١٩٦٩-٦٨ .

(ب) الصحف :

- ١ - مجلة البعث الإسلامى العدد العاشر - المجلد الثانى - ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٨٨ هـ . أول يوليو سنة ١٩٦٨ م .
- ٢ - مجلة الحوادث « اللبنانية » العدد (٦٠٤) تاريخ ٦-٧-١٩٦٨-بيروت . العدد ٧٩٤ تاريخ ١٥ نيسان-١٩٦٧-دمشق .
- ٣ - مجلة جيش الشعب العدد ٨٣٤ تاريخ الثلاثاء ٤ حزيران-١٩٦٨-دمشق . العدد ٨٨٥ تاريخ الثلاثاء ٣ حزيران-١٩٦٩-دمشق
- ٤ - جريدة النهار « البيروتية » عدد خاص صدر باسم « النكسة » ميلاد ١٩٦٧ ورأس السنة ١٩٦٨ - بيروت .
- ٥ - جريدة الثورة « السورية » العدد الصادر يوم ٢٠ أيار سنة ١٩٦٧-دمشق .
- ٦ - جريدة الأنباء « اللبنانية » ملحق العدد ٨٦٤ - السبت فى ٤ كانون الثانى سنة ١٩٦٩ .
- ٧ - صحيفة الهدف « اللبنانية » العدد ٢ السنة الأولى السبت ٢٢ آب سنة ١٩٦٩

فهرس الكتاب

(أ) الموضوعات :

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
أهداف الكتاب	٩
القسم الأول : قبل تنفيذ المؤامرة	١١
الفصل الأول : ما لا بد من قوله	١٣
١ - توضيحات	١٤
٢ - لمحة تاريخية	١٨
الفصل الثاني : الجولان	٣٥
١ - جغرافية الجولان	٣٦
٢ - دور الجولان	٤٦
٣ - لمحة تاريخية عسكرية	٥٠
٤ - أسباب تمكالب العدو على الجولان	٥٣
الفصل الثالث : قبل سقوطه	٥٩
١ - الإعداد المسبق لمنع سقوط الجولان	٦٠
القسم الثاني : المؤامرة يوم التنفيذ	٩٣
الفصل الأول : الوجه الكالح	٩٥
١ - سير الحوادث	٩٦
٢ - لمحات متنوعة من صور الجريمة	١٦٥
٣ - أعمال العدو .. خلال الحرب	١٩٢
الفصل الثاني : الوجه المشرق	٢٠١
١ - وجوه ناصعة للبطولة	٢٠٢
الفصل الثالث : نقاش الإثبات	٢١٣
١ - من الجانب العسكري	٢١٤
الخلاصة	٢٤٤

٢٥٧	٢ - ومن الجانب السياسي
٢٦٩	روى متنوعة للمؤامرة
٢٧٢	القسم الثالث : أنوار في الطريق
٢٨٤	١ - عدونا في العراق
٢٩٨	٢ - نحن ... والقضية
٣٠٣	٣ - الرأى العام العالمى
٣٠٩	٤ - السلام العالمى
٣١١	٥ - القسادة
٣١٥	٦ - والفدائيون
٣١٦	وختاماً
	ثبت المراجع

(ب) الخرائط والمخططات :

أولاً : الخرائط العادية :

- ١ - مخطط موقع سوريا.
- ٢ - مخطط موقع الجولان من سوريا.
- ٣ - مخطط نموذجى مدرسى (نظرى) لتنظيم الدفاع حسب الأسلوب

General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Bibliothèque Alexandrine

ثانياً : الخرائط الملونة :

- ٤ - خريطة رقم ١ : جغرافية الجولان وأهم أعمال قوات العدو الأرضية
- ٥ - خريطة رقم ٢ : أوضاع قوات الدفاع عن الجولان وخطة الهجمات
- ٦ - خريطة رقم ٣ : مخطط دفاع القطاع الأوسط .
- ٧ - خريطة رقم ٤ : مخطط دفاع كتيبة مشاة (ك ١٣) .

رقم الإيداع ٣٩٧٠ / ١٩٨٠

تقريب الدولى - ٧ - ٣٢ - ٧٣٢١ - ١٩٧٢

دارالنصر للطباعة الإسلامية

١٢ شارع - شاطئ - شبراخيت

ت : ٩٧٠٢٢١

